بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة ام درمان الاسلامية
الدراسات العليا
كلية الاداب – قسم اللغة العربية
الدراسات الادبية والنقدية

أثر سيبويه في البلاغة العربية

البحث المقدم لنيل درجة الماجستير

اعداد الطالب:-
محمد الأمين محمد ابراهيم أبو صالح

اشراف الدكتور :-

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــــة :ـ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين وخاتم النبيين والمرسلين أ جمعين ، محمد امام المتقين ،وصاحب الشفاعـــة العظمى يوم الدين . وبعـــد :ـ

هذه رساله بعنوان " أثر سيبويه فى البلاغة العربية " وسيبويه علـم شامخ من أعلام ثقافتنا العربية والاسلامية الذين لهم فى التاريخ على مر العصور مقام معلوم وذكر مرفوع ، وقد اشتملت الرسالة على تمهيد ، وأربعة فصول وخاتمـة كما شمل التمهيد عصره وحياته ومكانته بين العلماء ، ومصنفه ـ الكتاب ـ ومنهجـه والفصل الاول آراء سيبويه فى علم المعانى ، والثانى تحدثت فيه عن آراء سيبويه فى علم البيان ، والفصل الثالث ، عن آراء سيبويه فى علم البديع والموضوعات التـى تحدث فيها ، وفى الفصل الرابع تأثير سيبويه فى علماء البلاغة والبلاغيين ثم الخاتمة التى اشتملت على أهم النتائج .

وكانت الدوافع لكتابة هذا البحث تتلخص فى الآتى ، وهى مرتبة حسب أهميتها وليس حسب التدرج .

أ ـ دوافع عامـة :ـ

١ ـ ابراز أن سيبويه لم يكن عالما نحويا فحسب كما عرف ،وانما كان مؤسسا فى بناء البلاغة العربية ، بما ذكره فى مصنفه ـ الكتاب ـ من موضوعات تدخل فـى علم المعانى والبيان والبديع .

٢ ـ توضيح البداءات الاولى للبلاغة العربية ، وفى مقدمتها ما جاء فى كتاب سيبويه ـ الكتاب ـ .

ب ـ دوافع خاصـة :ـ

الدراسة الجامعية بالأزهر ، ثم البحث فى هذه الفترة المتقدمة — القرن الثانى الهجرى — والتى تضمنت جمع وتدوين اللغة العربية .

٢ — الرغبة فى هذا البحث ، لأنه يرتبط بنشأة علوم العربية لعلمـــاء تلك الفترة ، الأمر الذى يساعد على اجلاء جوانب جديدة لم تكن معروفة لدينا كما هو الحال مع شخصية سيبويه . لذلك كان موضوع " أثر سيبويه فى البلاغـة العربية " مهما ،لأنه جديد وحقل بكر لم يرتده أحد من قبل ، بأن كتب فيـــه رسالة جامعية ضمنها آراء سيبويه البلاغية ، وبذلك لعلنا نسد ثغرة كبيرة فى نشأة البلاغة ونضيف بذلك الى الدراسات البلاغية والنقدية جهدا جديدا ،وقد توخيت فى البحث منهجا قائما على الاستقراء والوصف ، ثم التأصيل والتحليل ، على أســاس من الأخذ المتكافىء والربط التام بين كل القضايا ، التى استطعت العثور عليهـــا من خلال قراءتى لكتاب سيبويه ،ولا أزعم أنى عانيت الصعوبات منفردا ، بل كلمـــا أعانى ، اجد العون بعد الله جل ثناؤه ، من ذوى الفضل ، ومنهم الاخوين الدكتور ابراهيم التكينة والدكتور عبد القادر حسين . فجزاهما الله خير الجـــزاء ، فقد كانا لى خير سند فى ظروف الشدة .

وكانت تتمثل الصعوبات فى :—

١— فهم عبارة الكتاب أحيانا ،وكانت ارشادات ذوى الفضل لها أثر كبير فى جعل الصعب أمامى سهلا .

٢ — دراسة الكتاب والغوص بين السطور ، لاستخراج البذور والارشادات والبداءآت البلاغية ، التى جاءت فى كتاب سيبويه .

و لا يسعنى الآن بعد أن فرغت من كتابة هذا البحث ،الا أن اسجل كلمة شكر وعرفان ،للاستاذ الفاضل الدكتور عبد الرحمن الحاج محمد الصديق ،الذى

للعيان ، وذلك بفضل جهده وعونه وعلمه الثر ، ومهما سجلت من عبارات الشكر والثناء ، فلن استطيع أن أرد له يدا واحدة من مئات الأيدى التى طوقنى بها فهو نعم الأخ الذى فتح لى ولغيرى بيته العامر ، فكانت زياراتى العلمية له والتى تمتد حتى ساعات متأخرة من الليل ، عطاء زاخرا بالمعرفة ، وتوجيها صائبا نحو الطريق السوى . فجزاه الله عنى وعن كل تلاميذه أفضل الجزاء ، ومتعه الله بالصحة والسلامة والعافية ليكمل ما هو فيه .

ولا يفوتنى فى هذا المقام ، أن أتوجه بالشكر خالصا للعالمين الكبيرين عضوى لجنة الحكم على الرسالة ، فجزاهما الله خير الجزاء ومتعهما بالصحة والعافية

ويطيب لى أن أتقدم بخالص الشكر لجامعة أم درمان الاسلامية والى قسم الدراسات النقدية والأدبية بكلية الآداب ، قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة وأنى أرى أن ما قدمته فى هذه الرسالة نقطة فى بحر زاخر بالمعارف ، والذى لا تستطيع رسالة كهذه أن تأتى بكل شىء عما كتب سيبويه فى وضع بذور البلاغة العربية ولكن لعلها تكون شمعة تضيء على الطريق ، وأرجو الله ان أكون قد وفقت فى تقديم ما استطعت أن أقدمه لقراء البلاغة العربية على خير وجه ، والكمال لله وحده ، هو نعم المولى ونعم النصير " رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ "(١) .

---

(١) الآية ٨ من سورة آل عمران .

تمهید

عصر سيبويه :—

ولد سيبويه — رحمه الله — مع ميلاد العصر العباسى الاوّل الذى بدأ سنة (١٣٢ هـ) ، عصر بلغ فيه المسلون شأوا عظيما فى مختلف مناحى الحيـاة فأستقر الحكم فيه لبنى العباس ، وقبض الخلفاء على ناصية الدولة بيد قوية وعزيمة حاسمة ، وأصبح الحكم ثابت الأساس ، قوى البنية ، لم تؤثر فيه المنازعات .

وقد قابل الناس حكم بنى العباس وهم فرقاء :

فريق غاضب عليهم ، لأنهم اختصوا بالحكم دونهم ، وهم العلويون .

وفريق يقف موقف الحذر والخوف من الحكم الجديد ويعاوده الحنين الى القديم . لانه جربه ، وهم غير العلويين من العرب .

وفريق ينظر اليه بأمل كبير لانهم أصحاب فضل فى قيام الدولة وهم الفرس أصحاب المكانة الاولى فى الدولة ، وتولوا أكبر المناصب فيها ، وصاروا هـم الذين يبرمون وينقضون وكان منهم الوزراء والكتاب والحجاب ، وأكثر الولاة والقواد ، وقد يكون لهم ضلع كبير فى جعل " بغداد " عاصمة الخلافة ، وهى تقع على أطراف بلادهم ، ووفروا للخلفاء كثيرا من أسباب الترف ، ليشغلوهم عن السياسـة والتدبير ، وقد نقلوا أساليب الحكم و نظم الحياة التى كانت سائدة أيام دولـة الفرس الى الدولة الفتية العربية ، فأقبل العرب على هذه الاشياء ، وأستحسنوا فى كثير من أمور حياتهم ، ولكن بقيت لهم لغتهم وبقى لهم أدبهم ودينهم ، وصار الطابع الفارسى ينافس الطابع العربى ، ويطغى عليه فى السياسة والاجتماع . أما فى الحكم فلم يطغ سلطان الفرس على سلطان الخلافة ، التى احتفظت بهيبتهـا وجلالها طوال العصر الاول ، وقد بسطت نفوذها وتوسعت (شرقا حتى كشفـر

والرحاب وجزيرة العرب والعراق والشام ومصر والمغرب(١). ونظرا لاتساع الدولة وترامى أطرافها كان الرشيد يقول — كما قال صاحب تاريخ الاسلام والقلقشندى "حتى ان الرشيد كان يستلقى على ظهره وينظر الى السحابة المارة ويقول :— " اذهبى حيث شئت يأتنى خراجك "(٢) .

واذا قلنا أن سيبويه على ما استنتجه ياقوت الحموى — كما سيأتى — من أن سيبويه كان ميلاده فى العام الخامس والثلاثين بعد المائة (١٣٥ هـ) فيكون سيبويه قد عاصر خمسة من خلفاء بنى العباس ، عهد الخليفة العباس الاول أبو العباس السفاح (١٣٢ هـ —١٣٦ هـ) الذى هزم مروان بن محمد فى الجزيرة والشام وقهر " ابن هبيرة " فى واسط وأسرفوا فى قتل بنى أمية حتى لم ينج منهم الا هارب أو رضيع ، ويقول السفاح بعد ما فرغ من بنى أمية :—

بنى أمية قد أفنيت جمعكم ... فكيف لى منكم بالاوّل الماضى ؟
يطيب النفس أن النار تجمعكم ... عوضتم من لظاها شر معتاض
منيتم لا أقال الله عثرتكم ... بليث غاب الى الاعداء نهاض
ان كان غيظى لفوت منكم فلقد ... رضيت منكم بما يرى به راض(٣)

والثانى ابو جعفر المنصور (١٣٦ هـ—١٥٨هـ) وكان حازما وأخذ كثيرا من الثورات . والثالث محمد المهدى (١٥٨ هـ— ١٦٩هـ) وقد ثبتت أركان الدولة فى زمنه وأستقر الامر فيها لآل العباس ، ووقعت فى عهده فتنة المقنع الخرسانى وكان يقول يتناسخ الارواح ، فاتبعه خلق كثير ، ومازال المهدى به حتى اضطره وآل بيته الى الانتحار فانطفأت الفتنة .(٤)

---

(١) تاريخ الاسلام جـ٢ ، ص٦٢ .
(٢) صبحى الاعشى جـ٢ ص٢٧٠ القلقشندى .

والرابع الهادى (١٦٩ هـ — ١٧٠هـ) وقد حارب الزندقة وعاقب أهلها على سنن أبيه — المهدى — . والخامس هارون الرشيد (١٧٠ هـ — ١٩٣ هـ) . فماذا سيبويه عاش طوال حياته ، فترة من أخصب فترات التاريخ فى العالم الاسلامى فكان الاقتصاد مزدهرا ، تجلب الى بغداد ، خيرات مصر والشام والعراق وفارس وما وراء ها ، شرقا من البلاد التى فتحها المسلمون ، فعم الرخاء وتهيأت أسباب للترف لم يعرفها العرب من قبل ، وبنيت القصور ، وكثرت الأسواق ، وراجت التجارة ، وارتفع مستوى المعيشة ، وأصبحت الدولة من أغنى دول العالم فى زمانها . وقد بلغت درجة كبيرة من الرقى والتقدم ، وأكبر دليل على ذلك ما أرسله هارون الرشيد من هدايا الى شارلمان ، والذى أثار الاعجاب فى امبراطورية الفرنجة : ((... ذلك الفيل الذى وصل الى مدينة اكس لاشابل قاعدة امبراطورية شارلمان ، وكان يسمى أبا العباس ، وتلك الساعة المائية الدقاقة التى ظن أهل الامبراطورية انها آلة سحرية ، وقد أفاضت مصادر الافرنج فى وصف هاتين الهديتين))(١) . وكانت الدولة قوية ، فقد هزم الرشيد نقفور وأذله بعد تعاليه ، ورسالة الرشيد لنقفور مشهورة : " من أمير المؤمنين هارون الرشيد ، الى كلب الروم نقفور فقد قرأت كتابك يا ابن الكافرة . الجواب ماتراه لا ما تسمعه "(٢) . وفى عهد الرشيد دانت المناظرة بين سيبويه والكسائى (ت ١٨٣ هـ) الذى كان معلما للرشيد ثم جليسا وملازما لولديه الأمين والمأمون ، وقبله الفضل الضبى (ت ١٦٨هـ) الذى كان معلما للمهدى ، وقد كان الخلفاء أنفسهم على علم بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه ، وكانوا يحرصون على تكريم العلماء ، ألم يكن هم قد أدبوا من قبل هؤلاء العلماء ؟ وكانوا يدفع بهم الى البادية ، حتى يتلقوا اللغة

من الأعراب الخلص ، بل ان الخلفاء والامراء كانوا يساهمون فى إثراء الحركة العلمية رغبة فى الوصول الى الحق والاقناع، ويشتركون فى الرأى ، ويؤيدون رأى البعض ويفندون رأى البعض الآخر . ونظرا لتوسع الدولة الاسلامية وامتداد الفتوحات ، نجد أنه لم يكن كل شىء عربيا خالصا ، لأن الشعوب التى عمها الفتح الاسلامى ، كانت متباينة ، ذات ثقافات وعقليات مختلفة ، وكان من بين ابنائها من لم يدينوا بالاسلام ، أو يدينون به من غير تمسك واقتناع به ، أو يدينوا به ولكنهم يتعصبون لفرقة من الفرق أو المذاهب التى ظهرت فى الاسلام ، كالشيعة والخوارج والمعتزلة ، بل ظهرت مذاهب جديدة تأثرت بديانات أخرى كان لها خطرها على الاسلام ، واعتنقها أناس سموا بالزنادقة ، مما اضطر الخلفاء الى محاربتهم وقتلهم ، كما أشرنا من قبل .

حياة سيبويه (ت ١٨٠ هـ) :-

هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، ولقبه سيبويه ، وكنيته أبو بشر ويقال: أبو الحسن ، وسيبويه وأسرته موال لبنى الحارث بن كعب ، أو لآل الربيع بن زياد ، أو آل ولاء لآل الربيع بعد بنى الحارث بن كعب . ونجد فى أسماء آبائه اسمين عربيين هما عثمان ، وقنبر ، وقنبر اسم عربى قح (١) " وقنبر اسم ذكره الجوهرى فى (ق ب ر) ومولى لعلى رضى الله عنه - واليه ينسب المحدثان : العباس بن الحسن وأحمد بن بشر القنبريان) ، وهو اسم جد الشاعر العربى الحكم بن معمر (٢) ، وقد اكتفى المؤرخون بذكر هذين الاسمين من سلسلة نسبه ، وحين ننظر لاكتفاء المؤرخين بذلك ، نرجح أن أباه وجده هما اللذان دخلا فى الاسلام وسميا بأسماء عربية ، ولم يكن لاجداده الفرس مكانة حتى يذكروا فى نسبه ، ولاسيما أننا قد اسلفنا أن سيبويه واسرته موال لبنى الحارث بن كعب أو لآل الربيع .

واشتهر سيبويه بلقبه هذا حتى أصبح علما يعرف به . وهو علم ولقب عرف به منذ طفولته ، فقد كانت أمه ترقصه . واختلف المؤرخون فى تفسير هذا اللقب فذهب بعضهم الى أن معناه رائحة التفاح (٣) ، فهو مركب من كلمتين فارسيتين وهما "سيب" أى تفاح ، و " وبه " أى رائحة . اما ابن خالويه فقال : " كان سيبويه لايزال

---

(١) ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة ، ص ٦٩٥ الاستاذ الطاهر احمد الزاوى . دار المعرفة - بيروت - لبنان - طبع سنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م

(٢) الحكم بن معمر بن قنبر الخضرى (ت ١٥٠ هـ) شاعر من خضر محارب كان معاصرا لابن مياده وعده الاصمعى من طبقته . الاعلام للزركلى جـ٢ ص ٢٦٣ ط دار الملايين .

(٣) اخبار النحويين البصريين ص ٣٧ ، انباه الرواه ٣٤٦/٢ ، نزهة الالباء ص ٦١ .

من يلقاه يشم منه رائحة الطيب فسمى سيبويه (١) " والاقرب الى الصواب أن الكلمة مركبة من كلمتين وهما " سيب " أى تفاح ، و " وى " وهى أداة نسبة قديمة لم تعد تستخدم فى اللغة الفارسية اليوم ، وعلى هذا يصبح معنى الكلمة "التفاحى " وهو رأى يرجحه النطق الفارسى للكلمة (٢) .

وسيبويه أمه فارسية بدليل أنها لقبت ابنها بهذا اللقب الفارسى الصريح الذى عرف به فى التاريخ ، وبدليل آخر هو هجاء بشار له بأنه ابن الفارسية ، وقد صار لقبه أشهر من اسمه " عمرو " ، فسيبويه اذاً فارسى صريح من ناحية أمه وأبيه ، وليس من السهل تحديد سنة ميلاد سيبويه ، فقد أغفلها المؤرخون جميعا ، ولابد لنا من الفرض والتخمين ، حتى نصل الى معرفة تلك السنة بالتقريب وذلك أن المؤرخين يذكرون من أساتذة سيبويه ، عيسى بن عمر الثقفى الذى يكاد المؤرخون يجمعون على أنه توفى سنة تسع وأربعون ومائة (١٤٩هـ) ويقول ياقوت فى كتابه : معجم الادباء ، " وما يكون قد أخذ عنه الا وهو يعقل ، ولا يعقل حتى يكون بالغا ، فاذا حسبنا لبلوغ سيبويه سن الرشد أربعة عشر عاما ، كان لنا أن نضع ميلاد سيبويه فى العام الخامس والثلاثين بعد المائة ، ويكون عيسى ابن عمر من أوائل الأساتذة الذين أخذ عنهم سيبويه " ، وبعض المؤرخين يذكر أن سيبويه ولد بالبيضاء ، التى يصفها ياقوت فى معجم البلدان ، بأنها مدينة بفارس وأنها أكبر مدينة فى كورة اصطخر ، وانما سميت بالبيضاء لأن لها قلعة

---

(١) معجم الادباء ١٦/١١٥ ، انباه الرواة ٢/٣٦٠ ، تاج العروس ١/٣٠٥ .
(٢) هذا القول للاستاذ سعيد نفيس من علماء ايران . سيبويه حياته وكتابه للدكتورة خديجة الحديثى ، ص ١٤ .

تبين من بعد ويرى بياضها ، وكانت معسكرا للمسلمين ، يقصدونها فى فتح اصطخر وهى تقارب اصطخر ، وهى مدينة تقارب اصطخر فى الكبر ، ينتفع أهل شيراز بميرتها ، وبينها وبين شيراز ثمانية فراسخ وينسب اليها أكثر العلماء المبرزين "(١) وانى أرجح هذه الرواية ، بدليل أنه رحل بعد اخفاقه فى المناظرة التى كانت بينه وبين الكسائى فى بغداد ، الى فارس ، وربما يكون عائدا الى مسقط رأسه فوافاه الاجل بها أو قبل أن يصل اليها فى شيراز .

" مات بشيراز سنة ثمانين ومائة " وذكر الخطيب أن عمره كان اثنتين وثلاثين سنة ويقال : انه نيف على الاربعين سنة . وهو الصحيح ، لانه قد روى عن عيسى بن عمر ، وعيسى بن عمر مات سنة تسع وأربعين ومائة (١٤٩ هـ) فمن وفاة عيسى الى وفاة سيبويه احدى وثلاثين سنة ، وما يكون قد أخذ عنه الا وهو يعقل ولا يعقل حتى يكون بالغا والله أعلم "(٢) .

وعلى هذا يمكننا أن نقول ان سيبويه ولد فى أوائل العقد الرابع من القرن الثانى الهجرى . وقد حدد بعض الباحثين سنة ميلاد سيبويه بخمس وثلاثين ومائة ، وفى ظنى ان سيبويه ولد قبل هذا التاريخ بسنوات ثلاث أو أربع لانّ من المشكوك فيه أن يجالس صبى فى الرابعة عشر من عمره عالما جليلا مثل عيسى بن عمر . وقد جاء سيبويه الى البصرة للتزود من علم الفقه والآثار أى الحديث ، والنحو ، بل ضرب فى كل علم من علوم عصره بسهم ، قال ابن عائشة(٣) :— " كنا نجلس مع سيبويه النحوى فى المسجد ، وكان شابا نظيفا جميلا

---

(١) معجم البلدان ، جـ١ ، ص ٥٢٩

(٢) نور القبس المختصر من المقتبس ، ص ٩٧ أبى عبد الله محمد بن عمر أن المرزبانى تحقيق ، رودلف زلهايم .

قد تعلق من كل علم بسبب ، وضرب فى كل أدب بسهم ، مع حداثة سنه وبراعته فى النحو ، فبينما نحن ذات يوم اذ هبت ريح ، فأطارت الورق فقال لبعض أهل الحلقة : أنظر أى ريح هى ؟ وكان على منارة المسجد تمثال فرس فنظر ثم عاد فقال : " ما ثبتت على حال " ، فقال سيبويه (العرب تقول فى مثل هذا : قد تذاءبت الريح ، وتذاءبت ، أى فعلت فعل الذئب ، وذلك أنه يجىء من هاهنا وها هنا ، ليخيل ، فيتوهم الناظر أنه عدة ذئاب) (١) .

واذا صحت هذه الرواية وهى ليست بعيدة الصحة ، دلتنا على منهج سيبويه التعليمى ، واعتماده على التطبيق العملى فيما يلقيه من القواعد والنظريات وأن علمه يدلنا عليه كثير من فصول كتابه .

وقال الفراء : (كان سيبويه عضلة من العضل) (٢) . وهذه شهادة من عالم كوفى .

ونرى الظلام يلف جزءا كبيرا من سيرة حياة هذا العالم الجليل سيبويه — رحمه الله — ولا نجد بصيصا من نور لنقف على اجابة لبعض التساؤلات التى تدور بفكرنا ، أتزوج سيبويه ؟ وهل كانت له زوجة ؟ أم وهب نفسه للعلم؟

ونحن نستنطق التاريخ فيقف صامتا ولا يروى لنا شيئا يتعلق بذلك ويغلب على ظنى أن سيبويه عاش حياته للعلم والتعليم ، ولعل ما يؤيد ظنى هذا الروايات التى تتحدث عن وفاته وتصف لحظات احتضاره ، فلا تتحدث عن زوجة

---

(١) معجم الأدباء (٢ جزء) جـ١ ص ١٦٠ ، دار احياء التراث العربى بيروت لبنان — ياقوت الحموى .

(٢) عضلة : العضلة الداهية ، القاموس المحيط جـ ٤ ، دار الجيل — بيروت — لمجد الدين محمد يعقوب الفيروز أبادى .

أو عن ولد وكل مايذكره له التاريخ من أقارب ،هو أخ يظهر أن الحب والمودة كانت تربطهما برباط وثيق ، ولعل سيبويه لم يكن له أخ غيره ،قالوا: ولما اعتل سيبويه وضع رأسه فى حجر أخيه ،فبكى أخوه لما رآه لما حل به فقطرت من عينه قطرة على وجه سيبويه ، ففتح عينه فرآه يبكى فقال :—

أخيين كنا ،فرق الدهر بيننا ٠٠٠٠ الى الأمد الاقصى ومن يأمن الدهرا

اذا لم يترك سيبويه ذويه من بعده ،ولكنه ترك ذكرا مخلدا واسما سوف يبقى أمد الدهر وما بقيت اللغة العربية ، لغة القرآن والحديث وما بقى دارس لهذه اللغة لغة الدين والحضارة ٠ كما كان متوقد الذكاء ،صاحب عقل ومنطق يحسن التعليل والاستنتاج والتفريع ، والكتاب خير تجربة عملية على ذلك٠

واختلفت المصادر فى تاريخ وفاة سيبويه — رحمه الله — وفى مكانها فقيل: توفى سنة (١٦١ هـ) وقيل سنة (١٧٧ هـ) وقيل سنة (١٨٠ هـ) وقيل (١٨٨ هـ) وقيل (١٩٤ هـ) ٠ والاصح أنه توفى فى حدود سنة (١٨٠ هـ) لأنه توفى قبل وفاة الكسائى ويونس بقليل ٠ ووفاة الكسائى كانت على الارجح فى سنة (١٨٣ هـ) أما يونس فتوفى سنة (١٨٢هـ) (١) ٠ ومكان وفاته أيضا فيها خلاف فقيل توفى فى (ساوة) (٢) وقال آخرون أنه توفى فى البصرة ، وهذا بعيد جدا لأنه لم يعد الى البصرة بعد المناظرة التى جرت بينه وبين الكسائى ، وقيل انه توفى فى البيضاء ٠ ومما يؤيد أن وفاته كانت فى البيضاء بشيراز ماراه الاصمعى من أنه رأى قبره بشيراز وعليه أبيات من الشعر وهى لسليمان بن يزيد العدوى :

---

(١) سيبويه امام النحاه ص ١١٣ ٠ على النجدى ،الناشر عالم الكتب المطبعة العثمانية بالدارسة ، ١٣٩٩ هـ٠

(٢) ساوة : مدينة حسنة بين الرى وهذان ،على بعد فرسخ من كلتيهما وفيات الاعيان ص ١٣٤ ، تاريخ بغداد جـ١٢ / ١٩٨ ٠

ذهب الاحبة بعد طول تزاور ونأى المزار فاسلموك واقشعـــوا

تركوك أوحش ماتكون بقفرة لم يؤنسوك وكربة لم يدفعـــوا

قضى القضاء وصرت صاحب خبرة عنك الأحبة أعرضوا وتصدعـوا

ويقال انه مات بالذرب (١) ، ويقولون أنه مات هما من اخفاقه فى مناظـــرة الكسائى (٢) .

ومما تقدم من روايات فى مكان الوفاة ، فانى أميل الى ترجيح روايـــة الأصمعى فهى الأكثر تداولا فى الكتب التى أرخت لسيبويه — رحمه الله — وهى أقرب للواقع ، وعلى هذا نستطيع أن نقول ان سن سيبويه عندما توفى تزيـد على الأربعين ، وعلى حسب ما حددناه تكون سنه زهاء خمس وأربعين سنة وهو المعقول بموازنة التواريخ .

ورحم الله سيبويه ، فلم يسلم من طعن الطاعنين وكيد الحاسديـــن وقد انفرد المرزبانى (ت ٣٨٤ هـ) بذكر خبر غريب عن وفاة سيبويه ، قال :— " وقيل كان سبب ميتة سيبويه ، أنه كان عند صديق له فتمس عنده وأخذ منه الشراب ، فحرص به صاحب المنزل أن يبيت عنده فأبى فوجه معه غلاما ليوصلـه الى منزله فصار فى دربه وقد أغلق دونه فتسور الدرب ، ومكث الغلام مكانـــه فتردى من أعلى الدرب على رأسه فوقص (٣) فسمع وهو يقول : (من الطويل) :—

يسر الفتى ماكان قدم من تقى اذا أبصر الداء (٤) الذى هو قاتله

---

(١) الذرب : داء يعرض للمعدة فلا تهضم الطعام ويفسد فيها ولا تمسكه — المعجم الوسيط جـ١ ص ٣١٠ .

(٢) طبقات الزبيدى ٤٥ تاريخ بغداد جـ١٢ ص ١٩٨ .

(٣) وقص : دقت عنقه ، ص ١٠٤٩ المعجم الوسيط جـ ٢ .

(٤) نور القبس المختصر من المقتبس ٩٦ ، ٩٧ ، أبى عبد الله محمد عمران المرزبانـــى تحقيق رودلف السلهم .

وانى استبعد ماجاء فى هذه الرواية التى انفرد بها المرزبانى لما يأتى :

١ — عرف سيبويه أنه صاحب دين وعلم بالحديث والفقه والنحو وملم بكثير من العلوم ، ولم يذكر المؤرخون أنه رجل منحرف طوال حياته التى أرخوا له فيها .

٢ — لم أر مصدرا يذكر هذه الرواية من المصادر التى اطلعت عليها غير المرزبانى ، فلو كان لهذه الرواية أصل لذكرها المؤرخون .

٣— من كان مثل سيبويه لن يعدم حاقدا او حسودا ينتقصه أو يرميه بما ليس فيه وقديما قيل : كل ذى نعمة محسود ، وقد أكرم الله سيبويه بالعلم النافع وأتم عليه النعمة .

هذا وقد حدث العباس بن الفرج الرياشى ،وقال : كان سيبويه سنيا على السنة . وذكر الشيخ عبد الجليل الرازى ،أن سيبويه من الشيعة الامامية (١) .

---

(١) سيبويه امام النحاة فى اثار الدارسين خلال اثنى عشر قرنا ص ١٠ مطبعة

سيبويه والبلاغة العربية :ـ

قبل أن نتحدث عن بلاغة سيبويه فلا بد من اطلالة على العصر الجاهلي والقرن الهجري الاوّل والثاني ، واعطائي نبذة عن البلاغة في تلك الفترة .

لقد كان العرب فصحاء ، يبتعدون عن حشو الكلام والاسهاب ، ويقصدون الى اصابة الهدف بأقصر طريق وانصع عبارة ، وكانوا يتفاخرون بالفصاحة ، قال الجاحظ : " ان العرب أشد فخرا ببيانها وطول ألسنتها ، وتصريف كلامها وشدة اقتدارها ، وعلى حسب ذلك كانت زرايتها على من قصر عن ذلك التمام ، ونقص من ذلك الكمال " (١) ، وكانت العرب تفعل ذلك ، لانّ من توفرت فيه الفصاحة والبلاغة ساد قومه وشهرته ، فكان الشاعر والخطيب مقدرلديهم . ونلحظ في العصر الجاهلي أنهم كثيرا ما يحرصون على الايجاز في المكان الذي لايحتاج فيه المعنى الى سواه ، ويقول ابن سنان : " فاللغة العربية مع السعة والكثرة اخصر اللغات في ايصال المعنى ، واذا كانت لغة تخصح عن المقصود وتظهره مع الاختصار والاقتصار ، فهي أولى بالاستعمال ، وأفضل مايحتاج فيه الى الاسهاب والاطالة " (٢) ولا شك أن الاسهاب والاطالة يسببان الملل والضجر ، والعربي بذوقه ينأ عن ذلك ، فهذا المبرد (ت ٢٨٥هـ) ينقل لنا عن العرب في ايثار الايجاز واستقباح التطويل من شعر للاعشى وطرفة قال الاعشى :ـ

وتبرد برد رداء العروس ... بالصيف رقرقت فيه العبيرا

وتسخن ليلة لا يستطيع ... أن ينبح الكلب الا هريرا

---

(١) البيان والتبيين جـ٤ ص ٢٧ ـ ٢٨ ، تحقيق عبد السلام هارون ط الرابعة دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ عيسى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٧١م .

(٢) سر الفصاحة ، ص ٤٨ ، دار الكتب العلمية ط الاولى ، بيروت لبنان .

فتقبل هذا الكلام واستحسن . ثم قيل فى عيبه : أنه أتى به فى بيتين وطول بهما الخطاب . وأجود منه قول طرفة :—

يطرد البرد بحرساخن وعليك القيظ إن جاء بقسر (١)

والعرب نلحظ فى أشعارهم الجاهلية ، اختيار المعانى والصور والألفاظ وهى تزخر بالتشبيهات والاستعارات والكنايات ، والمقابلة والطباق والجناس والتورية وغير ذلك من ألوان البلاغة . واذا جئنا من العصر الجاهلى الى العصر الاسلامى ، فلن نجد اختلافا كبيرا بين بلاغة هذا العصر وذاك ، لأن العرب فى صدر الاسلام كانت ألسنتهم على السليقة فيؤدون اللفظ المعنى حقها ، ويصلون الى الهدف فى ايجاز أو اطناب او مساواة على حسب ما يقتضيه الحال ، ونزول القرآن الكريم بلسان عربى مبين ، قد دلّلَ وبرهن على بلاغة العرب فكان القرآن متحديا تلك البلاغة الكاملة ، وقد كان الرسول عليه السلام أفصح العرب والصحابة يتعجبون لفصاحته ولايرون من هو أبلغ منه وابن الاعرابى يحدثنا بأن الرسول (ص) كان جالسا مع الصحابة ، فسألوه عن سحابة فأجابهم ، فقالوا : " يارسول الله ما أفصحك ؟ ما رأينا الذى هو أفصح منك . فقال : مايمنعنى ، وانما انزل القرآن بلسانى ، بلسان عربى مبين " (٢) . وقد عرف عن النبى (ص) أنه كان يتخير الفاظه ويعنى بذلك أشد العناية ، وقد نمت البلاغة العربية بعد ظهور الاسلام لأن المسلمين كانوا يكثرون من قراءة القرآن والاستماع الى أحاديث المصطفى (ص)

ونرى عليا بن أبى طالب — كرم الله وجهه — وهو يصف البلاغة فيقول :— " البلاغة ايضاح الملتبسات وكشف عوار الجهالات ، بأسهل مايكون من العبارات " (٣) .

---

(١) الصناعتين ص ٣٧ الطبعة الاولى ، الخانجى ١٣٢٠هـ ، القاهرة .
(٢) مجالس ثعلب ص ٤٥٤ .

وهذا الجاحظ يحدثنا بقول الرسول الكريم :— (نصرت بالصبا وأعطيت جوامع الكلم وهو القليل الجامع للكثير)(١) . وابن رشيق فى بيان مكانة الايجاز يحدثنا بأن — رسول الله قال : (نضر الله وجه رجل أوجز فى كلامه واقتصر على حاجته)(٢) .

فهذه نصوص تدل على ايثار الايجاز ، ولكن فى الموضع الذى يناسبه ، لأنّ هناك مواضع لا يحسن فيها الا الاطناب ، ومواضع يكون فيها اللفظ ساويا للمعنى وأنواع البلاغة الاخرى من معان وبيان وبديع ، لاشك أنها كانت مستعملة فى العصر الاسلامى فى غير اكثار ولا اقلال ، لانّ القرآن الكريم جاء على طريقة العرب فى كلامهم ، وحين كثرت الفتوح وانتشر الاسلام ، اختلط العرب باجناس من الامم ودعت الظروف الى استعمال نوع من الكتابة والخطابة ، ساروا فيه على سهولة اللفظ ووضوح المعنى وسلامة التركيب ، وعدم الميل الى الالفاظ الغريبة والمعانى البعيدة وان كانوا يستخدمون احيانا السجع والمبالغة والاطالة والاستقصاء ، للتوصل للتأثير فى الغير ، ويقول محمد كرد على :— " ان القرن الاول الهجرى كان يميل الى الايجاز بفطرته ، والقرن الثانى الهجرى كان قرن التطويل والايجاز معا ، وذلك نتيجة لما سرى من أفكار جديدة ، نقلت عن طريق الترجمة والاختلاط ، ولكل زمان ما يليق به من البيان "(١) . وكل عصر يعقب عصرا ، تكون البلاغة فيه قد قطعت شوطا ، فالعصر الثانى الهجرى ، كان اكثر انطلاقا من الاول ، والثالث أكثر توسعا من الثانى وهكذا حتى وضعت علوم البلاغة العربية وبلغت شأوا عظيما فى زمن عبد القاهر الجرجانى (٤٧١ هـ) والسكاكى (ت ٦٢٦ هـ) ولم يكن هذا

---

(١) البيان والتبيين جـ٤ ص٢٩ تحقيق عبد السلام هارون ، ط الرابعة دار الفكر لبنان بيروت — عيسى البابى الحلبى بالقاهرة سنة ١٩٧١م .

(٢) العمدة جـ١ ص ٢٤١ فى محاسن الشعر وآدابه ونقده . المكتبة التجارية الكبرى ١٩٥٥م القاهرة . تحقيق محمد محى الدين وهو لابن رشيق القيروانى .

التوسع الذى صحب كل عصر قد أتى من فراغ ، بل كان للطوائف المختلفة نصيب فى نشأة البلاغة وتطورها ، كطائفة اللغويين والمتكلمين والنقاد والمفسرين والكتاب والفقهاء والمناطقة والأصوليين . فاللغويون كان أثرهم واضحا فيما يطرأ على اللفظ من تنافر وتلاؤم وخفة وثقل ، وقد أفادت بذلك الدراسات البلاغية ، فنرى أمثلتهم مدونة فى كتب المتأخرين الذين يهتمون بوضع القواعد النهائية للبلاغة والمتكلمين لهم أثر كبير فى البلاغة بل يفوق أثر اللغويين ، ويقول شوقى ضيف :

" وربما كان مرجع تفوقهم الى أن هذه الطائفة لم تكن محافظة مثل طائفة اللغويين ، تعتمد على نماذج الشعر القديم وحدها ، بل كانت أيضا تنظر الى النماذج الحديثة بالاضافة الى تناولها القرآن للنظر فى بلاغته ، ومدار فصاحته وتأويل كلمة بعد أن التحمت عقليتها بالفكر الأجنبى والثقافة اليونانية "(١) . وقد ذهب بعضهم الى أن البلاغة نشأت حين اشتدت الخصومة بين علماء الكلام وان الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) "هو أول من أهتم بالبلاغة اهتماما جديا بل ذهب الى أبعد من ذلك ، فعد مؤسس البيان العربى "(٢) . وكان للنقاد أثر فى البلاغة فقد اعتنوا ببراعة التراكيب ، وفصاحة الكلمات ،كما ساووا بين اللفظ والمعنى وتناول المفسرون آيات القرآن الكريم وأبرزوا ما فيها من روعة وجمال ، كانت عونا للبلاغيين فى الاستشهاد فيما بعد ، ويقول ابن حيان الأندلسى : " وقد احتاج المفسرون الى اظهار ما انطوى عليه كتاب الله من غرائب التراكيب وتبيان الطرق التى تنتزع بواسطتها المعانى وابراز النكت البيانية التى تضمنت شيئا من أسرار الجمال ووجوه البلاغة "(٣) . وقد كانت مسائل البلاغة مفرقة فى كتب السابقين ، وخاطة كتابى

---

(١) النقد الادبى ص ٢٥ ، شوقى ضيف .
(٢) مقدمة نقد النثر ص ٣ والنثر الفنى جـ ١ ص ٤٨ .
(٣) تفسير البحر المحيط جـ١ ص ١٣ .

مجاز القرآن ، لابي عبيدة (و٢٠٧هـ) ومعاني القرآن للفراء (ت ٢١٠هـ) والكتّاب كانت ثقافتهم واسعة ،فامتازوا برصانة اللفظ وعمق المعنى ، وكان الجاحظ لايعدل طائفة أخرى بهم ، فيقول : " اما أنا فلم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب، فأنهم قد التمسوا من الالفاظ مالم يكن متوعرا وحشيا ، ولا ساقطا سوقيا "(١)

والفقهاء والاصوليون كانت لهم جهود بلاغية تعين على استخراج المعاني من التراكيب واستنباط الاحكام الفقهية واقامة القوانين الشرعية . أما المناطقة ، فقد أدخلوا المنطق في أبواب البلاغة بتقسيمها الى أنواع وتعريف كل نوع ، ويجيء دور من لهم الفضل الاكبر على البلاغة وهم النحاة واللغويون ، وكانوا يمثلون فريقا واحدا ، ولا نكاد نرى بين هاتين الطائفتين فرقا ، فالعالم منهم ، كان يجمع الى تعليم اللغة وشرح مفرداتها ، وبيان خصائص الاسلوب ومقاييس الاشتقاق ولذلك كانت الكتب تجمع بينهم جميعا . ويقول الدكتور احمد شعراوي : " ان أسبق من تعرض لهذه البحوث بالتدوين ، هم اللغويون والنحاة ، وهم أيضا أسبق العلماء الى افراد الكتب في هذا العلم "(٢) ، ونحن حين نتصفح كتاب سيبويه نجده يحافظ أشد المحافظة على المقاييس العربية الخالصة جاعل نصب عينيه ، شواهده من القرآن الكريم وشعر فحول الشعراء من العرب الاقدمين ، وتركيب الكلام الفصيح وتركيب الجمل ، بل وبيان ما يطرأ عليها من حسن او قبح أو رداءة أو خفاء في المعنى وقد نثر سيبويه كثيرا من مسائل البلاغة في كتابه بين السطور ، حيث كانت العلوم متداخلة تظاهر بعضها بعضا ويفيد أحدها من الاخر ، ولم تكن هناك كتب خاصة بالبلاغة في عصر سيبويه ولا في العصور التي سبقته ، من الالوان البلاغية التي

---

(١) البيان والتبيين جـ١ ص١٣٧ ، ط الرابعة تحقيق عبد السلام هارون — دار الفكر العربي — بيروت —

(٢) تاريخ البلاغة العربية حتى نهاية القرن الرابع الهجري ص ٤٠

أشار اليها سيبويه فى كتابه ، المسند والمسند اليه ، وبذلك تنبه فى هـــذا الوقت المبكر الى شىء مهم ينطبق على كل اللغات ،وهو قانون الاسناد ، فلا بـــد من توافر ركنين أساسيين حتى يكون الكلام مفيدا ، وظل هذا المصطلح مصطلحـــا بلاغيا ، حيث إن المسند اليه له أحوال خاصة به ولم يهملها سيبويه بل ذكرها وكذلك المسند ، وتحدث سيبويه عن عبارات لغوية تدخل فى الدراسات البلاغية لخروجها على غير مقتضى الظاهر ، مثل القلب ،ووضع المفرد موضع المثنى أو الجمع ووضع المثنى موضع الجمع واستخدام اللفظ الموضوع لغير العاقل فى موضع العاقـــل كما تحدث سيبويه عن النظم الذى تحدث عنه عبد القاهر فيما بعد ، وعن الحذف والذكر والاضمار والزيادة ، زيادة الحروف والكلمات والتقديم والتأخير والاستفهام والفرق بين الهمزة وأدوات الاستفهام الاخرى ،والفصل والوصل ،وعطف الانشاء على الخبر بين الجواز والمنع ، والمجاز العقلى ، والتعريف والتنكير ، تحدث سيبويه عن كـــل هذه الموضوعات فى علم المعانى حديث العالم الذى يحلل ويستنتج ، كما تحدث عن علم البيان فذكر التشبيه والتمثيل وأدوات التشبيه ، والاستعارة فى الحـــروف والاستعارة بالكناية وقرينتها ، والكناية والتنويع والمجاز بالحذف ، وتحدث عـــن البديع ، عن تأكيد المدح بما يشبه الذم ،وعن التجريد وعن الأسرار النفسية لتأكيد المدح ، كل ذلك تحدث عنه سيبويه فى هذا الزمن المتقدم جدا ،(القرن الثانى الهجرى) بل فى وقت لم تكن هناك مسميات للبلاغة ، ومن هنا يتضح لنا أن — سيبويه عالم بلاغى بجانب أنه نحوى ، ولكن لم يكتب عن سيبويه كعالم بلاغـــة اللهم الا الاشارات القليلة التى أشار بها اليه عبد القاهر فى (دلائل الاعجاز) و (أسرار البلاغة) ، وجزاه الله خيرا فقد كانت مؤشرا لدفع الباحثين ، لينقبـــوا فى هذا المنجم الكبير ، ويزيحوا عن تلك الجواهر الثمينة ما سترها عن أعين القراء ردحا من الزمن ، ولتتم الفائدة والمتعة ، وكان سيبويه — رحمه الله — عالمـــا

شيوخ سيبويه

في علوم الدين :—

١ — حماد بن سلمة (ت ١٦٧هـ) (١) ذكر المؤرخون أن سيبويه كان يأخذ الحديث عن حماد بن سلمة ولم يذكروا اسماء الذين أخذ عنهم بقية علوم الدين ولكني لا أستبعد أن يكون قد درس الفقه وغيره على حماد بن سلمة أيضا لان العالم كان ملما بكل فروع المعرفة ، ولم أر في الكتاب دليلا على انه أخذ عن حماد شيئا من اللغة ، فيكون حماد — رحمه الله — هو الوحيد الذي عرف من بين شيوخ سيبويه الذين أخذ عنهم علوم الدين . وكان حماد مولى لربيعة بن مالك — امام دار الهجرة — المشهور ولعل علمه بالحديث انما جاء من هذه الناحية فقد كان فيه اماما وحجة ، روى له مسلم والاربعة وكان زاهدا شديدا على أهل البدع وكان يعد شيخ أهل البصرة في الحديث والفقه ،وقد روى عنه مالك ابن أنس وسفيان الثوري وشعبة وغيرهم .

وقد شهد لحماد بالفصاحة ومعرفة النحو ،قال ابن المحق الجرمي " مارأيت فقيها قط أفصح من عبد الوارث وكان حماد بن سلمة أفصح منه .

شيوخه في علوم العربية :—

١ — الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥هـ) (٢) ويكنى بابي عبد الرحمن أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ، وكان من عباقرة العلماء أعطى اللغة العربية ما لم

---

(١) مصادر طبقات الزبيدي ص ٥١ ، نزهة الالباء ص ٤٠ ، معجم الادباء ص ٢٥٤ نور القبس ص ٤٧ .

(٢) مصادر ترجمته وفيات الاعيان جـ٢ ص ١٦ — ١٧ ،نزهة الالباء جـ١ ص ٣٤٧ ، اخبار النحويين البصريين ص ٥٤ ، الفهرست ص ٦٣ ، طبقات الزبيدي ص ٤٧ — ٥١ ، معجم الادباء جـ١١ ص ٧٢ .

يعطها أحد من العلماء فقد ابتكر العروض وخرج به الى الناس علما كاملا فضبط به الشعر العربى وحفظه من الاختلال ، وابتكر طريقة أحصى بها مفردات اللغة وميز بها المهمل من المستعمل ، ثم دون على هداها معجم العين ، وله كتاب الايقاع ، وكتاب النقط والشكل ، وكتاب النغم ، وكان فى النحو اماما لايبارى فى تصحيح القياس واستنباط المسائل وكان من الزهاد فى الدنيا والمنقطعين الى العلم.

ويروى عنه أنه قال : ان لم تكن هذه الطائفة — يعنى أهل العلم — أولياء الله فليس لله ولى . وكانت صلة سيبويه للخليل قائمة على الحب الخالص والاحترام والاجلال المتبادل . أقبل عليه سيبويه يوما فقال الخليل له " مرحبا بزائر لايمل " قالوا وما سمع الخليل يقولها لغيره . وروى عنه سيبويه فى كتابه أكثر من (٥٢٢ مرة)[1] .

٢ — يونس بن حبيب البصرى (١٨٢هـ)[2] : المكنى بأبى عبد الرحمن مولى بنى ضبة ، أخذ عن أبى عمرو بن العلاء ، وسمع من العرب . وكان من أكابر النحويين — رحمه الله — وأعلمهم بتصاريف النحو وله أقيسة ومذاهب فيه تفرد بها وكانت حلقته بالبصرة يقصدها طلاب علم العربية والاعراب ووفود البادية وقد نذر حياته أعزبا لم يتزوج ولم يتسرّ ، ولا هم له الا طلب العلم وتحقيقه ومحادثة الرجال وله مولفات منها " كتاب معانى القرآن " وكتاب النوادر الكبير " و " كتاب الامثال " وقد أخذ عنه من العلماء الكسائى والفراء وسيبويه ، وجملة ماروى عنه سيبويه فى الكتاب (٢٠٠ مرة)[3] وهو قدر يلى فى عدده قدر ماروى عن الخليل . وكان يونس عالما بالفقه والحديث والتفسير والقراءآت بل كان موسوعة .

---

(١) سيبويه امام النحاة ص ٨٩ ، الناشر عالم الكتب . المطبعة العثمانية بالدراسة سنة ١٣٩٩هـ .

(٢) مصادر ترجمته اخبار النحويين البصريين ص ٥١ ، الفهرست ص٦٣ ،طبقات الزبيدى ص٥١ ، مجالس العلماء للزجاجى ص ٢٤٤ بغية الوعاة ص ٤٤٦ ،سيبويه امام النحاة

٣ — عبد الحميد بن عبد المجيد (١) ، المكنى بأبي الخطاب والملقب بالاخفش الأكبر (٢) ، مولى غيث بن ثعلبة ، لقي الاعراب واخذ عنهم وعن أبي عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبي اسحق . وأخذ عنه الكسائي ويونس بن حبيب وأبو عبيدة معمر ابن المثنى وكان دينا ورعا يخشى الله . روى عنه سيبويه في كتابه (٤٧ مرة) ، سبعا وأربعين مرة . وقد كان من أكابر العلماء ، وهو أول من فسر الشعر بيتا بيتا يعقب كل بيت تفسيره وقد أخذ سيبويه عنه اللغة ، وذكره في الكتاب بكنيته وكل ما يروى عنه نصوص ومفردات منها " هذا باب ماتكون فيه أنّ وأنْ سلتهما بمنزلة غيرهما من الاسماء " . وكانت وفاته سنة (١٧٧هـ/ ٧٩٣م).

٤ — عيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩هـ) (٣) ،وكنيته أبو سليمان ، وهو مولى خالد بن الوليد المخزومي . نزل في ثقيف فنسب اليهم ، وكان عالما ثقة في اللغة العربية والنحو والقراءآت . أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ، وعبد الله بن أبي اسحق وروى عن الحسن البصري والعجاج بن رؤبه . وأخذ عنه الأصمعي والخليل بن احمد و سيبويه وكان ضبيطا كثير السماع من العرب . وصنف في النحو كتابين أحدهما يسمى الجامع والآخر الاكمال . وقيل : أنهما فقدا ولم يرهما أحد . وكان عيسى ضريرا (٤) ، وروى عنه سيبويه في كتابه اثنين وعشرين مرة (٢٢ مرة) .

---

(١) مصادر ترجمته ، طبقات الزبيدي ص ٤٠ ،نزهة الالباء ص ٤١ ، نور القبس ص ٤٧

(٢) هو ابو الخطاب المذكور عبد الحميد بن عبد المجيد والاوسط هو سعيد بن مسعدة والاصغر هو علي بن سليمان . بغية الوعاة ص ٤٣٦ .

(٣) مصادر ترجمته ، مراتب النحويين ص ٢١ ، الفهرست ص ٦٢ ، طبقات الزبيدي ص ٤٠ ، غاية النهاية ص ٦١٣ .

(٤) سيبويه امام النحاة ص ٩٥ ،عالم الكتب . المطبعة العثمانية بالقاهرة .

٥ — أبو زيد الأنصارى (ت ٢١٤ أو ٢١٥ هـ)[1] وهو سعيد بن أوس الأنصارى الخزرجى من الانصار ، نشأ بالبصرة وأخذ من علمائها وله كتب ومؤلفات منها كتاب الابل والشاء ، وكتاب النبات والشجر ، وكتاب الجمع والتثنية ، رحم الله أبا زيد قال :— " من رأى الأصمعى يتناظر مع سيبويه يقول " إن الحق كان مع سيبويه والأصمعى يغلبه بلسانه "[2] .

ويقول السيرافى :— " وذكر أبو زيد النحوى اللغوى كالمفتخر بذلك بعد موت سيبويه قال : " كلما قال سيبويه وأخبرنى الثقة فأنا أخبرته "[3] وأن سيبويه قد ذكر فى الكتاب غير مرة وأخبرنى الثقة .

٦ — هارون بن موسى البصرى (ت ١٧٠هـ) وكنيته أبو عبد الله وكان يهوديا فأسلم وحسن اسلامه وحفظ القرآن الكريم وبرع فى القراءآت وقد درس النحو وسمع الحديث ، وهو أول من تتبع وجوه القراءآت والفها ، وتتبع الشاذ منها وبحث عن اسناده وقد روى له سيبويه خمس مرات فى الكتاب كلها من القراءآت كقوله : " وحدثنا هارون أن بعضهم قرأ قوله تعالى :— " فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا "[4] . وقوله :— " وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ "[5] ، وزعم هارون أنها فى بعض المصاحف " وَدُّوا لَوْ تَدْهِنُ فيدهنوا " . وهؤلاء هم أشهر العلماء الذين ساهموا فى صنع سيبويه العالم النحوى البلاغى الكبير .

---

(١) مصادر ترجمته اخبار النحويين البصريين ص ٤٨ ، مراتب النحويين ص ٤٢ ، طبقات الزبيدى ص ١٦٥ ، وفيات الاعيان جـ٢ ص ١٢٠ .

(٢) وفيات الاعيان جـ٣ ص ١٣٣ .

(٣) اخبار النحويين البصريين ص ٤٩ .

(٤) الكتاب جـ٢ ص ٤٢١ ، عبد السلام جـ٤ ص ٤٦٧ ، الآية ١٢٨ من سورة النساء .

(٥) الكتاب جـ٢ ص ٤٢٢ بولاق ، عبد السلام جـ٣ ص ٣٦ ، الآية ٩ من سورة القلم .

تلاميـــــــذه :—

لم يكن لسيبويه تلاميذ كثر يوازون شهرته ومكانته الكبيرة فى العالم العربى والاسلامى ، ولعل ذلك يرجع الى سببين هما :—

الاول : — ان سيبويه توفى فى ريعان الشباب .

والثانى :— ان سيبويه قضى السنوات الأخيرة من حياته فى شيراز ، ولم يعد الى البصرة بعد الاخفاق الذى أصابه عند مناظرته للكسائى فى بغداد .

وتعقبت كثيرا من المراجع فلم أجد سوى أربعة من تلاميذه وهم :—

١/ أبو الحسن الأخفش (٢١٥ أو ٢٢١ هـ) (١) .

هو سعيد بن مسعدة الاخفش الاوسط ، مولى بنى مجاشع بن دارم ، ولد بالبصرة وفيها نشأ وتعلم ، وكان أسن من سيبويه ، أخذ النحو عـــــن سيبويه وقد صحب الخليل قبل سيبويه ، كما كان معلما لولد الكسائى — رائد مدرسة الكوفة — وكان من أعلم الناس بالكلام ، وأحذقهم بالجدل ، قد ربّما على مذهب أبى شمر من المعتزلة ، وكان أبو الحسن أحذق أصحاب سيبويه ، والطريق الى كتاب سيبويه ، هو الأخفش ، فان كتاب سيبوية لايعلم أحد قرأه علـــى سيبويه ، ولا قرأه عليه سيبويه ، ولكن لما مات — رحمه الله — قرىء الكتـــاب على الأخفش فشرحه وبينه ، وكان الأخفش هذا — كما ذكر ابن خلكان — يلقب بالاخفش الأصغر فلما ظهر على بن سليمان المعروف بالاخفش ، وهو تلميذ ثعلب (٢٩١هـ) ، والمبرد (٢٨٥) صار هذا وسطا وصار على بن سليمان معروفـــا بالاخفش الاصغر ، وكان الأخفش يناظر استاذه سيبويه ، فقال له ذات يوم " إنما ناظرتك لاستفيد منك فقال سيبويه " أترانى أشك فى ذلك ؟ " وكان الأخفـــش

---

(١) مصادر ترجمته اخبار النحويين البصريين ص ٣٩ ، مراتب النحويين ص٦٨ ،طبقات الزبيدى ص ٧٢ ، تاريخ الادب العربى (٥ اجزاء) جـ٢ ص ١٥١ كارل بروكلمان ، الفهرست ص٨٣ ، نزهة الالباء ص ١٣٣ ، وفيات الاعيان جـ٢ ص ١٣٢ ، بغية الوعاة ص ٩٧

غيورا ومرغاما ، فحين روى لنا قبل ذلك بأن سيبويه قص عليه خبره في بغداد فما كان من الأخفش الا أن شد الرحال الى بغداد ليثأر لاستاذه وصديقه امام البصرة .

وللأخفش مصنفات كثيرة منها :—

معاني القرآن . وكتاب الأوسط في النحو " وكتاب الاشتقاق ، وكتاب المقاييس في النحو ، وكتاب المسائل — وكتاب الملوك ، وكتاب الأصوات وكتاب صفات الغنم وألوانها وعلاجها وأسنانها . وكتاب الواحد والجمع في القرآن الكريم وقال السيوطي :— " ألف أبو الحسن كتابا في الافراد والجمع وكتاب غريب الحديث وكتاب القوافي "(١) .

ويقال ان مصنفات الأخفش في النحو ، كان ينشر فيها ضربا من الغموض والتعقيد ، رغبة في التكسب بها ، واشتهر بانه أول من أملى غريب كل بيت من الشعر نحفه ، كما اشتهر باتقانه لعلم العروض وتأليفه فيه(٢) . رحم الله الأخفش .

٢ — الناشي :—

وكان ممن أخذ عن سيبويه والأخفش ، رجل يعرف بالناشي ووضع كتبا في النحو ، مات قبل أن يستتمها وتوخذ عنه ، قال المبرد :—

" لو خرج علم الناشي الى الناس لما تقدمه أحد "(٣) .

---

(١) الاتقان في علوم القرآن جـ ١ ص ١٩٣ — ١٩٤ ، دار الفكر العربي — بيروت لبنان .

(٢) الحيوان جـ١ ص ٩١ .

(٣) ابو الطيب اللغوي — مراتب النحويين ص ٨٥ .

٣ - قطـــرب (١) :-

محمد بن المستنير ، المكنى بأبى على والملقب بقطرب ،وهو لقب أطلقـــه عليه سيبويه ، لأنه كان يراه بالاسحار واقفا على بابه ، فيقول له : " انما أنـــت قطرب ليل " (٢) والقطرب ذو بهمة تدب لا تفتر ولا تمل ، وهو أحد العلماء باللغـــة والنحو . أخذ عن سيبويه وعيسى بن عمر الثقفى وجماعة من علماء البصرة وأخذ أيضا عن النظام المتكلم المعتزلى ، وكان على مذهبه . توفى قطرب سنة (٢٠٦هـ وكان قبل ذلك قد اتخذه أبو دلف القاسم بن عيسى مؤدبا (٣) لولده (٢٢٥ هـ) وله من الكتب : كتاب معانى القرآن ، وكتاب النوادر وكتاب العلل فى النحو ، وكتاب اعراب القرآن وغيرها .

٤ - الزيـــادى (٤) :-

هو ابو اسحق ابراهيم بن سفيان الزيادى ،كان نحويا لغويا راوية قرأ كتاب سيبويه على سيبويه ولم يتمه (٥) . وروى عن الاصمعى وأبى عبيدة ونظرائهما ، وكان شاعرا ، توفى سنة (٢٤٩ هـ) .

---

(١) مصادر ترجمته : اخبار النحويين ص ٣٨ ، مراتب النحويين ٦٧ ، نزهة الالباء ص ٩١ ، نور القبس ص ١٧٤ ،طبقات الزبيدى ص ٩٩ ، معجم الادباء ١٩/ ٥٢ ، انباه الرواة ٣/ ٢١٩ .

(٢) اخبار النحويين البصريين ص ٣٨ .

(٣) من قواد المأمون ثم المعتصم .

(٤) مصادر ترجمته : الفهرست ص ٩٢ ، طبقات الزبيدى ص ٩٩ ، معجم الادباء جـ ١ ص ١٥٨ ، نور القبس ص ٢١٩ انباه الرواه ١/ ١٦٦ ، اخبار النحويين البصريين .

مناظراته :—

كان القرن الثانى الهجرى وخاصة النصف الثانى منه — ثرى بالمناظرات واللقاءات بين العلماء والأدباء ، وكانت تعقد هذه المناظرات ، التى قد تحدث دون سابق انذار ، اما فى المسجد ، وهو يومئذ منتدى العلماء والمتعلمين الى جانب العبادة واما فى مجالس الخلفاء ، التى تحضرها علية القوم ، واما فى مجالس الوزراء والقواد .

ومن أشهر المناظرات التى ناظر فيها سيبويه ، كانت المناظرة الشهيرة على مر التاريخ ، والتى تواترت أخبارها ، فى خلافة هارون الرشيد ، وكانت بين سيبويه البصرى وعلى الكسائى الكوفى ، معلم ابنى الرشيد ، الامين والمأمون وفى مجلس يحى بن خالد البرمكى وزير الرشيد ، وقيل : إن الرشيد هو الذى أوعز ليحيى البرمكى أن يجمع بينهما .

وهناك مناظرة أخرى كانت فى المسجد الجامع بينه وبين الاصمعى (٢١٣هـ) فى البصرة ، بينما كانت مناظرته مع الكسائى فى بغداد .

وفى ظنى أن المناظرات فى المساجد كانت تحدث بطريقة عفوية ودون تخطيط ، وربما كانت لسيبويه مناظرات غير هاتين المناظرتين الاتيتين ولكن لم يكن لها شأن ، ومنافسة كما كان لمناظرته مع الكسائى (١٨٣هـ) ، لذلك لم أعثر على مناظرات له غير ماذكرته .

١/ مناظـــرة سيبويه والكسائى :ـ

كانت تلك المناظرة فى مجلس يحى بن خالد البرمكى (١) ، وعنده ولداه جعفر والفضل ، وقد قدم سيبويه الى العراق على يحى بن خالد البرمكى فسأله عن خبره ، فقال : جئت لتجمع بينى وبين الكسائى فقال : لاتفعل فانه شيخ مدينة السلام وقارئها ، ومؤدب ولد أمير المؤمنين ، وكل من فى العصر له ومعه فأبى الا أن يجمع بينهما ، فعرف الرشيد خبره فأمره بالجمع بينهما ، فوعده بيوم فلما كان ذلك اليوم غدا سيبويه وحده الى دار الرشيد فوجد الفراء والأحمر وهشام ابن معاوية بن سعدان قد سبقوه ، فسأله الأحمر عن مائة مسألة فما أجابه عنها بجواب الا قال : أخطأت يا بصرى ، فوجم سيبويه وقال : هذا سوء أدب ، فحضر الكسائى ومعه خلق كثير ، فلما جلس قال له : يابصرى ، تسألنى أو أسألك فقال له سيبويه : سل أنت ، فقال له (قالت العرب قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هى) وقالوا أيضا فاذا هو اياها) ، فقال سيبويه : (فاذا هو هى) ولا يجوز النصب ، فقال الكسائى : العرب ترفع كل ذلك وتنصب ، فقال يحى قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما فمن يحكم بينكما ؟ فقال الكسائى : هذه العرب ببابك ، قد جمعتهم من أوب ، ووفدت عليك من كل صقع ، وهم فصحاء الناس وقد قنع بهم أهل المصرين ، وسمع أهل الكوفة والبصرة منهم ، فيحضرون ويسألون ، فقال يحى وجعفر : قد أنصفت وأمر باحضارهم

---

(١) يحى بن خالد : أبو الفضل البرمكى (١٩٠) وزير جواد ، حسن التدبير أدب الرشيد وبقى ملازما له حتى نكبة البرامكة ، والبرامكة أسرة فارسية كانت مجوسية ثم أسلمت وتقربت من السفاح والمنصور ، وبلغت ذروة الغنى والنفوذ العظيم أيام الرشيد ثم تضافرت لديه أسباب كثيرة — سياسية ودينية — فقتلتهم جميعا بعد سبعة عشر عاما من ظهورهم .

فدخلوا وفيهم أبو فقعس وأبو دثار وأبو ثروان ،فسئلوا ، فتابعوا الكسائى ،
ونستخلص مما تقدم ما يأتى :—

١ — تبدو رغبة سيبويه فى التحدى و ثقته بنفسه ،

٢ — حين نسب الكسائى سيبويه للبصرة ، وقال : يابصرى ،ظهر بوضوح أن المناظرة لم تكن مناظرة شخصية بل كان يلاحظ فيها أنها مناظرة بين البصرة والكوفة ، ولذلك أهمل ذكر سيبويه فى مخاطبته واستبدله بيا بصرى ،

٣ — وانى لاظن أن يكون الدافع الذى دفع سيبويه للقيام برحلته ربما يكون القصد منه تحسين الوضع المادى أو الشهرة والمنافسة عند الخلفاء ، حيث مراكز النفوذ ، وان سيبويه يعرف حق المعرفة أنه امام البصريين الذين سبقوا الكوفة فى ارساء قواعد النحو العربى ، والكسائى ومن معه من الكوفيين يحسبون مجىء سيبويه الى بغداد تعديا عليهم بالرغم من أن بغداد عاصمة الخلافة الاسلامية يرتادها المسلمون ورعايا الدولة من كل صقع على امتداد مساحتها الجغرافية ،

٤ — مكانة الكسائى السياسية والعلمية والادبية الكبيرة فى بغداد وأنه رجل يقول فيطاع ،

٥ — ان مايسبق المناظرة من مناوشات من الفراء وخلف ورفضهما لكل إجابة من سيبويه ، وقول خلف له : أخطأت ، سلوك لايصدر من عالم ولا تقتضيه واجبات الضيافة ، مما اضطر سيبويه أن يقول : هذا سوء ادب ،

٦ — انى أعتبر ترك الخيار من جانب الكسائى لسيبويه فيه اعتداد بالنفس من جانب الكسائى ،وقول سيبويه له : سل أنت فيه ايمان الانسان الواثق من نفسه ،

---

(١) مغنى اللبيب جـ١ ص ١٢١ وأنظر سيبويه امام النحاة فى اثار الدارسين خلال اثنى عشر قرنا ص ١٥ ، مطبعة المجمع العلمى العراقى ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م ،

ولا يخفى ان هذه المناظرة جمهورها من الكوفيين والبغداديين ، ولم يكن هناك من حضر مع سيبويه ليشد ازره ، ووجه الصواب فى هذه المسألة ماذكره ابن هشام (١) فقال : " أما سؤال الكسائى فجوابه ما قال سيبويه وهو " فاذا هو هى " هذا هو وجه الكلام مثل (فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ) (٢) وقوله تعالى: فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى) (٣) وأما (اذا هو اياها) فخارج عن القياس ولستعمال الفصحاء واذا ثبتت فنجد أن القياس ما قاله سيبويه — رحمه الله — وهو المتمشى مع المنطق فهو مبتدأ وهى خبر وهما ضميرا رفع (٤) . وكانت هزيمة سيبويه فى هذه المناظرة ترجع الى عوامل منها :—

١ — لم يأخذ معه من أنصاره أحدا يؤازره ويقف الى جانبه .

٢ — هو لايؤمن بالقياس على الشاذ وهذا مذهبه .

٣ — لم يكن سيبويه العالم الفذ ، يملك من الفصاحة ما يستطيع التأثير به فى سامعيه .

ويكاد يجمع الذين أرخوا لسيبويه على انه كان لسانه ألكن ، يصعب عليه الافصاح بالعربية لعجمة لسانه وعدم تمكنه من الابانة . (قال احمد بن معاوية الباهلى البصرى : ذكر سيبويه النحوى عند أبى ، فقال عمرو بن عثمان قد رأيته ، وكان حدث السن كنت اسمع فى ذلك العصر أنه أثبت من حمل عن الخليل بن أحمد وقد سمعته يتكلم ويناظر فى النحو ، وكانت فى لسانه حبسة (٥) ونظرت فى كتابه فرأيت علما ابلغ من لسانه .) (٦)

---

(١) مغنى اللبيب جـ١ ص ١٢٥ .

(٢) ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين سورة الشعراء الآية ٢٦ والاعراف الاية ١٠٨

(٣) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى) سورة طه الآية ٢٠

(٤) نزهة الالباء فى طبقات الادباء : طبعة دار النهضة ص ٦٣ — مصر .

(٥) الحبسة : ثقل فى اللسان يمنع من الابانة .

(٦) سيبويه امام النحاة فى آثار الدارسين — خلال

٢/ مناظرة سيبويه والأصمعي :ـ

فقد دارت بين سيبويه والأصمعي (ت ٢١٣ هـ) وكان الحق فيها مع سيبويه ولكنه هزم بسبب هذه اللكنه التي في لسانه .

قال ابو حاتم السجستاني (ت ٢٥٠ أو ٢٥٥ هـ) : دخلت على الأصمعي في مرضه الذي مات فيه فقلت له : في نفسي شيء أريد أن أسألك عنه قال : ـ سل : فقلت : حدثني بما جرى بينك وبين سيبويه من المناظرة فقال : والله لولا أني لا أرجو الحياة من مرضتي هذه ماحدثتك . انه عرض على شيء من الأبيات التي وضعها سيبويه في كتابه . فسرتها على خلاف ما فسره ، فبلغ ذلك سيبويه فبلغني أنه قال لا ناظرته الا في المسجد الجامع . فصليت يوما في الجامع ثم خرجت ، فتلقاني في المسجد فقال لي : اجلس يا أبا سعيد ، ما الذي أنكرته من بيت كذا وبيت كذا ؟ ولم فسرت على خلاف ما يجب ؟ فقلت له ما فسرت الا على ما يجب والذي فسرته أنت ووضعته خطأ ، تسألني وأجيب . ورفعت صوتي . فسمع العامة صياحي ونظروا الى لكنته ، فقالوا : لو غلب الأصمعي سيبويه . فقال لي اذا علمت أنت يا أصمعي ما نزل بك مني ، لم التفت الى قول هؤلاء : ونفض يده في وجهي ومضى ثم قال الأصمعي : يا بني فوالله لقد نزل بي منه شيء وددت أني لم اتكلم في شيء من العلم)[1] .

فنحن نرى أن لكنته سبب هزيمته في مناظرته ولقد تركت مناظرة سيبويه والكسائي اثرا كبيرا في نفوس كثير من العلماء الذين يؤمنون بصدق سيبويه كما كانوا أيضا يؤمنون بخطأ الاعراب الذين أخذ عنهم الكسائي . ولم ينظر الى هذه

---

(١) سيبويه امام النحاة ـ في آثار الدارسين ـ خلال اثنى عشر قرنا ص ١٧ مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م .

المناظرة على أنها لقاء بين عالمين فاضلين ومنافسة انتهت ويجب أن ينتهى معها كل شيء وأن يعود الامر بينهما الى ما ينبغى أن يكون عليه من مودة وطيب خاطر ، فالعلم بين أهله رحم ماسة ، وواشجة موصولة لولا شوائب عابرة وغواش متقشعة ، ولكن نظرة التعصب عند البصريين والكوفيين هى التى أجّجت البغضاء بين علماء المسلمين .

منزلة سيبويه بين العلماء في القرن الثاني الهجري :—

كان سيبويه — رحمه الله — قمة في النحو العربي ، وقد أثنى عليه بعض معاصريه بكلمات طيبة ، تحمل في ثناياها الإعجاب والتقدير ، وحاول بعض منهم النيل والتنقيص منه .

قال في تهذيب اللغة :— " وكان علامة حسن التصنيف "(١) . وقال الخطيب البغدادي :— " كان سيبويه النحوي غاية الخلق في النحو "(٢) . وقال ابن خلكان : " كان أعلم المتقدمين والمتأخرين في النحو "(٣) . وقال أبو الطيب اللغوي " وهو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل "(٤) . وقال في روضات الجنات : " إمام أئمة العراق ، واستاذ العربية على سبيل الاطلاق ، مشهورًا أمره في الآفاق "(٥) . وقال الزجاج (٣٢١ هـ) : " إذا تأملت الأمثلة من كتاب سيبويه ، فتبينت أنه من أعلم الناس باللغة "(٦) .

بعد ثناء هؤلاء العلماء على سيبويه وعلمه ، إلا أنه لم يسلم في علمه وشخصه من التجريح والتنقيص . قال الزجاج : " دخلت على ثعلب (٢٩١هـ) وكان عنده أبو موسى الحامضي (٣٠٥هـ) فعاب سيبويه باللكنة ، ثم قال : بلغني عن الفراء أنه قال : " دخلت البصرة ، فلقيت يونس وأصحابه ، فسمعتهم يذكرون سيبويه

---

(١) تهذيب اللغة ص ٩ ، للأزهري .
(٢) تاريخ بغداد جـ ١٢ ص ١٩٦ . القاهرة ١٩٣١م .
(٣) وفيات الأعيان جـ ٣ ص ١٣٣ .
(٤) مراتب النحويين ص ١٦ ، نهضة مصر . القاهرة ١٩٥٥م .
(٥) روضات الجنات ص ٥٠٢ .
(٦) طبقات النحويين واللغويين ص ٤٤ . والزجاج هو ابو اسحاق ابراهيم بن سهل من النحويين المعروفين بالفضل والدين .

بالحفظ والدراية ، وحسن الفطنة . فأتيته ، فإذا هو أعجم لا يفصح سمعته يقول لجارية له : هات ذيك الماء من ذاك الجرة ، فخرجت من عنده ولم أعد اليه فقلت له : هذا لا يصح من الفراء ، وأنت غير مأمون فى هذه الحكاية ، ولا يعرف أصحاب سيبويه من هذا شيئا . وكيف يقول فى أول كتابه : " هَذَا بَابُ عِلْمِ مَا الكَلِمُ مِنَ العَرَبِيَّةِ "(١) . وهذا يعجز عن إدراكه كثير من الفصحاء ، فضلا عن النطق بها . فقال ثعلب : قد وجدت فى كتابه نحوا من هذا ، قلت ما هو ؟ قال : يقول فى كتابه : " حاشا " حرف يخفض ما بعده ، كما تخفض حتى وفيها معنى الاستثناء ، فقلت له : هذا ، كذا فى كتابه ، وهو صحيح مذهب فى التذكير الى الحرف وفى التأنيث الى الكلمة "(٢) .

وأظن أن أصحاب هذه القصة كلهم من الكوفيين ، فقد قصها الفراء ورواها أبو موسى الحامض وعززها وأقرها ثعلب ، وهذا يدعو الى الشك وقلة الاطمئنان اليها ، ولا سيما اذا ذكرنا فضل سيبويه على اللغة العربية ، ومكانته بين أئمتها الذين يشار اليهم بالبنان . ونحن نعرف أن الفراء والحامض كانا ينفسان على سيبويه ولا يحترمانه ويقدرانه حق قدره ، وأن ثعلبا قد برهن باحتجاجه لقصة الفراء ، أنه ليس أقل من زميليه فى التحامل على الرجل وعدم انصافه لأن ثعلبا لا يعدم مع سعة روايته أن يخرج عبارة سيبويه عن (حاشا) لولا الحسد الكامن فى النفوس .

ويقول صاحب سيبويه امام النحاة : " أما ماروى من أن سيبويه قال لجاريته تلك العبارة فانها ظاهرة التكلف ، لانه يريد ماء بعينه من جرة

---

(١) السيرافى : اشارة الى ما فى نفسه من العلم الحاضر ، أو أشار الى منتظر قد عرف قربه هذا الشتاء مقبل ، وهذه جهنم التى يكذب بها المجرمون . والثالث : وضع كلمة الاشارة ليشير بها عند الفراغ من الكلام

بعينها ، وتعيين الجرة يغنى عن تعيين الماء ، لأنه حال فيها وهى محل له فليس به حاجة إذاً إلى أن يشير اليه . فيقول : هات هذا الماء من هذه الجرة . لكنه الهوى قاتله الله "(١) .

وانى أرى أن هذه القصة ، ان تكن تحمل ذما لسيبويه فى بعض جوانبها إلا أنّها حملت له مدحا كبيرا على لسان الفراء نفسه ، ألم يقل الفراء ؟ وهو يحدث عن سبب زيارته ، فيقول : دخلت البصرة فلقيت يونس وأصحابه ، فسمعتهم يذكرون سيبويه بالحفظ والدراية وحسن الفطنة ، فلو لم يكن سيبويه ، رجل جدير بما نسب اليه ، لما مدحوه بهذه الصفات الحسنة بالغيب وهو غير موجود معهم ، والمدح فى هذا المقام لامجاملة فيه ولا محاباة .

وأيضا مما يقيم جدارا من الشك والريبة فى النفس حول عدم صدق هذه الرواية ، أنها تكون فى منزل سيبويه ولا تكون فى المسجد الذى كان فى تلك الفترة من الزمن ، مدرسة وناديا ومتعبدا ، يتجه اليه العلماء والمتعلمون على السواء ، وتقام فيه الحلقات والمناظرات ، وجل وقتهم يقضونه فيه .

ومن قصص النَّيل من سيبويه : (أن بعضهم فيما يقول عن نفسه ، سَهِرَ لَيْلَةً يدرس ، ثم نام فرأى جماعة من الجن يتذاكرون الفقه والحديث والحساب والنحو والشعر ، فقال لهم أفيكم علماء ؟ قالوا : نعم . قال : هم فى النحو فإلى من يميلون من النحويين ؟ قالوا : الى سيبويه ، وسمع الحاضر القصة فيقول : إنّما مالوا اليه ، لأنّ سيبويه من الجن)"(٢) .

---

(١) سيبويه امام النحاة ، لعلى النجدى ص١٢٦ .
(٢) نزهة الالباء ص ٧٧ .

وكأنى بأبى موسى الحامض ، يريد أن يقلل من مكانة سيبويه ويعيبه ويهون من شأنه ، لأنه يعلم أن سيبويه من الانس ، ولا تكون المفاضلة والترجيح إلاّ بين الأشباه والنظراء ، ولا يتحقق هذا هنا ، فأين الإنسان من الجن ؟ فالخلق مختلف ، قال تعالى : (خَلَقَ الإنسانَ مِن صَلْصَال كَالفَخَّارِ ، وَخَلَقَ الجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ) (١) . ويكون الحامض حين نسب سيبويه الى الجن قد مدحه ببراعته فى النحو ، حتى جعله شخصية خرافية تنسب اليها الأعاجيب وتنسج حولها الأساطير ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، ولو حسد الحاسدون . وصدق الشاعر حيث يقول :—

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفكم أو تحجبون هلالها

وقال الأخفش : كنت عند يونس ، فقيل له ، قد أقبل سيبويه فقال : أعوذ بالله منه ، قال : فجاء فسأله فقال : كيف تقول : " مررت به المسكين ؟ فقال : جائز أن أجره على البدل من الهاء . قال : فقلت له : " فمررت به المسكين " على معنى " المسكين مررت به " فقال : هذا خطأ ، لأن المضمر قبل الظاهر ، قال فقال له : إنّ الخليل أجاز ذلك ، وأنشد فيها أبياتا ، فقال هو خطأ : فغمنى ذلك . قال فمررت به المسكين . فقال : جائز . فقال على أى شىء ينصب ؟ فقال : على الحال ، فقال سيبويه : أليس أنت أخبرتنى على أن الحال لا تكون بالألف واللام ؟ فقال له : صدقت ، ثم قال سيبويه فما قال صاحبك — يعنى الخليل — فيه ؟ فقال سيبويه : قال لى : انه ينصب على الترخيم ، فقال : ما أحسن هذا ورأيته مغموما بقوله : نصبته على الحال " (٢) .

---

(١) الآيتان ١٤ / ١٥ من سورة الرحمن .

(٢) سيبويه إمام النحاة ، فى آثار الدارسين خلال [illegible]

وهذه القصة تنبىء عن مكانة سيبويه، فهذا يونس لستاذه ومن مريديه يتعوذ من قدومه لا لشيء إلاّ أن سيبويه القوى العالم المتوقد الذهن يسود المجلس بالعلم والمناقشة ، حتى أن استاذه كان يحمل له ألف حساب ، ألم يقل عنه الفراء الكوفى الذى ينفسه علمه ، سيبويه عضلة من العضل ؟

وتكفى شهادة الخليل بن أحمد عنه استاذه الذى يحترمه ويقدره ويجله " مرحبا بزائر لا يمل " .

قال ابو عمرو المخزومى : " وكان كثير المجالسة للخليل : ما سمعت الخليل يقولها لأحد الا لسيبويه "(١) .

---

(١) وفيات الاعيان جـ ٣ ـ ٤٦٥ .

الحياة العلميـــة فى عصـــره :-

دفع الاسلام العرب الى العلم والتعلم ، واشعل فى نفوسهم جذوة المعرفة فلم يمض قرن حتى أخذت العلوم الدينية واللغوية توضع أصولها ، وأخذ العرب يلمون بما لدى الأمم التى هداها الله لدينه من علوم وثقافات ، وقد نقلوا كـــل ذلك الى لغتهم التى استوعبت ذلك ، قال الجاحظ : " وكانت الناشئة تبدأ بالتعلم فى الكتاتيب حيث يتعلم الواحد منهم مبادىء القراءة والكتابة وبعض سور القرآن الكريم ، وشيئا من الحساب وبعض الأشعار والأمثال ، وكان بعض معلمى هذه الكتاتيب يعلمون الناشئة أيضا السنن والفرائض والنحو والعروض "(١) .

ومن كلام الجاحظ يتضح أن معلم الكتاتيب يكون عالما نحويا وعروضيا ولـه معرفة بعلم الميراث والحساب ، وحافظا للقرآن الكريم وحسن الكتابة وكانت تنعقد فى المساجد حلقات العلم الكبرى ، ولم تكن بيوتا للعلم فحسب بل كانت معاهد لتعليم الشيوخ والشباب ومكانا للمناظرات بين فحول العلماء ، وكان يتلقى فيهـــا العلم على صورة مألوفة عندنا الآن كما فى الجامع الازهر " حيث يجلسون حول الأساتذة يكتبون ما يلقونه أو يملونه ، وكان الاستاذ يستند عادة الى عمود فى المسجد ثم يأخذ فى القاء محاضرته أو املائها وكان لكل فرع حلقة خاصة به ، فحلقة لفقيـــه وحلقة لمحدث أو مفسر أو للغوى وحلقة لنحوى وحلقة لمتكلم "(٢) .

إن ظاهرة تعدد الحلقات تدل دلالة واضحة على تنويع فى المعارف كما أن من أهم أسباب بلوغ الحركة العلمية غايتها الواسعة استخدام الورق فى الكتابة فقـــد

---

(١) البيان والتبيين جـ٢ ص ١٨٠

(٢) انباه الرواة جـ٢ ص٣٧ ، معجم الادباء جـ١١ ص٢٢٨ .

أخذ يكثر ويعم منذ بداية العصر العباسى الأول ، وكانوا قبل ذلك يعانـــون كثيرا ، إذ أنهم يكتبون فى الجلود وورق البردى وغير ذلك .

" قد أنشأ الفضل بن يحيى البرمكى فى عهد الرشيد مصنعا ببغداد للورق ففشت الكتابة فيه لخفته وغلبت على الكتابة فى الجلود والقراطيس "(١) .

وقال الجاحظ (ت ٢٢٥هـ): " وقد كان للوراقين دور كبير فى إثراء الحركة العلمية ، وبلغ من عناية الوراقين بعملهم أن موه بعضهم خطوطه بالذهب "(٢) ولم تكن الكتب والمساجد كل ما هيأ لازدهار الحركة العلمية (فقد كانت هناك مجالس الخلفاء والأمراء والقواد والمناظرات ، كما روى بين الكسائى الكوفى واليزيدى البصرى بين يدى المهدى ، وما روى من مناظرة الكسائى وسيبويه — المتقدمة — بيـــن يدى الرشيد أو بين يدى يحيى بن خالد البرمكى ، وكانت ندوات البرامكة ندوات للمتكلمين "(٣) .

ونرى الخلفاء العباسيين منذ بداية عصرهم قد عنوا عناية كبيرة بنقل العلوم وترجمتها بشغف ، فهذا المنصور يقول فيه المسعودى : " كان أول خليفة قـــرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم ، وكان معه نوبخت المجوسى ، وأسلم على يديه وهو أبو هؤلاء النوبختية — وابراهيم الفزارى وعلى بن عيسى الأسطر لابى المنجم، وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية الى العربية ، ومنها كتاب "كليلة ودمنه " وكتاب السند هند ، وترجمت له كتب أرسطوطاليس "(٤) . وهنا نحن نرى

---

(١) الفهرست ص ٨١ ، لابن النديم ، تحقيق رضا — تجدد ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م .
(٢) كتاب الحيوان جـ١ ص ٥٥ .
(٣) مجالس العلماء للزجاجى ص ٢٨٨ .
(٤) المسعودى جـ٤ ص ٢٤١ .

المنصور لم يكتف بما عند الفرس من علم الفلك والتنجيم بل ترجمت له كتب الهنود والفرس واليونان ، واستمرت الترجمة الى أن بلغت أوجها فى عصر الرشيد ووزرائه البرامكة ونشطت نشاطا واسعا ، بعد انشاء دار الحكمة ، وتوظيف طائفة كبيرة من المترجمين ، وجلب الكتب اليها من البلاد التى فتحها المسلمون ، ثم جاء المأمون ، فعنى عناية لامثيل لها بالناحية العلمية وكذلك الخلفاء من بعده وكان الخلفاء يشاركون فى الجلسات العلمية ويتأثرون لأنهم يفهمون ، وينتقدون لأنهم يفقهون لغتهم العربية . وما من علم إلا واللغة فى خدمته ، وتكون سلامتها وحسن استخدامها من عناصر نجاح تعليم ذلك العلم . هذا فى مجال العملية التعليمية ، أما فى مجال البناء الاجتماعى ، فاللغة — أى لغة — تعد دعامة من دعائم جذور الأمة الأساسية ، ثم الدين والتاريخ المشترك ، بل إن اللغة هى الأمة تقوى وتنتشر بقوتها وتضعف وتضمحل بضعفها . واستمع الى وصية الحاكم الفرنسى لجيشه الزاحف الى الجزائر وهو يقول : " علموا لغتنا وانشروها حتى نحكم الجزائر ، فإذا حكمت لغتنا الجزائر حكمناها "(١) .

وكانت اللغة العربية لغة القرآن والحديث ، هى لغة الدولة الاسلامية على امتدادها شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ، وكان خلفاء الدولة يكرمون العلم ويجلسون العلماء . وروى أن الرشيد أشرف على الكسائى وهو لايراه فقام الكسائى ليلبس نعله لحاجة يريدها فابتدرها الأمين والمأمون فوضعاها بين يديه فقبل رؤسهما وأيديهما ثم أقسم عليهما الا يعاودا . فلما جلس الرشيد مجلسه قال : "أى الناس اكرم خادما ، قالوا أمير المؤمنين أعزه الله . قال : بل الكسائى يخدمه الأمين والمأمون وحدثهم الحديث "(٢) .

---

(١) تطوير مناهج تعليم القواعد فى مراحل التعليم العام فى الوطن العربى ص٣٠ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

وكانت مجالس الخلفاء عامرة بالعلماء ، والخلفاء أشد رغبة فى استجلاب واستقطاب العلماء الى مجالسهم والتحدث اليهم ، وهذا المازنى (٢٣٠ هـ) حين طلب منه الواثق أن يستبقيه قال له المازنى : " يا أمير المؤمنين إن الغنم لفى قربك والنظر إليك والامن والفوز لديك ، ولكنى ألفت الوحدة وأنست بالانفراد ولى أهل يوحشنى البعد عنهم ويضرّ بهم ذلك ، ومطالبة العادة أشد من مطالبة الطباع " . ولما اعتذر قال له الخليفة: " لا تقطعنا وان لم نطلبك ، فقلت : السمع والطاعة وأمر لى بألف دينار "(١) .

وكان للعلماء مكانة بين علية القوم رفيعة وسامية إذ كان منهم المؤدبون الذين يشرفون على تربية أولاد الخلفاء والأمراء والرؤساء ، كالكسائى والمبرد ومن لم يستطع من هؤلاء أن يحظى بأحد الاعلام مؤدبا لأولاده ، كان حريصا على أن يتصل به ويستزيده ويخطب وده ويجذل عطاءه ، كذلك كانت منزلتهم فى الحياة العامة فقد عظمهم الناس وأنزلوهم من أنفسهم منزلة الاجلال والاكبار وضربوا بهم المثل فى سعة العقل وحدة الفهم والاحاطة بمسائل العلم ، فما أقروه بقى وماتركوه ضاع وكان علية القوم وعامة الناس على حد سواء حرصا منهم على صحة كلامهم ، والجميع يلجأ اليهم إذا خفى عليهم وجه الصواب . " فقد استخدم المهدى مثلا الكسائى بسبب الرغبة فى معرفة كيفية صياغة الأمر من السواك بالاضافة الى حرصه على وجود نحوى كبير الى جانبه يرجع اليه عند اللزوم "(٢) . وكان اتصال الواثق بالمازنى بسبب بيت من الشعر ضلّ فى توجيهه الحاضرون فأرسل الخليفة اليه وكان المازنى استاذ العربية فحضر وأنقذهم من حيرتهم "(٣) .

---

(١) معجم الأدباء جـ٧ ص ١١٦ .
(٢) القفطى . انباه الرواه جـ٢ ص ٢٥٩ .
(٣) ياقوت . معجم الأدباء جـ٧ ص ١١١ — ١١٢ .

الحياة الثقافيـة فى عصـــره :ـ

فقد حمل العرب رسالة الاسلام العظيمة ، الى أنحاء الدنيا ، ونزلوا بهـــا فى كل بقعة من المعمورة ، وامتدت دولة بنى العباس الى الصين وأواسط الهنـــد شرقا والى المحيط الأطلسى غربا ومن المحيط الهندى والسودان جنوبا الى بـلاد الترك والروم والصقالبة شمالا ، وبذلك كانت تضم بين جناحيها بلاد السند وخراسان وما وراء النهر وايران والعراق والجزيرة العربية والشام ومصر والمغرب .

وكانت تعيش منذ القدم فى هذه البلاد شعوب لها حضارات عريقة وامتـزج العرب بها — بعد فتحها — عن طريق المصاهرة وتسرّى الإماء ، وكان وراء هذا الخلط بين العناصر العربية والعناصر الأجنبية مزج روحى عن طريق الولاء الذى شرعـة الاسلام ، فالشخص مهما كان أصله ، فيكون عربيا بالولاء ، واستطاع الاسلام الحنيف بتعاليمه السمحة أن يحدث اختلاطا قويا بين العناصر المختلفة التى كانت تتألف منها الدولة العربية ، وهو اختلاط فى رأيى لم يبلغه بامتداده على الأرض المفتوحة ، وانما بالسيطرة على القلوب ، وكل من أسلم من الشعوب المفتوحة بلادهـا أسرع الى تعلم القرآن الكريم ومبادىء الاسلام ومثله وقيمه وكان سكان هذه البقـــاع يتكلمون لغات مختلفة ، ولا نكاد نتصفح تاريخ تلك البقاع بعد فتحها بنحو قرن ، حتى نجد العربية قد انتشرت وملكت ألسنة الناس وقلوبهم ، وبلا شك كان هذا تطـورا كبيرا ، إذ أصبحت جميع هذه الشعوب عربية اللغة والفكر والشعور . وقد أقبل بنـــى ساسان الفرس ، على العربية إقبالا كبيرا لا مثيل له ، فاتقنوا العربية واتخذوها أداة للتعبير عن عقولهم وما يجول بخواطرهم ، حيث نجد أكثر العلماء والكتاب والشعراء منهم ، فهم يقبلون على درس الشريعة الاسلامية ويتألق فيها ويبرز الإمام أبو حنيفة النعمان وتلاميذه ، وكذلك نراهم يقبلون على جمع اللغة العربية وتدوين أصولها النحوية

ما فعل عبد الله بن المقفع ، ويقبلون على الشعر ويصبح من شعرائهم الكبار بشار بن برد ، وأبي نواس وغيرهما . وان كل ألوان الثقافات العامة ، التي كانت منتشرة في البلدان المفتوحة من أواسط آسيا الى مشارف جبال البرانس ، تحولت الى العربية دون حاجة الى ترجمة ، لان شعوب هذه الثقافات تحولوا عربا فكان من باب أولى أن تتحول معهم ثقافاتهم ، وأهم تلك الثقافات كانت الفارسية واليونانية والهندية ، وكان أصحاب الديانتين النصرانية واليهودية يشاركون في هذه الحياة كما يصور لنا الكاتب الكبير الجاحظ في رسالته (الرد على النصارى) وموقف العرب منهم حينئذ ومن اليهود ، فيقول: «إنهم اقرب من اليهود الى العرب مودة وأسلم صدورا ، فإن اليهود طووا قلوبهم على عداوة الاسلام ورسوله الكريم منذ مقامه بين ظهرانيهم في يثرب ، على حين آوى نصارى الحبشة من هاجر اليهم من أصحاب الرسول فرارا من اضطهاد قريش ومدوا اليهم يد البر والعون » . ويقول الجاحظ : إن نصارى بغداد كانوا ينهضون بالصناعات المربحة مندمجين في حياة الخلفاء والرعية ، بينما كان اليهود يحترفون الصناعات الرذيلة الحقيرة ، فمن النصارى كتاب السلاطين وأطباء الأشراف والعطارون والصيارفة ، أما اليهود فمنهم الصياغون والدباغون والقصابون والحجامون وقد رسخ في ذهن العرب أنهم أقذر الأمم » .(١)

ونحن نعلم أن أناسا من اليهود قد ذكرتهم كتب السيرة بأنهم قد أسلموا منذ عهد الاسلام الأول ونشروا كثيرا من الاسرائيليات ، التي دخلت فيما بعد كتب تفسير القرآن الكريم على نحو ما هو معروف عن كعب الأحبار ووهب بن منبه ومن على

---

(١) هذه الرسالة في ثلاث رسائل للجاحظ ، نشر فنكل ، وأنظر العصر العباسي الأول ص ٩٦ . شوقي ضيف .

شاكلتهما وقد استغل الخطباء والوعاظ ذلك فى وعظهم للعامة " وكانت فرقة أسلمت بلسانها وأسرّة العداوة والبغضاء للاسلام وتحاول أن تهدمه هدما بما يدخل عليه من العقائد المنحرفة وبما يثير من الفتن بين أصحابه مثل عبد الله بن سبأ وقد لعب دورا فى فتنة عثمان والتأليب عليه واحداث أول فرقة فى الاسلام حتى إذا حدثت أخذ يلقى فى روع بعض الضعفاء والعوام أن على بن أبى طالب فوق البشر وأن روح الرسول حلت فيه ولما مات قال : إنه اختفى وسيعود . وبذلك وضع نواة التشيع الباطن ، بل وضع نواة غلاة الشيعة جميعا ورافضتهم الذين طالما حاجهم وجادلهم المعتزلة فى هذا العصر " (١) . ومن خلال هذا النص يتضح لنا أن اليهود كانوا وراء تكوين الشيعة وغيرها من الفرق التى أحدثت تصدعا فى جسد الأمة الاسلامية ، ولا ريب أن ابن سبأ لم يكن وحده ، بل له خلفاء كثيرون من جنسه يفسدون على طريقه .

أما دور النصارى فإنهم كانوا متعاطفين الى حد مع المسلمين ولم تكن عداوتهم مثل عداوة اليهود : " ومن الحق أن النصارى لم يكونوا يبطنون للاسلام من العداوة ما أبطنه اليهود على نحو ما لاحظ الجاحظ ، وكان المسلمون يبرونهم ويعاملونهم معاملة كريمة ، وقد دخل منهم جمهور غفير فى الاسلام وامتزج العرب بهم واكثروا من تسرى جواريهم ... مما هيأ لقاحا ثقافيا اذ نشأ جيل كبير أمهاتهم من المسيحيات ، روميات وغير روميات ، وطبيعى أن يحمل هذا الجيل عن أمهاتهم ثقافتهن وكثيرا من طباعهن وعاداتهن "(٢) .

---

(١) النجوم الزاهرة جـ٢ ص٢٩ للسيوطى .
(٢) الشهرستانى ص ٤٢ .

وصدق الله العظيم اذ بين شدة عداوة اليهود ، وقرب مودة النصارى للمؤمنين قال تعالى :— " لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ "(١) .

قال البيضاوى — رحمه الله —: لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا ، اليهود والذين اشركوا ، لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم ولا نهماكهم فى اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الأنبياء ومعاداتهم ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل وأشار اليه بقوله :— " ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ، عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود ، وفيه دليل على أن التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمدة وإن كانت من كافر "(٢) .

كما لايخفى أن للرهبان المنتشرين أثر كبير فى ثقافتهم وعظمهم وما كانت تقدمه الأديرة وأماكن العبادة . ومما لا شك فيه أن المسلمين اندمجوا فى النصارى لهذا العصر اندماجا كبيرا ، جعلهم يتخذون منهم كتاب الدواوين والاطباء ونقلة علوم الأوائل وغير ذلك فكانت الثقافة على درجة عالية فى ذلك العصر لتوفر مقوماتها .

---

(١) الآية ٨٢ من سورة المائدة .
(٢) تفسير البيضاوى ص ١٥٩ ، المطبعة العثمانية سنة ١٣٠٥هـ .

الحياة النحوية فى عصره :—

كان العلماء فى البصرة والكوفة يعنون كثيرا بجمع ألفاظ اللغة واشعار العرب فى الجاهلية والاسلام ، وكان الدافع الى ذلك حاجة الشعوب غير العربية التى دخلت فى الاسلام وهى لا تعرف لغة القرآن الكريم وما تفشى من كثرة اللحن على ألسنة الموالى ، وعلى ألسنة بعض العرب أنفسهم بسبب اختلاطهم بالعناصر الوافدة وماحدث من ضعف سلائق العرب بسبب تحضرهم واختلاطهم . وكانت هناك لهجات تتفاوت قربا وبعدا من الفصحى لذلك قام علماء البصرة والكوفة يجمعون ألفاظ اللغة واشعارها حتى لا تضيع اللغة العربية فى لغات الوافدين وحتى تسلم لها مقوماتها الأصلية وتطرح عنها دخائل اللهجات القبلية . وقد اشترط العلماء على أنفسهم أن لا يأخذوا اللغة من عربى حضرى ، وأن يتنقلوا فى طلبها الى باطن الجزيرة العربية حتى ، يأخذوها من منابعها الثرة ، وكانوا يهدفون الى الآتى :—

أولا :— أن يكتسبوا السليقة اللغوية الأصيلة وأن يقوّموا ألسنتهم .

ثانيا :— أن يسجلوا مادتهم اللغوية السليمة من الأفواه مباشرة ويعرضونها على الدارسين فى حلقات المساجد وعلى الناشئة .

ويقول أبو نصر الفارابى (و ٢٥٩هـ / ٨٧٢م) :— " والذين عنهم نقلت العربية وبهم أقتدى ، وعنهم أخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب هم . قيس وتميم وأسد ، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه وعليهم أتكل فى الغريب وفى الإعراب والتصريف ثم هزيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم وبالجملة فإنه لم يؤخذ

لسائر الأمم الذين حولهم فإنه لم يؤخذ من لخم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط ، ولا من قضاعة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام ، وأكثرهم نصارى يقرؤون العبرانية ولا من تغلب والنمر فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ولا من بكر لمجاورتهم للنبط والفرس ، ولا من عبد القيس وأزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ولا من بنى حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ولا من حارة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدءوا ينقلون لغة العرب ، قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم (١) .

وهكذا كان العلماء يبحثون وينقبون ويتوغلون فى نجد ، حيث اللغة العربية الفصيحة من مصادرها الأصلية التى لا يشوبها ريب فيملئون حقائبهم من هنا وهناك ويتحرون فى ذلك . قال أبو عمرو بن العلاء (١٥٤ ، ١٥٩) :ـ

" لا أقول قالت العرب إلا ما سمعت من عالية السافلة وسافلة العالية ويقصد الجزء الغربى من نجد وما يترامى إليه من السفوح الشرقية لجبال الحجاز وسرعان ما أقبل من أقوار نجد الى البصرة والكوفة ثم بغداد ، بعض الاعراب الفصحاء ليتكسبوا برواية الشعر وتلقينها للناشئة وبعض العلماء " . وإذا تجاوزنا هذه المرحلة ، مرحلة جمع اللغة ورواية الشعر ، وأبى الأسود الدؤلى ـ (٦٩هـ) وجدنا البصرة تسبق الكوفة الى وضع قواعد ومصطلحات النحو وصبغها بالصبغة العلمية وأن أول نحاة البصرة عبد الله بن أبى اسحاق الحضرمى (١١٧هـ) وعيسى بن عمر الثقفى (١٥٩ هـ) . وكانت المادتان اللتان اعتمد

---

(١) المزهر للسيوطى ، جـ ١ ص ٢١١ ط الحلبى .

عليهما البصريون فى وضع صرح النحو العربى كما يوضح كتاب سيبويه القياس والعلل . اما القياس فيتضح فى ضبطه القواعد وأما العلل ،فمقدمات القياس التى تثبت صحته بما تقدمه من أدلة عقلية صائبة وأضاف اليها من آرائه ما يدل دلالة بينة على نفاذ بصيرته وذكائه وفطنته . ولم تكن الحياة النحوية منذ أوائل ذلك العصر فى الكوفة معدومة فقد كان بها طائفة من النحاة غير أنهم لم يبرعوا فى النحو براعة البصريين ومن أجل ذلك كانوا يكثرون من الرحلة اليهم والتلمذة عليهم حتى إذا تقدم العصر أخذوا يستقلون عن نظرائهم فى البصرة ، بمذهب جديد خاص بهم بحيث أصبح فى النحو مذهبان متقابلان مذهب البصرة الذى يعنى بالقياس مستمدا له من استعمال العرب الشائع ومذهب الكوفة الذى يعنى بالسماع ، ويقدمه على القياس مهما كان نادرا أو شاذا ، وأقدم نحاة الكوفة أبو جعفر الرؤاسى (ت ١٩٠هـ) ، تتلمذ على عيسى بن عمر الثقفى استاذ البصريين .

وقد كان لمناقشات ومناظرات نحاة البصرة والكوفة أثر كبير فى شحذ الهمم وبذل الجهود فى خدمة النحو العربى . بل لقد ساعدت تلك المنافسة على الوصول بعلم العربية الى كثرة المؤلفات والنضج كما كانت سببا فى تعدد الآراء وتشعب المذاهب .

اما بغداد أو مدينة السلام وعاصمة الخلافة فقد كان لها دور كبير فى استقطاب نحاة البصرة والكوفة ومزج المذهبين البصرى والكوفى ، وذلك حين قصدها علماء المدينتين المتنافستين ،فإذا الخلفاء يقربون الكوفيين ويتخذون من علمائهم ، معلمين لأولادهم فيكون المفضل الضبى (ت ١٦٨هـ) معلما للمهدى ويكون الكسائى (ت ١٨٩هـ) معلما للرشيد ثم جليسا ملازما له ومعلما لولديه

الأمين والمأمون ، ويكون الفراء صديقا للمأمون ومعلما لأولاده ، ويكون ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) معلما لأولاد المتوكل . وقد يرتقى المقام بواحد من علماء البصرة فينافس زميله الكوفى فى خدمة الخليفة أو تعليم ابنائه كما حدث أن نافس المبرد (٢٨٥ هـ) زميله ثعلبا فى تعليم عبد الله بن المعتز .

ولما كانت أكثر هذه الخلافات شخصية ، لم يقصد بها وجه العلم فإن علينا أن نلاحظ ما يأتى :—

أولا :— إن انتصار الكوفة فى بغداد لم يكن انتصارا لمذهبها العلمى فى النحو على البصرة ، وانما كان نصرا سياسيا فحسب يعنى كان نصرا لعلماء الكوفة لا لعلمها .

ثانيا :— إن التنافس الشخصى بين المدرستين لم يدم طويلا بل انكسرت حدته حين فارق أرضه ، وكأنه ضعف حين بعد عن مدينته وموطنيه الأصليين ولا نت جوانبه فى المجتمع البغدادى المتحضر الجديد ، الذى يجمع ويحوى أصنافا من البشر تختلف سحناتهم وأفكارهم .

كتاب سيبويه وآراء العلماء فيه :-

الكتاب غنى عن التعريف فهو صرح للنحو العربى أودع فيه سيبويه مايدل دلالة واضحة على فطنته ونفاذ بصيرته ، ويعد الكتاب آية متفردة من آيات العقل العربى ، حتى أطلق عليه بعض العلماء " قرآن النحو "(١) . وجميع النحويين الذين جاءوا بعد سيبويه ، تأثروا به تأثراً كبيراً وبكتابه وساروا فى طريقه مرددين أمثلته وأهتدوا بهديه .

يقول محمد عبد الخالق عضيمة ، محقق المقتضب " ومازال كتاب سيبويه — على كثرة ما ألف بعده — عظيم القدر فلم تتغير بهجته ولم تخلق جدته فهو كالدوحة الباسقة وغيره أغصان لها فروع وكالنهر المتدفق يغذى فروعه وجداوله "(٢) . والقارىء لكتب النحو والصرف بعد القرن الثانى الهجرى يجد هذا صدى لما فى كتاب سيبويه ونجد أن الآراء التى خالفوا فيها سيبويه قليلة ومحدودة ، وسرعان ما رجعوا فى كثير مما خالفوا سيبويه ، وقد تغلغل تأثير سيبويه فيهم ، فهذا محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ) بدأ بقراءة كتاب سيبويه على الجرمى (ت ٢٢٥هـ) وختمه على المازنى (ت ٢٣٠هـ)(٣) . وهذا الفراء (ت ٢٥٧) علم من اعلام مدرسة الكوفة الذين يقدمون السماع على القياس مثل استاذه الكسائى (ت ١٨٣ هـ) وقد اكثر من قراءة كتاب سيبويه ليحاول تعقبه ومخالفته فى بعض القاب النحو ، وقد صاغ منها كثيرا اشاعة فى كتابه "معانى القرآن "(٤) .

---

(١) طبقات النحويين ص ٦٥ ط الاولى ، أبى بكر الزبيدى — دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٧٣م .

(٢) المقتضب جـ١ ص ٩٢ ، لجنة إحياء التراث الاسلامى ، القاهرة ١٣٩٩هـ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٤ .

والكثير منهم لم يغير أمثلة سيبويه بل ظلت تردد عبر القرون من كتاب الى كتاب آخر . فنجد سيبويه حين يعرف الصوت المجهور فيقول : " هو حرف اشبع الاعتماد فى موضعه ، ومنع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد ويجرى الصوت "(١) . وكل الذين جاءوا بعد سيبويه لا نكاد نجد فى كتبهم حين تحدثوا عن الصوت المجهور تعبيرا يخالف تعبير سيبويه ، بل جاءت نفس الألفاظ التى عبر بها صاحب الكتاب ولا نجدهم استبدلوا كلمة "أشبع" أو كلمة " الاعتماد " بلفظ آخر ، ولو مرادفا وهكذا كان شأنهم فى باقى كلمات التعريف . وكذلك فى تعريف المهموس لم يغيروا شيئا فيقول : " وأما المهموس ، فحرف أضعف الاعتماد فى موضعه حتى جرى النفس معه "(٢) . ويبدو أن العلماء الذين جاءوا بعد سيبويه كانوا يعتزون بكل ماورد عنه الى حد يكاد يبلغ أقصى درجات التقدير والاعجاب . وقيل : إن بعض العلماء كانوا يحفظون كتابه عن ظهر قلب . ولا نستبعد أنهم ربما تحرجوا من أى تغيير فى كلام معلمهم واستاذهم . واكتفوا من أجل هذا بترديد ألفاظه كما كان هو — رحمه الله — أمينا مع أساتذته الذين نقل عنهم فى كتابه . وقد استحوذ الكتاب على اعجاب العلماء ، لشموله واستيعابه لعلم النحو فهذا المبرد يقول لمن أراد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه : أركبت البحر ؟ تعظيما او استصعابا وقال عنه صاعد الاندلس : " لا أعرف كتابا ألف فى علم من العلوم قديمها وحديثها فأشتمل على جميع ذلك وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب أحدها المجسطى —

---

(١) الكتاب جـ٢ ص ٤٠٥ . بولاق . عبد السلام هارون جـ٤ ص٤٣٤ .
(٢) الكتاب جـ٢ ص ٤٠٥ . بولاق . عبد السلام هارون جـ٤ ص ٤٣٤ .

لبطليموس فى علم هيوة الافلاك والثانى كتاب ارسطو فى علم المنطق والثالث كتاب سيبويه البصرى النحوى ،فإن كل واحد من هذه لم يشذ عنه من أصول فنه شيئا الا ما لا خطر له "[1] .

وقد كان للكتاب منزلة كبيرة لم ينلها أى كتاب آخر وفى هذا يقول الجاحظ معبرا عن حيرته فى اختيار الهدية المناسبة التى يريد أن يقدمها لمحمد ابن عبد الملك الزيات : " أردت الخروج الى محمد بن عبد الملك الزيات فذكرت فى شىء أهديه فلم أجد شيئا أشرف من كتاب سيبويه "[2] . وكان المازنى يقول :— " من أراد أن يعمل كتابا كبيرا فى النحو بعد كتاب سيبويه فليستح "[3] وقال الزمخشرى (٥٣٨هـ) فى هذا الكتاب :—

ألا صلى الاله صلاة صدق على عمرو بن قنبر
فإن كتابه لم يغن عنه بنو قلم ولا أبناء منبر

وكان أيضا يرثى سيبويه بهذين البيتين . ذلك كانت نظرة الأقدمين لكتاب سيبويه ، نظرة التقدير والتعظيم ولم يقتصر اجلال الكتاب على المعجبين بسيبويه بل كان خصومه فى تقديره والارتفاع به كالمحبين . فقد حدث الأخفش " أنه قرأ كتاب سيبويه على الكسائى ، فوهب له سبعين دينارا ، قال وكان الكسائى يقول له : هذا الحرف لم أسمعه ، فأكتبه لى ،فأفعل "[4] .

وقيمة كتاب سيبويه فى أنه كتاب شامل جامع لقواعد النحو والصرف

---

(١) معجم الأدباء جـ١٦ ص١١٧ .
(٢) وفيات الأعيان جـ٣ ص ١٣٣ .
(٣) وفيات الأعيان جـ٣ ص٤٦٥ ، الفهرست ص٥٧ .
(٤) بغية الوعاة ص٢٦٦ ، وفيات الأعيان جـ٣ ص٤٦٥ .

فى اسلوب علمى دقيق ،وهو أول كتاب فى النحو والصرف يصل الى الناس بصورته الشاملة التى نراه عليها وهو يحوى مادة كبيرة من لغة العرب شعرها ونثرها وفيه خلاصة آراء علماء القرن الثانى الهجرى الذين بنو آراءهم على ملاحظات شخصية للغة العرب الذين أخذوا عنهم فى البوادى مشافهة ، وقد كان — استشهاد سيبويه فى كتابه بآيات من القرآن الكريم مدعاة الى تحرج بعض العلماء ، أن يدرس الكتاب لغير المسلمين وقيل : " كان المازنى فى غاية الورع ، قصده بعض أهل الذمة ليقرأ عليه كتاب سيبويه ، وبذل له مائة دينار فى تدريسه إياه فأمتنع . فقال له المبرد : جعلت فداك أترد هذه المنفعة مع فاقتك وشدة إضاقتك ؟ فقال : إنّ هذا الكتاب يشتمل على ثلاثمائة وكذا وكذا آية من كتاب الله عز وجل ولست أرى أن أمكن منها ذميا وغيرة على كتاب الله وحمية له " (١) .

ونصل مما تقدم للآتى :—

١ — الكتاب قمة شامخة عبر الزمن ، ومرجع يعود اليه الباحث والعالم وحينما نؤلف كتابا أو كتبا فى قواعد اللغة العربية ، ونستنبط منه اشارات فى علم المعانى والبيان والبديع .

٢ — الكتاب بداية ونهاية فى النحو العربى ، وسجل لقواعد النحو وقف العلماء عندها ولم يزيدوا عليها ، وكل من جاء بعده ، جعل الكتاب أساسا وقانونا ولم يزد المتأخرون إلا ترتيب أبواب القواعد ترتيبا جديدا ووضعوا بجانب الشرح الاصطلاحات التى كانت تنقصه ، ثم جاءت طبقة من العلماء اكتفت فى القواعد بذكرها من غير أن تقرنها بعللها وأسبابها وظل الأمر يتدرج حتى وصل الى المتون التى احتاجت الى شروح مطولة وحواش ، مصدرها فى كتاب سيبويه .

٣ ــ الكتاب اذا جعلناه اساسا للدراسة فى العصر الحديث فلا يتناسب والتطور الذى طرأ على التأليف منذ عصر سيبويه ــ رحمه الله ــ الى وقتنا الحاضر، لأن هناك جهود حدثت للتبويب والتنظيم ، ولكن الكتاب يعد مرجعا ومصدرا .

٤ ــ الكتاب نمط وصورة نيرة للتقدم العلمى فى النحو ،فى القرن الثانى الهجرى وثمرة وتتويج للجهود العظيمة المتصلة فى تلك المادة منذ أن بدأها أبو الأسود الدؤلى (ت٦٩ هـ) .

٥ ــ اسلوب الكتاب فيه عمق اللغة العربية وأصالتها ، وليس من السهل فهم الكتاب حتى على العلماء من أول مرة ، ويحتاج من القارىء له الى صبر ومصابرة .

منهـــــج الكـــتاب :ـ

ان الكتاب ليس له مقدمة ولا خاتمة ، أوله : " هذا باب علم ما الكلم من العربية " (١) وآخره : مثل هذا قول بعضهم : " عَلْمَاءُ بَنُو فُلَانَ " فحذف اللام ، يريدون على الماء بنو فلان وهى عربية " (٢) فلم يوضح لنا المنهج الذى أتبعه فى دراسة اللغة ، والخطة التى سار عليها فى ترتيب أبواب كتابه

وأول ما نلاحظه فى كتاب سيبويه أنه تناول القضايا النحوية الكثيرة ، المتنوعة ، ومن هذه القضايا التى تتصل ببناء الجملة ، الحذف والذكر والزيادة والاعراب ، وتناول الوصل والروم والاشمام والاخفاء والامالة والوقف ، ونظر الى المسائل الصرفية ودرس بناء الكلمة ، وأوزان الأسماء وبين المفرد والجمع وصيغة الجمع ، وتناول التذكير والتأنيث ، وتصغير الأسماء وغيرها . وعنى بالافعال فبين أبنيتها وصرف ما صعب منها ، ونظر فى أوزانها وفى معانى تلك الأوزان وقارن بين أوزان الأفعال وبين مافى بعض الأفعال من الاعلال وغيرها .

وقد شهد له من عاصره ومن جاء بعده ، واطلع على كتابه ، بالبراعـــــة والقدرة الفائقة والبصيرة المتفتحة ، فقد كان — رحمه الله — قد مهد بذلـــك السبيل من أجل الوصول الى الحقائق ، وما أثقل الخطوات وأصعبها فى دراسة اللغة ، ويعد الكتاب أول مؤلف منظم لتقعيد القواعد وما يتصل بخدمة الكلام .

وقد وصف المحدثون المنهج القديم بعدم التكامل وفقدان الوحـــــدة فقالوا :ـ " فقد قامت دراسة العرب الأقدمين للأصوات على الملاحظة الذاتيـــة وحرموا من استعمال الأجهزة الحديثة المتطورة ، ولم يقفوا على الدراسات المقارنة

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٢ بولاق . عبد السلام محمد هارون جـ١ ص ١٢ .

وعلى ما وصلت اليه العلوم الأخرى من تقدم (١) " .

ونحن نرى أن الأقدمين قد استطاعوا — وسيبويه إمامهم — وواحد منهم أن يسجلوا تقدما كبيرا فى هذا المضمار وقد وضعوا لبنات يشيد عليها من جاء بعدهم .

ويقول كمال محمد بشر : " وخلاصة القول : ان الخليل بن أحمد عند الكلام على الحروف العربية نراه يوزع هذه الحروف على مخارجها وينسب كل واحد أو مجموعة منها الى درجة أو حيز (مخرج) معين من أحياز النطق المعروفة ، كالحلق واللهاة واللسان والشفاه ..الخ وقال الليث : قال الخليل فى العربية تسعة وعشرون حرفاً منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومخارج وأربعة هوائية " وهى الواو والياء والألف اللينة الهمزة " ويأخذ الخليل بعد ذلك فى بيان مخارج ما سماه الحروف الصحاح ويأتى عليها واحدا واحدا الى أن يصل الى الحروف المذكورة فيكرر ماصرح به فى الكلام السابق (٢) " .

فالخليل — رحمه الله — وضع منهجا بذلك فى علم الأصوات ، فحين تحدث عن مخارج الحروف موزعة على أحياز النطق لم ينطلق من فراغ وانما وظف كل حرف فى مخرجه من الحلق الى الشفاه ليؤدى نغمة تختلف عن الأخرى وحروف العلة التى هى حروف صوتية عند المتأخرين يعبر عنها بأنها هوائية وهل المد الهوائى يخرج عن كونه صوتا يمتد طويلا ؟ إذا المنهج الذى سار عليه الاقدمون من العرب منهج عريق مبنى على أسس علمية وجاء المحدثون بعد ذلك ليطوروا ويبنوا على ما وجدوا .

---

(١) كمال محمد بشر : دراسات فى علم اللغة جـ ١ ص ٥٢ دار المعارف بمصر

وهذا كمال بشر يسوق رأى الخليل المتقدم وابن جنى الآتى فى اعجاب فيقول :ـ " يعقد ابن جنى فى (سر الصناعة) فصلا خاصا تحت عنوان (ذوق أصوات الحروف) وهناك يشرح كيف نتذوق هذه الحروف ونحاول نطقها ثم يأتى فى أثناء ذلك بأهم خواص الحروف المختلفة من حيث كيفية مرور الهواء حال النطق . ويذكر أن الهواء قد يقف وقوفا تاما ، كما فى حال الدال والطاء وغيرهما من الأصوات التى اتفق على تسميتها حديثا بالأصوات الانفجارية او الوقفات (Stops) أو أن هذا الهواء قد يمر ولكن يحدث حفيفا أو ما سماه (صوتا) . كما فى السين والذال وغيرهما من ذلك الأصوات المعروفة بالاحتكاكية ، غير أن مجرى الحروف قد يتسع ولا يعرف الهواء عائق وذلك فى حالة الألف والياء والواو . ومن هذا التصور البارع نلاحظ أن ابن جنى قد أدرك خاصة حروف المد بوصفها حركات ، وهى أن هواءها يمر حرا طليقا دون مانع يمنعه .. "(١) . وأظن أن الدارس لما قرره المحدثون من نسبة الحركات الى وضع اللسان وشكله عند النطق بها . يجد أن نسبة حروف المد الثلاثة لا تناقض ما أثبته هؤلاء العلماء لأن هذه النسبة إنما يقصد بها الاعتماد على أوضاع اللسان وأشكاله عند تصنيف الحركات ذاتها وبيان أنواعها المختلفة من فتحة وكسرة وضمة لا عند تحديدها وبيان خواصها بوجه عام . وحين تحدث ابن جنى عن حروف المد " وما يسمى بالحركات الطويلة " قال : " فان اتسع مخرج الحرف حتى لا يقتطع الصوت عن امتداده واستطالته استمر الصوت ممتدا اذا لم يجد منقطعا فيما فوقها . والحروف التى اتسعت مخارجها

---

(١) علم اللغة العام ـ الأصوات ص ٧٩ . دار المعارف ط الخامسة ـ كمال

ثلاثة الألف ثم الياء ثم الواو "[1] . فابن جنى يفصّل ويشرح كل ذلك مع اجراء تجاربه على ما يملك فأصبحت اليوم تلك التجارب مكان الثناء من كبار علماء الأصوات وقد شهد علماء الغرب لبراعة العرب فى هذا المجال . فقد قال برجستراسر " لم يسبق الاوربيين فى هذا العلم إلا قدماء العرب والهنود " وقال فيرث : " لقد نشأت الدراسات الصوتية ونمت فى احضان لغتين مقدستين العربية والسنسكريتية "[2] . والفضل ما شهد به الأعداء وقد وفى سيبويه الأصوات حقها من الدراسة ، ووصف مخارج الحروف والمتقارب منها والمتباعد ونقرأ له فى الكتاب " لولا الاطباق لصارت الطاء دالا ، والصاد سينا ، والظاء ذالا ولخرجت الضاد من الكلام ، لأنه ليس شيء من موضعها غيرها "[3] .

فهو يتحدث عن الأصوات المطبقة وما يمكن أن يكون لها من نظائر منفتحة وقد لخص سيبويه فى آخر كتابه — الكتاب — آراء استاذه الخليل — رحمه الله — فى الأصوات اللغوية فى دقة وأمانة .

وسيبويه قضاياه فى اكثرها تقف عند حد الرصد والحشد ، فهو واضح لم يفترض أو يتأول ليبعد من حد المنهاج الوصفى فهو فى الكتاب تراه يصرف — الماضى الى المضارع فالى المصدر ، ويجمع المفرد أو يفرد الجمع ، والكتاب من خلال تصفحى له ، أجده يخلو تماما من الاتجاهات الفلسفية الجدلية والذى أود الاشارة اليه ان المؤثرات الفلسفية والمنطقية فى النحو ، لم تكن شيئا يذكر فى ذلك الوقت المبكر ، فقد ازداد أثرها وسطوتها فى القرنين الرابع والخامس الهجرى .

---

(١) سر صناعة الاعراب جـ١ ص ٧ — ٨ تحقيق السقا وآخرون وانظر علم اللغة العام الأصوات ص ٨٠ .

(٢) كمال محمد بشر : دراسات فى علم اللغة جـ٢ ص ٦٧ ، دار المعارف بمصر

"ويلاحظ فى الكتاب كثرة الأبواب ، فهى تزيد على ثلاثمائة باب "[1] .

ولكن هذا ليس بعيب فى الكتاب وانما هو لون من ألوان الخلاف فى الاصطلاحات فهو لايطلق اسم فصل على الجزئيات الصغيرة التى ترد فى الباب الواحد ولكنه يطلق على كل جزء اسم باب ، فتراه يقول مثلا : (هذا باب من أبواب أَنَّ)[2] و(هذا باب إِنَّ وأَنَّ) و (هذا باب تكون فيه أَنَّ بدلا من شىء ليس بالأول) و (هذا باب من أبواب أَنَّ تكون فيه مبنية على ما قبلها ! وهكذا يستمر فى تجزئة الباب الواحد حتى يوصله الى عشرات الأبواب .

وأهم ما نلحظه فى كتاب سيبويه أنه قسمه الى ثلاثة أقسام . القسم الأول للنحو ويشمل الجزء الأول وقسما صغيرا من الجزء الثانى من (طبعة بولاق) . والقسم الثانى : للصرف . والقسم الثالث : للأصوات اللغوية ويشمل ثلاثين صحيفة فى نهاية الكتاب من (طبعة بولاق) .

" ومفهوم النحو عند سيبويه يخالف ما سار عليه النحاة الذين جاءوا بعده حيث أنهم اهتموا بالاعراب ، أى الحركات التى ترد فى آخر الكلمة . أما سيبويه فقد كان يفهم من النحو ما يفهمه النحويون الآن من (علم التراكيب) الذى يدرس فى إطاره فن التعبير ، وعلاقات أجزاء بعضها ببعض وعلاقات الجمل فيما بينها لذلك نجده يعتمد فى دراسته على تقديم نماذج التعبير التى سمعها من العرب او من شيوخه دون أن يلجأ الى الأمثلة المصنوعة لايضاح الفكرة او تشخيص القاعدة او حيث لا يلقى تعبيرا مأثورا يرقى الى مستوى الاحتجاج "[3] .

---

(١) شواهد الشعر فى كتاب سيبويه ص ٤٩ .
(٢) الكتاب جـ ١ ٤٦١ بولاق عبد السلام جـ ٣ ص ١١٩ .
(٣) المنهج اللغوى فى كتاب سيبويه ص ٦٧ الدكتور عبد الصبور شاهين .

وقد أخذ سيبويه بنظرية العامل التى سادت الدراسات النحوية فى عصره ونجد ذلك ماثلا فى الكتاب .

كما اننا نجد فى الكتاب مباحث كثيرة أدخلها البلاغيون فيما بعد ضمن علم البلاغة بفنونه الثلاثة ، المعانى والبيان والبديع ، والذى هو موضوع بحثنا .

ومما نلحظه أيضا فى الكتاب ، ذلك الغموض فى عنوانات بعض أبوابه وطولها مما يجعلنا عاجزين عن فهم المراد من عنوان الباب ، ومن أمثلة عنوانات الكتاب الغامضة — كما يقول عبد السلام هارون فى مقدمته ص صفحة (٣٢) " هذا باب الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحد منها يفعل بفاعله مثل الذى يفعل به " . ومعناه " هذا باب التنازع " (١) كما ترجم باب الاشتغال فيه بقوله : "هذا باب ما يكون فيه الاسم مبنيا على الفعل قدم أو أخر وما يكون الفعل فيه مبنيا على الاسم " (٢) والمقصود هنا الفقرة الاخيرة وهى ما يكون الفعل فيه مبنيا على الاسم .

ومن أمثلة الأبواب الغامضة قوله : " هذا باب ما ينتصب من المصادر لأنه حال صار فيه المذكور " (٣) .

قال السيرافى :—

" هذا الباب فيه صعوبة ونقل كلام النحويين من البصريين والكوفيين وكذلك قال الزجاج : وهذا باب لم يفهمه الا الخليل وسيبويه " .

ومهما يكن من شىء فان تعاقب الأجيال والعلماء على خدمة الكتاب ، وما حفظته دور الكتب من مخطوطات كتب النحو ، وما نشره العلماء من التراث

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٣٧ ، بولاق . عبد السلام محمد هارون جـ١ ص ٧٢ .
(٢) الكتاب جـ١ ص ٤١ ، بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٨٠ .
(٣) الكتاب جـ ١ ص ١٩٢ ، بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٣٨٤ .

النحوى وما أثير حول الكتاب من مناقشات ومجادلات فى مختلف كتب العربية بله كتب الثقافة الاسلامية ان كل اولئك بالاضافة الى ما أشرت اليه من قبل وهو ضرورة التمرس بأسلوب الكتاب وتعرف مصطلحاته يجعل من قراءة سيبويه متعة نافعة ونفعا ممتعا ، ويضع أساسا سليما للدراسات النحوية المعاصرة التى كثيرا ما انحرفت بغرورها عن جادة السبيل لأنها لم تقف وقفة الخشوع إزاء الجهد العبقرى الجبار "(١)

ونحن نقول : فما يزال كتاب سيبويه — رحمه الله — منبعا ثرا لكثير من الدراسات الجادة فى ميدان اللغة العربية ، وعلى الدارس اليوم أن يعرف أن ترتيب الكتاب وتبويبه يختلفان عما ألف فى العصور المتأخرة من ترتيب وتبويب للفرق الزمنى والبيئى فالبيئة التى ألف لها الكتاب أرفع وأعلى مستوى من حيث الثقافة العربية من البيئات التى ألفت لها الكتب فى العصور المتتالية حتى اليوم ، والطبعة المتداولة فى أيدى الناس اليوم ، الطبعة الاميرية (ببولاق سنة ٣١٧ هـ) فى جزأين جاوزا (٩٠٠) تسعمائة صفحة من الحجم الكبير ، على هامشهما تعليقات مفيدة من الشرح المشهور لأبى سعيد السيرافى (ت ٣٦٨ هـ) وفى حواشيهما شرح الشواهد للأعلم الشنتمرى الأندلسى (ت ٤٧٦ هـ) رحمهم الله جميعا .

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٣٢ ، عبد السلام هارون .

الفصل الأول

آراء سيبويه في علم المعاني

المسند والمسند اليه :-

إن من يقرأ في كتاب سيبويه ، يجد فيه علما جما ، فهو يستخدم مصطلحين ، لم يأخذ بهما النحاة بعده ، وان أداروهما في كتبهم ، بما يقابلهما من مبتدأ وخبر ، أو فعل وفاعل وغيرها ، ولكن علماء البلاغة أخذوهما وبنوا عليهما دراستهم ، في علم المعاني وما يتبعها ، فانحصرت في المسند والمسند إليه ، وما يتبعهما من ذكر وحذف ، فقال سيبويه : " هذا باب المسند والمسند اليه " ، وهما مالا يستغنى واحد منهما عن الآخر ، ولا يجد المتكلم منه بدّا ، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبنى عليه ، هو قولك : " عبد الله أخوك " ، وهذا أخوك ، ومثل ذلك قولك : " يذهب زيد " فلا بد للفعل من الاسم ، كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء ، ومما يكون بمنزلة الابتداء قولك : " كان عبد الله منطلقا " و " ليت زيدا منطلق " لأن هذا يحتاج الى مابعده ، كاحتياج المبتدأ الى ما بعده (١) " فسيبويه يقرر أن كلا من المسند والمسند اليه لا يستغنى أحدهما عن الآخر ، لأنهما ركنا الجملة الأساسيان ولا تكون الجملة تامة إلا إذا استوفتهما واذا حذف أحد هذين الركنين ، فإن النحاة يلجأون الى التقدير ليستقيم الكلام ، وواضح من أمثلة سيبويه ان المبتدأ " عبد الله " المسند اليه ، و " أخوك " الخبر ، المسند لأن الجملة اسمية ، والمسند اليه في " يذهب زيد " هو الفاعل ، والمسند الفعل كما أن دخول الناسخ لايخرج الاسم عن كونه مسندا اليه ومسندا ، لأن كلاهما يحتاج الى ما بعده ، وأوضح سيبويه ان اسم كان وأخواتها مسند اليه لأنه في الأصل ، قبل دخول الناسخ عليه مبتدأ ويعضض رأيه بقوله : " فالمبتدأ (٢)

سيبويه من أمثلة وما قام باستنباطه ، علما ، علم المعانى ، فيما بعد من أحوال المسند اليه والمسند ، وما تبع ذلك من تفصيل وتسميات ، ماثلة فى أمثلة سيبويه مثل بعض مواضع المسند اليه ، كالمبتدأ الذى له خبر وما أصله المبتدأ والفاعل للفعل التام ، كذلك للمسند ، كونه خبر المبتدأ ، والفعل التام ، وكما أصله خبر المبتدأ ، مثل خبر كان وأخواتها ، وخبر ان وأخواتها فان أصله خبر المبتدأ

تعريف المسند اليـــه :ـ

من المعروف بلاغيا تعريف المسند اليه بأنه هو الأصل لأنه المحكـــوم عليـــه ، وسيبويه يوضح لنا ذلك فيقول فى باب " الفعل الذى يتعدى اســـم الفاعل الى اسم المفعول واسم الفاعل والمفعول فيه لشىء واحد " والذى عرف بعد ذلك " بباب كان " يقول فيه :ـ (واعلم أنه اذا وقع فى هذا الباب نكرة ومعرفة ، فالذى تشغل به كان المعرفة لأنه حد الكلام ، لأنهما شىء واحـــد ليس بمنزلة قولك : ضرب رجل زيدا لأنهما شيئان مختلفان وهما فى كان بمنزلتهما فى الابتداء ، اذا قلت عبد الله منطلق ، تبتدىء بالأعرف ، ثم تذكر الخبر ، وذلك قولك : كان زيد حليما ، وكان حليما زيد ، لاعليك أقدمت أم أخرت إلا أنه على ما وصفت لك فى قولك : ضرب زيد عبد الله ، فاذا قلت : كان زيد فقد ابتدأت بما هو معروف عنده ، مثله عندك ، فانما ينتظر الخبر فاذا قلـــت حليما ، فقصد اعلمته مثل ما علمت ، وإذا قلت : كان حليما ، فإنما ينتظر أن تعرفه صاحب الصفة ، فهو مبدوء به فى الفعل ، وان كان مؤخرا فى اللفـــظ فان قلت كان حليم أو رجل ، فقد بدأت بنكرة ، ولا يستقيم أن تخبر المخاطـب

عن المنكور ، وليس هذا بالذى ينزل به المخاطب منزلتك فى المعرفة فكرهوا أن يقربوا باب لَبْسٍ .. فالمعروف هو المبدو به ، ولا يبدأ بما يكون فيه اللبْسِ وهو النكرة ، الا ترى أنك لو قلت : كان رجل منطلقا أو كان انسان حليما ، كنت تلبس ، لأنه لا يستنكر أن يكون فى الدنيا انسان هكذا فكرهوا أن يبتدوءا بما فيه اللبس ، ويجعلوا المعرفة خبرا لما يكون فيه هذا اللبس)(١) .

فسيبويه — رحمه الله — يوضح فى بداية حديثه أن اسم كان هو المبتدأ ولا بد أن يكون معرفة وأن يتقدم حتى يتبعه الخبر ويبنى عليه والبناء لا يصح على مجهول وانما يكون على معلوم وان اسم كان رتبته التقديم وان تأخر فى صورته أو فى وضعه من الجملة ، وان المخاطب تتوق نفسه أن يعرف أو يفهم الوصف إذا تقدم اسم كان والى صاحب الوصف اذا تأخر فالمخاطب يريد أن يعرف شيئا مجهولا عنده ، وعلى المتكلم أن يراعى حالته ويلبى طلبه ورغبته فيما يريد ، وحتى يكون للكلام مدخل من البلاغة ، ومراعاة حال المخاطب لابد أن يبدأ بالمعرفة ، ولو بدأ بنكرة ، لخرج من دائرة البلاغة فضلا أن يكون كلاما مستقيما .

وسيبويه يتحدث عن أغراض التنكير ، فيقول فى باب " هذا باب تُخْبِرُ فيه عن النكرة بِنَكِرَةٍ " يقول الرجل :— " أتانى رجل ، يريد واحدا فى العدد لا اثنين ، فتقول : ما أتاك رجل ، أى أتاك أكثر من ذلك . ثم يقول : أتانى رجل لا امرأة ، فتقول : ما أتاك رجل أى امرأة أتتك ، ويقول : أتانى اليوم رجل أى فى قوته ونفاذه ، فتقول : ما أتاك رجل أى أتاك الضعفاء "(٢) .

---

(١) الكتاب جـ١ ص٢٢ ، ط بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص٤٧ — ٤٨

(٢) الكتاب جـ١ ص٢٧ ، ط بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص٥٥ .

فسيبويه يبرهن أن تنكير المسند اليه لا يأتى اعتباطا ، وانما يأتى لاغراض بلاغية كما جاء تعريفه من قبل ، ومن أغراض تنكيره ، أنه يأتى للوحدة أو للجنس أو التعظيم فأحيانا ينكر للدلالة على الوحدة ، وأن المراد شخص واحد لا شخصان وقد مثل البلاغيون لذلك بقوله تعالى :- (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى)(١) . أى رجل واحد وليس أكثر ، وقد يكون التنكير للدلالة على الجنس ، كما مثل لذلك سيبويه ، بقوله : " أتانى رجل لا امرأة " أى رجل من جنس الرجال ومثل البلاغيون للتعظيم بقول ابن أبى السمط خفيد مروان ابن أبى حفصة فى البيت الثانى :=

فتى لَا يُبَالى الْمُدْلِجُونَ بِنُورِهِ إِلَى بَابِهِ أَلَّا تَضِىءَ الْكَوَاكِبُ
لَهُ حَاجِبٌ عَنْ كُلِّ أَمْرٍ يُشِينُهُ وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبُ(٢)

أى له حاجب أى حاجب ، وليس له حاجب ما . فالتعبير بالنكرة نابع من مدلول النكرة ، فالنكرة تعنى العموم والشيوع ، ولذلك فالتعبير بها حينما يكون الكلام مرتبطا بفرد أو شخص بعينه ، بل حينما يكون الحكم على قضية عامة أو جنس عام ، أو حينما لا يكون لذكر الشخص بذاته دلالة معينة فالتنكير عدم مدلول الكلمة لمدلول معين .

وللتنكير دلالة غير مانراه فى التعريف . ويقول بدر الدين الزركشى (٧٤٥ ـ ٧٩٤هـ) " وقد يظن ظان أن المعرفة أجلى فهى من النكرة أولى ، ويخفى عليه أن الابهام

---

(١) من الآية ٢٠ من سورة يس .

(٢) أدلج القوم : ساروا الليلة كلها . ويقول ان بينه وبين ما يشينه حجابا كثيفا وهو الى جانب هذا فى متناول أيدى العفاة ولا يحول دون قاصديه حائل . أنظر الاشارات والتنبيهات فى علم البلاغة . لمحمد بن على محمد الجرجانى (ت ٧٢٩ هـ) والمنهاج

فى مواطن خليق ،وأن سلوك الايضاح ليس بسلوك للطريق خصوصا فى موارد الوعد والوعيد والمدح والذم اللذين من شأنهما التشييد . وعلة ذلك أن مطامح الفكر متعددة المصادر بتعدد الموارد ، والنكرة متكررة الأشخاص يتقاذف الذهن من مطالعها الى مغاربها وينظرها بالبصيرة من منسمها الى غاربها فيحصل فى النفس لها فخامة وتكتسى منها وسامه . وهذا فيما ليس لمفرده مقدار محصور بخلاف المعرفة فانها لواحد بعينه يثبت الذهن عنده ويسكن اليه فالتنكير يجىء لفائدة يقصر عن افادتها العلم أو المعرفة (١) . فان صاحب البرهان ينظر الى التنكير من خلال العموم أنه يفيد افادة يجهلها الكثير لأن مطامح الفكر متعددة المصادر والموارد ،لأن النكرة متكررة الاشخاص لذلك فائدتها أكبر وأكثر من المعرفة التى تكون لمعين ومحدد ولا يفوتنا أيضا أن نوضح أن الابهام والتعميم لا يكون فى كل موطن صالح ولا بد من التعريف احيانا حتى لا يكون هناك لبس وخفاء فى الكلام وحتى يكون الكلام انصع وأوضح .

---

(١) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن ص ١٣٦ لبدر الدين الزركشى . دار المعرفة للطباعة والنشر : بيروت : لبنان . الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ .

النظم عند سيبويه :—

وسيبويه يحرص فى كتابه على سلامة الجمل وتركيبها وصوغ العبارات ووضوح المعنى والإعراب فى الكلمة ، وهذا يدلنا على أنه تحدث عن النظم ،وان لم يسمه بهذا الاسم قبل أن يعرفه عبد القاهر ،الذى تحدث عن نظرية النظم وطبقها على أبواب البلاغة ، كما نعرفها من كتابه — دلائل الاعجاز — ولكن السبق كان لسيبويه فهو يذكر فى أبواب مختلفة من الكتاب نسوق منها قوله : " هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة " فمنه مستقيم حسن ، ومحال ، ومستقيم كذب ومستقيم قبيح ، وماهو محال كذب . فأما المستقيم الحسن قولك أتيتك أمس وسآتيك غدا . وأما المحال فان تنقض أول كلامك بآخره فتقول : أتيتك غدا وسآتيك أمس. وأما المستقيم الكذب فقولك : حملت الجبل ، وشربت ماء البحر ونحوه . وأما المستقيم القبيح فان تضع اللفظ فى غير موضعه ، نحو قولك قد زيدا رأيت وكى زيدا يأتيك وأشباه هذا . وأما المحال الكذب فأن تقول : سوف أشرب ماء البحر أمس "(١) .

فسيبويه يصب حديثه على تأليف الجمل والعبارات ، وما فيها من حسن أو قبح ، واستقامة أو إحالة ، والمعنى وما يعتريه من صدق أو كذب . ويوضح أن الكلام المستقيم الحسن هو الذى خلا من الكذب والتناقض .

والمستقيم القبيح هو الذى نجد فيه تنافرا ومخالفة للقواعد لأن تركيب الجملة فيه خلل ،حيث ان لفظة وضعت فى غير مكانها وان كان الكلام صادقا ،وخلا من التناقض ، فوضع الكلمات فى غير موضعها عند سيبويه ،دليل على فساد النظم وقبحه لأن الكلمات وان كانت فصيحة الا أن فى تركيبها خلل فنى يرفضه الذوق العربى ، حيث أن (قد) دخلت على (زيد) الاسم فى الجملة ، بدل دخولها على الفعل (رأيت) ، و (كى) دخلت على (زيد) بدل يأتيك ، وكلا الحرفين (قد و كى) لا يجوز أن يدخلا على الاسماء لذلك كان وضعهما قبيحا فى الجملة ، وقد عنى سيبويه بالنظم الذى أصبح فيما بعد نظرية تحدث عنها الامام عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١ هـ) . " بأنه عبارة عن توخى معانى النحو فى معانى الكلم "(١) . ويتحدث سيبويه عن تناسق الجمل وما يطرأ لها من حسن وقبح ، فيقول : " فى باب ما ينتصب فيه الصفة ، لأنه حال وقع فيه الألف واللام " " واذا أردت بالكلام أن تجريه على الاسم ، كما تجرى النعت ،لم يجز أن تدخل الفاء لأنك لو قلت : مررت بزيد أخيك صاحبك ،كان حسنا ، ولو قلت : مررت بزيد أخيك فصاحبك والصاحب زيد لم يجز . وكذلك لو قلت : زيد أخوك فصاحبك ذاهب لم يجز ، ولو قلتها بالواو ، حسنت ، كما انشد كثير من العرب ،والبيت لأمية بن أبى عائذ :-

ويأوى الى نِسْوَة عُطّلٍ وشُعْثٍ مراضِيعَ مِثْلِ السَّعَالِى(٢)

ولو قلت : فشعث قبح(٣) " .

فقد وضح سيبويه أن العطف بالواو كان حسنا لأن الواو استخدمت فى

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٢٧ .

(٢) ديوان الهذليين جـ٢ ص ١٨٤ والخزانة جـ١ ص ٤١٧ ، وابن يعيش جـ٢ ص ١٨ ولسان العرب مادة (وضع) . ومعانى القرآن للفراء جـ١ ص ١٠٨ والعينى جـ ٤ ص ٦٣ . والعطل : جمع عاطل وهى التى لاشىء لها أو التى لاحلى لها . والشعث : المتفرقة الشعر ، والمراضيع : جمع مرضع ، والسعالى : جمع سعلاة وهى الغول .

(٣) الكتاب جـ١ ص ٢٧٦ .

مكانها الصحيح ، وأن العطف بالفاء قبيح ، لأن الفاء لم تستخدم فى مكانها الصحيح وعضد رأيه ببيت أمية بن أبى عائذ .

ويقول الشنتمرى ، معللا الحسن مع وجود الواو ، وعدم جواز العطف بالفاء " حمل شعث على عطل بالواو لأنهما صفتان ثابتتان معا فى الموصوف لأن معناها الاجتماع ولو عطفت بالفاء لم يجز لأن معنى الفاء التفرقة "(١) فقد اهتم سيبويه بمعانى الحروف وما يترتب على ذلك فى نسق الجمل وصحة وفساد النظم قبل غيره من البلاغيين .

ويتحدث سيبويه بصورة أكثر وضوحا عن النظم فى قوله : " هذا باب أم اذا كان الكلام بها بمنزلة أيُّهما وأيُّهم " وذلك قولك : أزيد عندك أم عمرو وأزيدا لقيت أم بشرا ؟ فأنت الآن مدع أن عنده أحدهما لأنك اذا قلت : أيُّهما لقيت ، فأنت مدع أن المسئول قد لقى أحدهما أو عنده أحدهما الا أن علمك قد استوى فيهما لا تدرى أيهما هو . والدليل على أن قولك : أزيد عندك أم عمرو بمنزلة قولك : أيهما عندك ، أنك لو قلت : أزيد عندك أم بشر ؟ فقال المسئول : لا ، كان محالا ، كما أنه إذا قال : أيهما عندك ، فقال : لا فقد أحال . واعلم أنك اذا أردت هذا المعنى فتقديم الاسم أحسن ، لأنك لا تسأله عن اللقى وانما تسأله عن أحد الاسمين لا تدرى أيهما هو ، فبدأت بالاسم لأنك تقصد قصد أن يبين لك أى الاسمين عنده ، وجعلت الاسم الآخر عديلا للاول

---

(١) الكتاب جـ١ ، ص ١٩٩ — ط بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٣٩٩ أنظر الهامش .

فصار الذى لا تسأل عنه بينهما .. وانما كان تقديم الاسم ههنا أحسن ولم يجز للآخر الا ان يكون مؤخرا لأنه قصد قصد أحد الاسمين ، فبدأ بأحدهما لأن حاجته أحدهما ، وتقول : أضربت زيدا أم قتلته ؟ فالبدء ههنا بالفعل أحسن لأنك إنما تسأل عن أحدهما لاتدرى أيهما كان ولم تسأل عن موضع أحدهما فالبدء بالفعل ههنا أحسن كما كان البدء بالاسم ثم فيما ذكرنا أحسن "(١) .

فسيبويه يستحسن تقديم الاسم ، تارة إذا كان نسق الجملة يتطلب ذلك ويقتضيه المقام ، ويستحسن تارة أخرى كما ذكر فى عبارته البدء بالفعل أفضل من الاسم لأن المقام يتطلب ذلك ، وان سبب الأفضلية والحسن فى تقديم الاسم تارة والفعل تارة أخرى فى العبارة الواحدة ، هو مراعاة ما يستقيم عنه السائل فاقتضى ذلك أن تنظم الجمل بطريقة لا تسلب عن كلامه الحسن ، وان كان سيبويه لم يصف تغيير وضع الاسم أو الفعل عن مكانه الا بالجواز ، كما قال : (ولو قلت : ألقيت زيدا أم عمرا كان جائزا حسنا ، أو قلت : أعندك زيد أم عمرو كان كذلك)(٢) .

والجواز والحسن دائما لا يكونان فى مرتبة الجودة ومرد ذلك المتكلم وما يريد من معنى . ولا شك أن الامام عبد القاهر الجرجانى (ت٤٧١هـ) قد استفاد كثيرا من رأى سيبويه فى نظم الكلام ، وما يجب أن يذكر بعد أداة الاستفهام من اسم او فعل وان لكل منهما موضع لايجوز فيه الآخر . وقال عبد القاهر : " ولا يخفى فساد احدهما فى موضع الآخر "(٣) . وهو يعنى الاسم والفعل وتحدث عن ذلك كثيرا حديثا مفصلا أماط اللثام عن كل غموض .

---

(١) الكتاب جـ١ ص٤٨٢ — ٤٨٣ ط بولاق . عبد السلام هارون ج ٣ ص١٦٩ — ١٧١ .
(٢) الكتاب جـ١ ص٤٨٣ . بولاق — عبد السلام هارون جـ٣ ص ١٧٠ .
(٣) دلائل الاعجاز فى علم المعانى ص٨٧ . دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت

المجاز العقلـــى :ـ

ويتحدث سيبويه عن المجاز العقلى ، الذى سمى بالحكمى او العقلـــى عند المتأخرين فيقول : " سرقت الليلة أهل الدار فتجرى الليلة على الفعـــل فى سعة الكلام ، كما قال : صيد عليه يومان ، وولد له ستون عاما . فاللفظ يجرى على قوله : هذا معطى زيد درهما ، والمعنى انما هو فى الليلة وصيد عليـــه فى اليومين ، غير أنهم أوقعوا الفعل عليه لسعة الكلام . وكذلك لو قلت : هذا مخرج اليوم الدرهم وصائد اليوم الوحش ، ومثل ما أجرى مجرى هذا فى سعة الكلام والاستخفاف قوله عز وجل : " بَلْ مَكْرُ اللَّيلِ والنَّهَارِ "(١) فالليل والنهار لا يمكران ، ولكن المكر فيهما "(٢)

فسيبويه وهو يعرض تلك الأمثلة ، يبين أن اسناد الفعل أو ما يدل على معناه ، هو الى غير ما حقه أن يسند اليه تجوزا وتوسعا ، وتوج أمثلته بالآيـــة الكريمة ، التى تدور على ألسنة البلاغيين ، وتتصدر أمثلتهم فى كتبهم عن المجاز الحكمى أو العقلى بعد أن استشهد بها سيبويه أولا فى الكتاب ، فهو صاحب فضل عليهم جميعا ، وما أجمل هذا التوضيح من سيبويه حين يقول : " فالليـــل والنهار لا يمكران ولكن المكر فيهما " نعم المكر يسند الى الانسان فى الليل أو فى النهار من اضافة الحدث الى الزمن على سعة الكلام ، أى على التجـــوز والتوسع . ويقول سيبويه فى الكتاب : " وتقول : مطر قومك الليل والنهار علـى الظرف ... وان شئت رفعته ـ أى الليل والنهار على سعة الكلام كما قال :ـ

---

(١) الآية ٣٣ من سورة سبأ .

صيد عليه الليل والنهار ، وهو نهاره صائم وليله قائم ، وكما قال جرير :ـ

لَقَد لُمْتِنا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِى السُّرَى ... وَنِمْتِ وَمَا لَيْلُ المَطِيِّ بِنَائِمِ (١)

وكما قال الشاعر :

أَمَّا النَّهَارُ فَفِي قَيْدٍ وَسِلْسِلَةٍ ... واللَّيلُ فى قَعْرِ مَنْحُوتٍ مِنَ السَّاجِ (٢)

فكأنه جعل النهار فى قيد والليل فى جوف منحوت (٣) .

فقد اسند المطر الى الليل والنهار مجازا ، كذلك العبد فى قولـــه : " نهاره صائم " و "ليله قائم " فقد اسند فيهما اسم الفاعل الى ضمير الظرف وهو " النهار" فى المثال الأول والليل فى المثال الثانى اسنادا مجازيا فأسند الصوم الى النهار والقيام الى الليل من اسناد ماهو بمعنى الفعل الى غير ماحقه أن يسند اليه ، وهذا هو المجاز العقلى بعينه وان لم يسمه .

وفى بيت جرير . جعل الاخبار عن الليل بالنوم اتساعا ومجازا والمعنى وما المطى بنائم فى الليل ، لأن الليل لا ينام ولا يوصف بأنه نائم بل ليس هـــو بانسان ولا حيوان فكان حقه أن يقول : بمنوم فيه .

وفى البيت الثانى يقول الأعلم الشنتمرى (ت ٤٧٦ هـ) :ـ

"الشاهد فى اخباره عن النهار بكونه فى سلسلة ، وعن الليل باستقراره فى جوف منحوت اتساعا ومجازا ، وصف محبوسا يقيد بالنهار ويغل فى سلسلة ويوضع

---

(١) انظر ديوان جرير ص ٥٥٤ ، والخزانة جـ١ ص ٢٢٣ وابن الشجرى جـ١ ص ٣٦ ـ ٣٠١ ، والانصاف ص ١٥١ والكامل ص ٧٠٠ . وأم غيلان . وهى بنت جرير . والسرى سير عامة الليل (يذكر ويؤنث) وفى المثل (عند الصباح يحمد القوم السرى) والمطى جمع مطية وهى الراحلة يمتطى ظهرها أى يركب .

(٢) البيت من الأبيات الخمسين فى كتاب سيبويه والتى لايعرف لها قائل . وقد

فى خشبة منحوتة (١) .

ولعل سيبويه يريد أن يقول لنا : إن المجاز فى جعل النهار فى سلسلة وانما السجين هو المجعول فيها . وهو يريد أيضا أن يقول : إن قول تماضر بنت عمرو الأتى : من هذا القبيل الذى ذكره . قالت الخنساء (٢) :

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا ادَّكَرَتْ فَإِنَّمَا هِىَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ

فجعلها الإقبال والإدبار ، فجاز على سعة الكلام كقولك :—

" نَهَارُكَ صَائِمٌ ولَيلكَ قَائِمٌ " ومثل ذلك قول الشاعر متمم بن نويرة :—

لَعَمْرِى وَمَا دَهْرِى بِتَأْبِينِ هَالِكٍ وَلاَ جَزَعٍ مما أَصَابَ فَأَوْجَعَا (٣)

جعل دهره الجزع ، وانما أراد : وما دهرى دهر جزع ولكنه جاز على سعة الكلام واستخفوا واختصروا (٤) .

ويقول الأعلم الشنتمرى (ت ٤٧٦ هـ) فى بيت تماضر بنت عمر الخنساء:

" الشاهد فيه رفع إقبال وإدبار على السعة — أى التوسع والمجاز — والمعنى ذات إقبال وإدبار ، فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه . ولو نصب على معنى فإنما هى تقبل إقبالا وتدبر ادبارا ووضع المصدر موضع الفعل لكان أجود (٥) " .

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٨٠ — بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ١٦٠ — ١٦١ وانظر هامش الصفحة .

(٢) انظر ديوان الخنساء ص ٤٨ ، والخزانة جـ١ ص ٢٠٧ وابن الشجرى جـ١ ص ٧١ والكشاف جـ١ ص ٣٣٠ والخصائص جـ٢ ص ٢٠٣ . ادكرت : تذكرت تصف ناقة اوبقرة فقدت ولدها فكلما غفلت عنه رتعت فإذا عاودتها الذكرى حنت اليه فأقبلت وأدبرت فى حيرة . فضربتها مثلا لفقدها أخاها صخرا . وقبل هذا البيت :

وَمَا عَجُولٍ على بَوٍّ تَحِنُّ لَهُ لها حَنِينَانِ إِعْلاَنٌ وَإِسْرَارُ

العجول : الثكلى والوالهة . والبوّ : جلد السخلة او العجل يحشى تبنا لتحن الثكلى له فتدر اللبن .

(٣) المصادر . المفضليات ص ٢٦٥ وسمط اللالئ ص ٨٧ والمخصص جـ١٣ ص ١١٩ ولسان العرب مادة (دهر) وشواهد المغنى للسيوطى ص ١٩٢ . يرثى أخاه مالك

وفى بيت متمم بن نويرة يقول الأعلم: " الشاهد فيه بتأبين هالك ولا جزع والمعنى بدهر تأبين ولا جزع ، فحذف اختصارا واتساعا ، ويجوز أن يكون تقديره وما دهرى بذى تأبين ، فيجعل الفعل للدهر اتساعا ثم يحذف المضاف الى التأبين اختصار ومجازا "(١) . والشيخ عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١ هـ) يقول بعد أن أنشد بيت الخنساء : " وذاك أنها لم ترد بالاقبال والادبار غير معناهما ، فتكون قد تجوزت فى نفس الكلمة ، وانما تجوزت فى أن جعلتها لكثرة ما تقبل وتدبر ، ولغلبة ذاك عليها واتصاله بها وأنه لم يكن لها حال غيرهما ، كأنها قد تجسمت من الاقبال والادبار وانما كان يكون المجاز فى نفس الكلمة لو أنها كانت قد استعارت الاقبال والادبار لمعنى غير معناهما الذى وضعا له فى اللغة ، ومعلوم أن ليس الاستعارة مما أردته فى شىء . واعلم أن ليس بالوجه أن يعد هذا على الاطلاق معد ما حذف منه المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وان كنا نراهم يذكرونه حيث يذكرون حذف المضاف ويقولون : إنه فى تقدير " فإنما هى ذات إقبال وإدبار " ذاك لأن المضاف المحذوف فى سبيل ما يحذف من اللفظ ويراد فى المعنى . وليس الأمر كذلك فى بيت الخنساء لانا اذا جعلنا المعنى فيه الآن كالمعنى اذا نحن قلنا : فإنما هى ذات إقبال وإدبار : افسدنا الشعر على أنفسنا وخرجنا الى شىء مغسول والى كلام عامى مرذول وأضحى الكلام مما لامساغ له عند من كان صحيح الذوق صحيح المعرفة نسابة للمعانى "(٢) .

فالشيخ عبد القاهر يعتبر قول الخنساء : من المجاز الحكمى أو العقلى وأنها لم ترد بالإقبال والإدبار غير معناهما وأنها قد تجوزت فى نفس الكلمة ، فيوافق

---

(١) الكتاب جـ١ ص ١٦٩ — بولاق — عبد السلام هارون جـ١ ص ٣٣٧ .

سيبويه الرأى وكلامه جيد فى هذا البيت وفيه رد على من يقول : " والمعنى ذات إقبال وإدبار ، فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه " . وساق سيبويه فى مجال اتساع الكلام ، مثالا لذلك قوله تعالى : " وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ "(١) انما هو ، وَلَكِنَّ البِرَّ بِرُّ مَن آمَنَ بِاللَّهِ "(٢) . وقال السيرافى : " وهو أن يجعل البر فى معنى البار ، فكأنه قال تعالى : " وَلَكِنَّ البَارَّ مَن آمَنَ بِاللَّهِ "(٣) ويقول جارالله الزمخشرى (٤٦٧ — ٥٣٨ هـ) — رحمه الله — (ولكنّ البرّ من آمن بالله) على تأويل حذف المضاف : أى بر من آمن بالله أو بتأويل البر ، بمعنى ذى البر أو كما قالت الخنساء(٤) : " فانما هى إقبال وإدبار " .

فقد استشهد الزمخشرى بما استشهد به سيبويه من الآية الكريمة وبيت الشاعرة فى المجاز ، وإن ما أثاره سيبويه ، فقد تناوله البلاغيون بالتحليل والتفسير والشرح وكان منهم من يؤيده ومنهم من يخالفه ، ولعل هذا يقودنا الى أن سيبويه قد سبق الى وضع لبنات هذا الفن — المجاز الحكمى أو العقلى — ثم تناوله البلاغيون من بعده وتوسعوا فيه .

وأبى الفتح عثمان بن جنى (ت ٣٩٢ هـ) يقول فى بيت الخنساء : " فإنما هى إقبال وإدبار ، أن يكون من هذا ، أى كأنها مخلوقة من الإقبال والإدبار ، ويكفيك من هذا كله قول الله عزوجل: (خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ)(٥) وذلك كثرة

---

(١) الآية ١٧٧ من سورة البقرة .
(٢) الكتاب جـ١ ص١٠٨ بولاق — عبد السلام هارون جـ١ ص٢١٢ .
(٣) الكتاب — المرجع السابق — الصفحة نفسها ، أنظر الهامش .
(٤) الكشاف جـ١ ص٣٣٠ ، دار المعرفة للطباعة والنشر — بيروت بدون تاريخ وهو لمحمود بن عمر محمد احمد الزمخشرى (٤٩٧ — ٥٣٨) هـ . وانظر بغية الوعاة ص ٣٨٨ .
(٥) الآية ٣٧ من سورة الأنبياء .

فعله إياه ، واعتياده له "[1] . وهذا يخالف رأى سيبويه .

ويقول الدكتور طه حسين (ت ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م) : " أما المجاز العقلى ، فهو من ابتكار عبد القاهر "[2] .

وهذا رأى عليه كثير من التحفظ ، لأن سيبويه قد تناول أمثلة هذا الفن البلاغى ، قبل عبد القاهر ، بمئتين وواحد وتسعين عاما ، وهانحن نرى عبد القاهر يستشهد ببعض أمثلة سيبويه ، ولكن لا يسعنا الا أن نعترف بما أنفق عبد القاهر من جهد صادق خصب ، فى الدفاع عن البيان العربى ، فقد انبرى يوضح مبهمه ويجلو غامضه ، ولكن هذا لا يعطيه السبق فى هذه المسألة .

وفى تصدير كتاب " نقد الشعر " لقدامة بن جعفر (ت ٢٦٠ ، ٢٧٦ ، ٢٣٧ هـ) يقول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ، الذى قام بتحقيقه : " وفى كتاب مقدمة نقد النثر ، الذى حققه الدكتوران : طه حسين وعبد الحميد العبادى . قد وجدت نسخة خطية كاملة من الكتاب نفسه فى مكتبة تشستربيتى (برقم ٧٦٧) تحت عنوان كتاب (البرهان فى وجوه البيان) لأبى الحسين اسحاق بن ابراهيم ابن سليمان بن وهب الكاتب ، فصحّت نسبة الكتاب لابن وهب المعاصر لقدامة بعد ما ثار جدل كبير حول نسبته "[3] .

وهذا يؤكد أن ما جاء من نسبة " نقد النثر " لقدامة غير صحيح وكذلك ما نسبه الدكتور طه حسين ، غير مسلم به فى ابتكار المجاز العقلى ويفتقر الى الدقة .

---

(١) الخصائص جـ٢ ص٢٠٣ تحقيق محمد على النجار . دار الهدى للطباعة والنشر — بيروت — لبنان .

(٢) مقدمة نقد النثر ص٢٩ .

(٣) نقد الشعر ، لقدامة بن جعفر ص٥ ، ط الاولى — مكتبة الكليات الازهرية ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

الفصل والوصل :ـ

وفى مواضع متناثرة من الكتاب ، يتحدث سيبويه عن الفصل والوصل وشبه كمال الاتصال ، وسيبويه لم يذكر هذا المصطلح البلاغى لأن عهده لم يكن فيه تلك المسميات ، وانما عرف بعد ذلك على يد أبى زكريا الفراء (ت ٢٠٧ هـ) (١) والذى ذكره سيبويه ، هو مايعرف اليوم بشبه كمال الاتصال وان لم يسمه باسمه فهو يقول فى : " هذا باب بدل المعرفة من النكرة ، والمعرفة من المعرفة وقطع المعرفة من المعرفة مبتدأة " : " أما ما بدل المعرفة من النكرة فقولك : مَرَرْتُ بِرَجُلٍ عبدِ اللّه ، كأنه قيل له : بِمَنْ مَرَرْتَ ؟ أَوْ ظَنَّ أَنَّهُ يقال له ذاك: فأبدل مكانه ماهو أعرف منه ، ومثل ذلك قوله تعالى :ـ (وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطَ اللَّهِ) (٢) ، وان شئت قلت : مَرَرْتُ بِرَجُلٍ عبدُ اللّه ، كأنه قيل لك : من هو ؟ وقال الشاعر :ـ

وَلَقَدْ خَبَطْنَ بُيُوتَ يَشْكُرَ خَبْطَةً أَخْوَالُنَا وَهُمُ بَنُو الأَعْمَامِ (٣)

كأنّه حين قال : خبطن بيوت يشكر ، قيل له : وماهم ؟ فقال: أخوالنا

---

(١) بغية الوعاة ص ٤١١ وأنظر أثر النحاة فى البحث البلاغى ص ١٠٦

(٢) الآية ٥٢ و ٥٣ من سورة الشورى .

(٣) الشاعر مهلهل بن ربيعة ، من تغلب بن وائل . جاء البيت فى الاصمعيات ص ٢٥٦ والعقد الفريد جـ ٥ ص ٢٢٠ وأنظر سمط اللآلى ص ٣٤١ . خبطن: يعنى الخيل وفرسانها والخبط ، الضرب الشديد ، والمراد بالبيوت القبائل والاحياء

وهم بنو الأعمام . وقد يكون مررت بعبد الله أخوك ، كأنه قيل له من هو ؟ أو مَنْ عَبْدُ اللَّه ؟ فقال : أخوك .

وقال الفرزدق :—

وَرِثْتُ أَبِى أَخْلاَقَهُ عَاجِلَ القِرَى وَعَبْطَ المَهَارِى كُومُهَا وَشَبُوبُهَا (١)

كأنه قيل له : أى المهارى ؟ فقال : كُومُها وَشَبُوبُها . ونقول : مررت برجل الأُسَدَ شِدَّةً ، كأنك قلت : مررتُ برجلٍ كاملٍ ، لأنّك أردت أن ترفع شأنه . وان شئت استأنفت ، كأنه قيل له ما هو ؟ .

وقال الراجز (٢) :—

وَسَاقِيَيْنِ مِثْلِ زَيْدٍ وَجُعَلْ سَقْبَانِ مَمْشُوقَانِ مَكْنُوزَا العَضَلْ (٣)

ويقول سيبويه فى باب : " هذا باب مالا يعمل فى المعروف الا مضمرا " " وأما قولهم نعم الرجل عبد الله ، وعبد الله نعم الرجل ، كأنه قال : نعم الرجل ، فقيل له : من هو ؟ فقال : عبد الله ، واذا قال : عبد الله فكأنه قيل له ما شأنه ؟ فقال : نعم الرجل " (٤) .

---

(١) ديوان الفرزدق ص٦٦ برواية (وضرب عراقيب المتالى شبوبها) والكوم جمع كوماء وهى الناقة العظيمة السنام . والمهارى : جمع مهرية وهى الابل تنسب الى مهرة بن حيدان وهى معروفة بالنجابة . وعبطها : ان تنحر لغير علة ، والشبوب : المسنة ، واكثر ما يستعمل فى وصف الثور الوحشى . ويروى : (شنونها) قال الأعلم (وهو أصح . والشنون : التى أخذت فى السمن ولم تتنه) ولكن البيت من قصيدة بائية معروفة للفرزدق . والشاهد فيه قطع (كُومُها وَشَبُوبُها) .

(٢) لم أعثر على اسم قائله : وسقبان : طويلان ، ويروى الشنتمرى (الصقبان) بالصاد بدل السين ، والصقب : عمود من أعمدة الخباء ، فشبه الطويل به وهما (سقبان وصقبان) بمعنى واحد . والممشوق : الضامر الخفيف اللحم . والمكنوز : الشديد اللحم . والعضل جمع عضلة ، وهى الساق والعضد ونحوهما مما فيه العصب .

(٣) الكتاب جـ١ ص ٢٢٥ — ٢٢٦ ، ط بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ص ١٧ .

(٤) الكتاب جـ١ ص ٣٠٠ ط بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ص ١٧٧ .

فسيبويه قد جعل الجملة الأولى متضمنة سؤالا ، وجعل الجملة الثانية جوابا عن سؤال اقتضته الأولى فتفصل الثانية عن الأولى كما يفصل الجواب عن السؤال وجعل سيبويه الجملة الثانية استئنافا . وفي آية الشورى (صِرَاطَ اللَّهِ بدل من صِرَاطَ الأُول)(١) . وقال الأعلم الشنتمري (٤٧٦ هـ) في بيت مهلهل : " الشاهد فيه قطع الأخوال مما قبلها وحملها على الابتداء ، لأنه لما قال : بيوت يشكر ، توهم أن يقال له : ومن هم ؟ فقال أخوالنا ، أي أخوالنا وهم بنو أعمامنا ، لأن يشكر من بكر بن وائل ومهلهل من تغلب بن وائل . وقال : في بيت الفرزدق " الشاهد فيه قطع الكوم وما بعدها مما قبلها على الابتداء " . وفي قول الزاجر : " قال الشاهد في قطع الصقبين وما بعدهما وحملهما على الابتداء "(٢) وقد روى البيت سيبويه بالسين (سقبان) ورواه الأعلم بالصاد ، وقال السيرافي : (صقبان) كذا رواية الشواهد بالصاد وهي والسين بمعنى . ولا أظن فرقا في المعنى ، فقد جاء في المعجم الوسيط " السقب " من معانيه الطويل وعمود الخباء (والصقب) العمود الأطول في وسط الخباء "(٣) وما ساقه سيبويه من شواهد واضح فيها الفصل بين الجمل . وقال عبد المتعال الصعيدي : "وقد أجاز سيبويه عطف الجملتين المختلفتين بالاستفهام والخبر مثل أن تقول : " هذا زيد ومن عمرو ؟ " ومثل هذا الفصل لما يسمونه كمال الاتصال وهو أن تكون الجملة الثانية تأكيدا للأولى أو بدلا منها أو عطف بيان لها "(٤) . وهذا واضح

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص ٦٤٦ المطبعة العثمانية سنة ١٣٠٥هـ تفسير البيضاوي .

(٢) الكتاب جـ١ ص ٢٢٥ — ٢٢٦ . عبد السلام هارون جـ٢ ص ١٥ — ١٧ أنظر بغية الوعاة ص ٤٢٢ .

(٣) المعجم الوسيط جـ١ ص ٤٣٥ — ٥١٨ .

فى كلام سيبويه فان الجملة الأولى خبرية والثانية انشائية وهناك ما بين الخبر والانشاء من التباين .

ويعد بعض البلاغيين بكمال الانقطاع وكمال الاتصال والانقطاع بمعنى واحد ، ويقول احمد بن على السبكى (١) (ولد ٧١٩/ توفى ٧٧٣هـ) : " ونقل الشيخ أبو حيان عن سيبويه ، جواز المختلفتين بالاستفهام والخبر ، مثل هذا زيد ومن عمرو ؟ وقد تكلموا على ذلك فى قوله تعالى : " وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ " (٢) وحاصله أن أهل هذا الفن متفقون على منعه وظاهر كلام النحاة جوازه ولا خلاف بين الفريقين لأنه عند من جوزه يجوزه لغة ولا يجوزه بلاغة . وقال الشاعر وهو الأخطل ، كذا ذكر سيبويه :

وَقَالَ رَائِدُهُمْ أَرْسُو نُزَاوِلُهَا فكُلُّ حَتْفِ امرِئٍ يَجْرِى بِمِقْدَارِ (٣)

لأن أرسوا فعل أمر فهو انشاء لفظا ومعنى ونزاولها خبر لفظا ومعنى لأن الغرض تعليل الأمر بالارساء بالمزاولة اما للحرب على قول ابن الحاجب وهو الصحيح أى أرسوا السفينة نزاول الحرب او للسفينة على قول غيره (٤) " .

وعلى هذا يكون سيبويه من القضايا البلاغية التى تحدث عنها فى الكتاب " كَمَالُ الانْقِطَاعِ " الذى يكون بين الجملتين ، ويحصل لاختلافهما خبرا وانشاء لفظا ومعنى ، مثل قول الأخطل " قال رائدهم : ارسوا " . وقبله الآية الكريمة (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ . وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ) فالأولى انشاء والثانية خبر . وكلام الشيخ السبكى " إن هذا يجوز لغة ولا يجوز بلاغة " يرد

---

(١) انظر بغية الوعاة ص ١٤٨ — ١٤٩ لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى (ت ٩١١) الناشر دار المعرفة — بيروت — لبنان —

(٢) الآية ١٢١ من سورة الأنعام .

(٣) لم أجده فى ديوانه ، ورد فى شروح التلخيص جـ٣ ص ٢٧ .

بما جاء فى الآية الكريمة ،لان القرآن الكريم الذى تستنبط منه الأمة نظـــام حياتها وهو ديدنها فى ذلك ، وهو قمة البلاغة العربية والاعجاز ، وقد عجـز فصحاء العرب وبلغائهم عن مجاراته ، واستمد منه البلاغيون أنفسهم قواعدهم البلاغية فالقرآن أصل ، فلا ينبغى لنا أن نجنح للتفريق ، والجواز لغة والمنع بلاغة ، لمجرد مخالفة الآية الكريمة للقاعدة المشهورة عند البلاغيين بعدم صحة العطف أو الوصل بين الجملة الانشائية والخبرية .

" وما الذى يمنع أن يأخذ البلاغيون بجواز عطف الخبر على الانشاء او الانشاء على الخبر ؟ وان وجدوا ما يعكر صفو الأسلوب أو المعنى ، قدروا وأولوا انشاء على انشاء أو خبرا على خبر ، ولماذا لم يقبل البلاغيون هذا الرأى كما قبله النحاة ؟ ولو كان البلاغيون ما وجدوه من أمثلة هى من وضع النحويين وحدهم ولم يكن عندهم ما يسندهم من القرآن الكريم ، لكان لهم حق الاعتراض ، ولكن مع وجود الدليل من القرآن الكريم فقد وهن كل ما يقدم من حجج "(١) .

ويقول صاحب مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربى " وكون ماذكر مانعا من العطف بالاتفاق إنما هو باعتبار مقتضى البلاغة وما يجب أن يراعى فيها ، وأما عند أهل اللغة ففيه الخلاف ، ومن منع فلا اشكال ومن جوز كأن يقال : " مثلا حسبى الله ونعم الوكيل ، بناء على أن احدى الجملتين خبر والأخرى انشاء فتجويزه إذا لم تراعى البلاغة كذا قيل : وفيه نظر لأن

---

(١) انظر اثر النحاة فى البحث البلاغى ص ١٠٧ — ١٠٨ — بتصرف — دار قطرى ابن الفجاءة للنشر والتوزيع — قطر — الدوحة — الطبعة الثانية ١٩٨٦م .

الجائز لغة ما لم يكن نادرا لا ينافى البلاغة وان أريد أن الفصل عنده كمال الانقطاع واجب فى مقام ، ممتنع فى آخر ، فهذا مما لم يذكروه ولم يتعرضوا له أصلا .. " (١) . وما قاله ابن يعقوب : من أن الجائز لغة ما لم يكن نادرا لا ينافى البلاغة ، أظنه أقرب الى الصواب لأنه رأى يعضد موقف سيبويه وما نقله عنه أبو حيان ، بأن الواو للعطف ، وما ذكره الشيخ عبد المتعال الصعيدى . وماذكره الشيخ السبكى بأن النحاة يجيزون عطف الخبر على الإنشاء والانشاء على الخبر . وفى قوله تعالى : (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ) آية الأنعام بحثت فى كتب رئيسية فى التفسير منها البيضاوى والبحر المحيط والقرطبى والكشاف وزاد المسير وغيرها ، فلم أجد فيها قولا شافيًا أنها للحال أو العطف لأنها إذا كانت للحال ، فتخرج عن موضوعنا الذى نتحدث عنه . ويقول أبو حيان (٦٥٤ — ٧٥٤ هـ) : " وإنّه " الضمير عائد الى المصدر الدال عليه تأكلوا أى وان الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه (لفسق) لمعصية وهذه الجملة لا موضع لها من الاعراب وتضمنت معنى التعليل فكأنه قيل لفسق (٢) . وقد اعتبر أبو حيان الآية شاهدا على الفصل فى الجمل ولم يتعرض للواو . وقال فى حاشية الدسوقى على شرح السعد : " بل الفصل والوصل ، كما يجريان فى الجمل يجريان فى المفردات ولا يختصان بالجمل ، فان كان بين المفردين جامع وصلتهما كما إذا كان بينهما تقابل نحو قوله تعالى : (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ (٣)) فالوصل لدفع توهم عدم

---

(١) شروح التلخيص جـ٣ ص ٢٦ ، عيسى البابى الحلبى .
(٢) البحر المحيط : تفسير ابى حيان الاندلسى جـ٤ ص٢١٢ ، أنظر الهامش .
(٣) الآية ٣ من سورة الحديد .

اجتماعهما وان لم يكن بينهما جامع فصلتهما كما فى قوله تعالى : " هُوَ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ "(١) .

ومن هنا وضح لنا أن الفصل والوصل لايكون مقصورا على الجمل ولكنه بين المفردات أيضا ويشترط له الجهة الجامعة فى الوصل وإن لم يكن جهة جامعة فصلت كما فى الآية الكريمة .

ويقول عبد القاهر الجرجانى (ت٤٧١ هـ) : " واعلم أن سبيلنا أن ننظر الى فائدة العطف فى المفرد ثم نعود الى الجملة فننظر فيها ونتعرف حالها ومعلوم أن فائدة العطف فى المفرد أن يشرك الثانى فى اعراب الأول وأنه إذا اشركه فى إعرابه فقد أشركه فى حكم ذلك الإعراب — ومعنى ذلك — أن المعطوف على المرفوع بأنه فاعل مثله والمعطوف على المنصوب بأنه مفعول به أو فيه أوله شريك له فى ذلك ثم تحدث الإمام عبد القاهر عن الجمل ويفهم من كلامه أن الجملة إذا كان للمعطوف عليها موضع من الاعراب كان حكمها حكم المفرد "(٢) . وهذا أيضا اعلام لنا بأن الوصل والفصل كما يكون فى الجمل يكون فى المفردات .

وقال يوسف بن أبى بكر محمد بن على أبو يعقوب السكاكى سراج الدين الخوارزمى (ولد سنة ٥٥٥ هـ وتوفى ٦٢٦ هـ) فى حديثه عن الوصل والفصل "واعلم أن تمييز موضع العطف عن غير موضعه فى الجمل كنحو أن تذكر معطوفا بعضها على بعض تارة ومتروكا العطف بينها تارة أخرى ، هى الأصل فى هذا

---

(١) شروح التلخيص جـ٣ ص٣ . الآية ٢٣ من سورة الحشر .

(٢) دلائل الاعجاز ص ١٧١ . دار المعرفة — بيروت — لبنان سنة ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م .

الفن ويشترط كون العطف بالواو مقبولا أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة ، مثل ماترى فى نحو الشمس والقمر والسماء والأرض والجن والإنس "(١)

ولعل صاحب مفتاح العلوم قد وضح فى أول عبارته بأن الجمل إذا ذكرت معطوفة بعضها على بعض فهذا معناه الوصل وإذا ترك العطف فهذا هو الفصل وجعل ذلك هو الأصل والأصل هو المعول عليه ولكن كيف تتكون الجمل ؟ ألم تكن مفردات الجملة هى أساسها ، ومنها تتكون الجملة ؟ لذلك أظن أن السكاكى الذى اشترط أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة فى حالة الوصل ومثل بالشمس والقمر والسماء والأرض والجن والإنس وهى مفردات كأنه يريد أن يقول لنا : إن الوصل والفصل يكون فى الجمل ومن باب أولى فى المفردات التى تتكون منها الجمل .

ويقول سعد الدين التفتازانى (ت ٧٩١ هـ) : " إن أردت شرط قبول العطف فشرط كونه مقبولا بالواو فى باب البلاغة ، أن يكون بينهما أى بين — المتعاطفين من مفردين أو جملتين ، جهة جامعة نحو زيد يكتب ويشعر ، لما بين الكتابة والشعر من التناسب الظاهر او يعطى ويمنع لما بين الاعطاء والمنع من التضاد بخلاف زيد يكتب ويمنع أو يعطى ويشعر وذلك لئلا يكون الجمع بينهما كالجمع بين الضب والنون ..) . ولعل الذين تعرضوا لهذا البحث

---

(١) مفتاح العلوم للسكاكى ص ٢٤٩ — ٢٥١ ، دار الكتب العلمية — بيروت لبنان وانظر : بغية الوعاة ص ٤٢٥ .

(٢) مختصر التفتازانى ، ضمن شروح التلخيص ص ٨ — ٩ .

حيث قال " إن الأصل فى المفرد فصله مما قبله ،لأن ما قبله :—

١ — إما عامل فيه مثل : " زيد قائم " فلا يعطف المعمول على عامله .

٢ — أو معمول فلا يعطف العامل على معموله .

٣ — أو كلاهما معمول والفصل يطلبهما واحدا فلا يمكن عطفه لأنه يلزم قطع العامل الثانى مثل " علمت زيدا قائما " . واذا اجتمع مفردان ،وأمكن من جهة الصناعة ، عطف أحدهما على الآخر فان كان بينهما جامع تم الوصل والا كان الفصل هو الأساس " (١) . وقد اجمع شراح التلخيص على مثل هذا الرأى وان اختلفت العبارات .

الحـــذف :ـ

وسيبويه فى كتابه نص على ضرورة الحذف لدواع جديرة بأن تدخـــل فن البلاغة من أوسع أبوابه ، مثل الايجاز والسعة والتخفيف ، ويقدم الدليـــل على أن العرب ، جرت عادتها على الحذف ، ولغتهم تقدم كثيرا من تلك النماذج شعرا ونثرا ، ويقول : " وأعلم أن بعض الكلام أثقل من بعض ،فالافعال أثقـل من الاسماء لأن الاسماء هى الأول وهى أشد تمكنا ، فمن ثم لم يلحقها تنوين ولحقها الجزم والسكون . وأعلم أن النكرة أخف عليهم من المعرفة وهى أشـــد تمكنا ، لأن النكرة أول ، ثم يدخل عليها ما تعرف به ، فمن ثم أكثر الكلام ينصـرف فى النكرة ، وأعلم أن الواحد أشد تمكنا من الجمع لأن الواحد الأول ومن ثم لم يصرفوا ماجاء من الجمع على مثال ليس يكون للواحد نحو مساجـــد ومفاتيح . وأعلم أن المذكر أخف عليهم من المؤنث ، لأن المذكر أول وهو أشد تمكنا ، فالتنوين علامة للامكن عندهم والأخف عليهم ، وتركه علامة لما يستثقلون "(١) .

قد فاضل سيبويه بين الأفعال والأسماء ، والنكرة والمعرفة والواحـــد والجمع ، والمذكر والمؤنث ، وعلل لذلك تعليلا مقبولا وهو أن العرب تميـــل الى التخفيف فى النطق ولا تريد أن تضيف عبئا على الكلمة الثقيلة ، بزيادة التنوين عليها ، فكرهوا أن يزيدوا ثقلا على ثقل ، واذا كانت العرب تميـــل الى خفة نطق الكلمة ، ويكرهون توالى المتحركات فما بال كلمة ثقيلة يـــزاد عليها ثقل ؟

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٦ ــ ٧ ــ ط بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٢٠ ــ ٢٢

ويقول سيبويه : " واعلم أنهم ربما يحذفون الكلم ، وان كان أصله في الكلام غير ذلك ، ويحذفون ويعوضون ، ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطا . فمما حذف وأصله في الكلام غير ذلك . لم يك ولا أدر وأشباه ذلك . وأما استغناؤهم بالشيء عن الشيء فإنهم يقولون يدع ولا يقولون ودع ، استغنوا عنها بترك . والعوض قولهم : زنادقة وزناديق ، حذفوا الياء وعوضوا الهاء وقولهم أسطاع يسطيع إنما هي أطاع يطيع ، زادوا السين عوضا من ذهاب حركة العين . وقولهم : اللهم حذفوا " يا " والحقوا الميم عوضا "(١) .

ولا أظن أن هناك طائل وراء ذلك فيما ساقه سيبويه من أقوال العرب غير الخفة في الكلام وتجميل اللفظ ، والعرب تتحسس مواطن الجمال في لغتها ألم تكن لغة القرآن الكريم الذي هو قمة البلاغة العربية .

ويقول سيبويه في حذف المسند : " ومما يقوي ترك نحو هذا لعلم المخاطب ، قوله عز وجل : " والحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالحَافِظَاتِ والذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا والذَّاكِرَاتِ " فلم يعمل الآخر فيما عمل فيه الأول استغناء عنه ، ومثل ذلك : " وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ من يفجُرُك "(٢) .

وقبل أن نتحدث عن الحذف نريد أن نقول : إنّ الآية الكريمة كتبت في الكتاب وبها تحريف ، والتحريف في تقديم آخر الآية على أولها والآية في المصحف الشريف من سورة الأحزاب ، هكذا : " والحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ والحَافِظَاتِ والذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا والذَّاكِرَاتِ "(٣) .

---

(١) الكتاب جـ١ ص٨ ط بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٢٤ ـ ٢٥

(٢) الكتاب جـ١ ص ٣٧ ط بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٧٤

(٣) الآية ٣٥

ويقول محمد بن يوسف — كما أوردناها فى النص — بقى أن نقول ان التحريف الذى ورد فى كتابة الآية ، جاء فى الجزء الاول من الطبعة الاولى — المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق ، مصر المحمية سنة ١٣١٦ هـ سنة ستة عشر وثلاثمائة والف هجرى . القسم الادبى .

وقد قام عبد السلام هارون — محقق كتاب سيبويه ، بتصويب الآية فى الجزء الاول — جزاه الله خيرا — حين تحدث فى مقدمته عن الطبعة الرابعة ، صفحة أربعة وخمسين وكذلك أيضا فى جـ ١ ص ٧٤ فى الشرح وأشار فى الهامش الى الخطأ .

وربما كان التحريف من المطبعة ، ولم يكن من الأصل الذى كتبه المؤلف وقد تكون هفوة وقع فيها قسم التدقيق فى المطبعة الأميرية .

ونعود الآن لنواصل ما كنا نتحدث فيه ، فسيبويه يقرر فى باب التنازع أن حذف المسند لم يكن اعتباطا وانما كان لعلم المخاطب به فيعتمد المتكلم على ادراك المخاطب فى فهم المحذوف . وقد استدل بالآية الكريمة شاهدا على حذف المسند . ويقول محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى القرناطى (٦٥٤ = ٧٥٤ هـ) : " حذف المفعول من الحافظات والذاكرات لدلالة ما تقدم ، والتقدير والحافظاتها والذاكراته " (١) وقال : —

" والحافظات مفعوله محذوف وكذلك قد حذف مفعول الذاكرات لدلالة الأولى عليه " (٢) .

---

(١) البحر المحيط جـ٧ ص ٢٢٦ تفسير أبى حيان ط . الثانية ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت لبنان .

(٢) الجدول فى اعراب القرآن وصرفه جـ ١ ص ٢٦١ .

وقد دعم سيبويه رأيه فيما يقدم من أدلة على الحذف ، بعد كتاب الله بأشعار العرب وأقوالهم ، والشعر لسان العرب وديوانهم . قال سيبويه : " قال قيس بن الخطيم :

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفُ (١)

والمراد نحن بما عندنا راضون ، فحذف المفعول ، الذى خبر الأول اكتفاء بخبر الثانى .

وقال ضابئ البرجمى :

فمن يَكُ أَمْسَى بالمدينة رَحْلُه فَإِنِّى وَقَيَّارًا بِهَا لَغَرِيبُ (٢)

وقال الفرزدق :—

إِنِّى ضَمِنْتُ لمنْ أَتَانِى مَا جَنَى وَأَبَى فَكَانَ وكنتُ غيرَ غَدُورِ (٣)

أراد البرجمىّ أن يقول : فإنى بها لغريب ، وإنّ قياراً بها لغريب وحذف المفعول إنما جاء لعلم المخاطب به ، واعتماد الشاعر على بديهة السامع

---

(١) ورد البيت فى ملحقات ديوان قيس بن الخطيم ص ٢٣٩ ، دار الصادر ، بيروت — لبنان ، وكذلك فى معاهد التنصيص جـ١ ص ١٨٩ والعينى ص ١٩٠ وهامش الخزانة جـ١ ص ٥٥٧ . كما ورد منسوبا الى عمرو بن امرئ القيس كما فى الخزانة جـ٢ ص ١٩٣ وجمهرة أشعار العرب ص ١٣٧ فى قصيدة له . ونسب الى درهم بن زيد الانصارى فى الانصاف ص ٦٥ ، وورد غير منسوب فى أمالى ابن الشجرى جـ١ ص ٢٩٦ — ٣١٠ .

(٢) قال ضابئ هذا البيت فى السجن حينما حبسه عثمان لهجائه قوما من بنى جرول بن نهشل . قيار اسم فرسه . والرحل : المنزل . ورد فى الخزانة جـ ٤ ص ٨١ و ٣٢٣ . والكامل ص ١٨١ وشواهد المغنى ص ٢٩٣ وشرح المرزوقى للحماسة ص ٩٣٦ والانصاف واللسان (قير) .

(٣) نسب الى الفرزدق فى الانصاف ص ٦٦ ولم أجده فى ديوانه . الكتاب جـ١ ص ٣٩ — بولاق — . عبد السلام هارون جـ١ ص ٧٦ .

أو المخاطب فى فهم المحذوف . وكذلك بيت الفرزدق فقد حذف الخبر من الأول لدلالة خبر الثانى عليه والتقدير أي ضمنت له جنايته . ولعلّ حذف المفعول الذى هو فضلة ، قد جاء فى شعر العرب ، فمن باب أولى حذف خبر المبتدأ الذى هو عمدة أشدّ من حذف الفضلة ، مادام هناك مسوّغ لذلك وهو علم المخاطب كما تقدم .

ويقول أبو بشر : " وحذفوا كما قالوا : حينئذ الآن ، وإنما يريد حينئذ واسمع إليّ الآن ، فحذف (واسمع منى الآن) ، كما قال تالله ما رأيت كاليوم رجلا ، أي كرجل أراه اليوم رجلا " . وهذا السماع عن العرب لم يكن وراءه من نكتة بلاغية ، غير السعة والاختصار والخفة على اللسان . وفى موضع من الكتاب يقول : (هذا باب ما يكون فيه المصدر حينًا لسعة الكلام والاختصار) . وذلك قولك : مَتَى سِيرَ عَلَيْهِ ؟ فيقول : مَقْدَمَ الحاجّ ، وخُفُوقَ النجمِ وخلافةَ فلانٍ ، وصلاةَ العَصْرِ . فإنما هو : زَمَنَ مَقْدَمِ الحاجّ ، وحِينَ خُفوقِ النجمِ ، ولكنه على سعة الكلام والاختصار "(١) . ونلحظ هنا أن المحذوف قد يكون جارًا ومجرورًا وقد يكون ظرفا ، وليس هناك غاية أكثر من التخفيف فى نطق الكلام وأن تكون فى الكلام قرينة تدل على أن المحذوف معلوم لدى السامع .

ويقول سيبويه عن الحذف : وقال الجعدى :ـ

كأنَّ عَذِيرَهُم بجُنُوبِ سِلّى نَعَامٌ قَاقَ فى بَلَدٍ قِفَارِ(٢) .

العذير : الصوت . انما أريد : عذير نعام .

---

(١) الكتاب جـ١ ص ١١٤ طبولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٢٢٣ـ٢٢٤

(٢) فى ديوان النابغة الجعدى ص ٢٤٢ وسيبويه والشنتمرى جـ١ ص ١٠٩ وهو عند ابن السيرافى ص ٢٢١ لشقيق بن جزء بن رياح وفى اللسان (فوق) جـ٢ ص٢٠١ لأحدهما . وفى الانصاف ص٤٥ ورد بلا نسبة . والعذير : الصوت ، ورد فى الوساطة

ومن ذلك قول ساعدة :—

لَدُنٌ بِهَزِّ الكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ فيه كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ (١)

يريد فى الطريق .

ومن ذلك قولهم : أكلت أرض كذا وكذا ، وأكلت بلدة كذا وكذا وهى انما يريد أنه أكل من ذلك وشرب ، وأصاب من خيرها . وهذا أكثر من ان يحصى ومنه قولهم : " هذه الظهر او العصر أو المغرب " . إنما يريد : صلاة هذا الوقت . و " اجتمع القَيْظُ " يريد : اجتماع الناس فى القيظ . وقال الحطيئة :

وشرُّ المَنَايَا مَيِّتٌ بَيْنَ أَهْلِهِ كَهُلْكِ الفَتَى قَدْ أَسْلَمَ الحَيَّ حَاضِرُه (٢)

يريد : منية ميت .

وقال النابغة الجعدى :—

وكَيْفَ تُوَاصِلُ مَنْ أَصْبَحَتْ خِلَالَةُ كَأَبِى مَرْحَبِ (٣)

يريد كخلالة أبى مرحب (٤) . ولا أظن مجىء حذف المضاف هنا الا للايجاز

---

(١) ديوان الهذليين جـ١ ص ١٩٠ وروايته فيه (لذا) أى تلتذ الكف بهزه وهو فى صفة رمح . وروايته فى اللسان (عسل) كما هنا برفع (لدن) واللدن : الناعم والعسلان : سير سريع فى اضطراب .

(٢) لم أجده فى ديوان الحطيئة رواية السكرى ، لكنه ورد من أبيات رواها ابن سلام فى الطبقات ص ٩٤ — ٩٥ ، يفضل فيها عيينة بن حصن على زبان بن سيار . وورد بدون نسبة فى الانصاف ص ٤٧ وشرح القصائد السبع الطوال لابن الانبارى ص ٤٥١ وفى الطبقات (كهلك الفتاة ايقظ الحى حاضره) أى حاضر الهلك .

(٣) ورد فى أمالى القالى جـ١ ص ١٩٢ وسمط اللآلى ص ٤٦٥ وفى لسان العرب مادة (خلل ٢٣٠ ، رحب ٤٠٠) . وفى شرح القصائد السبع الطوال ص ٤٥١ والانصاف ص ٤٧ بغير نسبة فيهما . والخلالة بتثليث الخاء : الصداقة من الخليل وأبو مرحب : كنية الظل ، ويقال هو كنية عرقوب الذى قيل عنه (مواعيد عرقوب) وفى اللسان (خلل) .

(٤) الكتاب جـ١ ص ١٠٩ — ١١٠ ط بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ١١٥ .

والايجاز هو البلاغة بعينها .

ويقول أبو الفتح عثمان ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) فى حذف المضاف :

" وفى قوله تعالى :ـ " إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ " (١) أي دين الله وعهود الله وأولياء الله ، وحذف المضاف فى القرآن والشعر وفصيح الكلام فى عدد الرمل سعة وأستغفر الله . وربما حذفت العرب بعد المضاف مكررا ، أُنْسًا بالحال ودلالة على موضوع الكلام ، كقوله عز وجل : " فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ " (٢) أى من أثر حافر فرس الرسول (٣) .

والآمدى (ت ٣٧٠ هـ) يؤيد سيبويه ويقول : " وانما تستحسن العرب الحذف فى بعض المواضع لاقتضاء الكلام المحذوف ودلالته عليه " (٤) . ومعنى ذلك أن العرب إنما تختار الحذف وتفضله ، حين يدع اليه داع ويقتضيه المقام .

ويقول سيبويه : " فى باب اسماء القبائل والأحياء وما يضاف الى الأم والأب " أما ما يضاف الى الآباء والأمهات فنحو قولك : هذه بنو تميم ، وهذه بنو سلول ، ونحو ذلك . فإذا قلت : هذه تميم وهذه أسد ، وهذه سلول . فإنما تريد ذلك المعنى . غير أنك إذا حذفت المضاف تخفيفا كما قال عز وجل : " وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ " ويطؤهم الطريق ، وانما يريدون أهل القرية وأهل الطريق . وهذا فى كلام العرب كثير ، فلما حذفت المضاف وقع على المضاف اليه ما يقع على المضاف لأنه صار فى مكانه فجرى مجراه " (٥) .

---

(١) الآية ٧ من سورة محمد .

(٢) الآية ٩٦ من سورة طه .

(٣) المحتسب جـ١ ص ١٨٨ . المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ١٣٨٦ هـ لجنة إحياء التراث الاسلامى .

(٤) الموازنة جـ١ ص ٤٨ الآمدى . هو ابو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى

وحديث سيبويه عن حذف المضاف الذى يترتب عليه أنما يقع على حذف المضاف حذف المضاف اليه لأنه يصير فى مكانه والدافع اليه التخفيف الذى جرت عليه ألسنة العرب فى كلامها .

ويقول الزجاج (ت ٣١٦هـ) : مستشهدا بما جاء فى كتاب الله على حذف المضاف اليه : " وذلك قوله تعالى : "وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا" (١) أي كانوا من قبل مجيئه ، أي : مجيء الكتاب ، يعنى القرآن أي : يستفتحون على الذين كفروا ، فحذف المضاف . وقال تعالى : " للّه الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ " (٢) ، أي من قبل كلّ شيء ومن بعد كلّ شيء " (٣) . والقرآن جاء بلسان عربى مبين ، وهو الذى يمثل قمة البلاغة العربية وفصحاء العرب وشعرائهم وخطبائهم إنما أعجزتهم بلاغة القرآن الكريم .

ويقول سيبويه : وسمعنا العرب الفصحاء يقولون : انطلقت الصّيف ، أجروه على جواب مَتَى ، لأنه أراد أن يقول فى ذلك الوقت . ولا يجوز لك أن تريد الحرف غير ما أرادوا " (٤) . وفى مكان آخر من الكتاب يقول سيبويه عن الحذف : " ومن ذلك : اخترت الرجال عبد الله ، ومثل ذلك قوله عزوجل : "وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لمِيقَاتِنَا" (٥) ، وسميته زيدا وكنيت زيدا أبا عبد الله

---

(١) الآية ٨٩ من سورة البقرة .
(٢) الآية ٤ من سورة الروم .
(٣) اعراب القرآن المنسوب للزجاج جـ٢ ص ٦٥٣ . دار الكتاب اللبنانى بيروت لبنان — ط الثالثة ١٤٠٦٧ هـ ١٩٨٦م .
(٤) الكتاب جـ١ ص ١١١ ط بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٢١٩ .
(٥) الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .

ومنه قول الشاعر :—

استغفرُ اللَّهَ ذَنْبًا لستُ مُحْصِيَهُ ربَّ العبادِ إليه الوَجْهُ والعَمَلُ (١)

فهذه أفعال تتوصل بحروف الاضافة فتقول اخترت فلانا من الرجال وسميته بفلان فلما حذفوا حرف الجر عمل الفعل ، ومثل ذلك قول المتلمس :—

آليتَ حَبَّ العِراقِ الدَّهْرَ أَطْعَمُهُ والحبُّ يأكلُهُ فى القَرْيَةِ السُّوسُ (٢)

يريد على حَبِّ العراق . وكما تقول نبئت زيدا يقول ذاك ، أى عند زيد . وليست عن وعلى ههنا بمنزلة الباء فى قوله تعالى : " وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا " (٣) وليس بزيد لأن عن وعلى لا يفعل بهما ذاك ، ولا بمن فى الواجب " (٤) وتحدث سيبويه عن حذف حروف الإضافة التى يعنى بها حروف الجر ، وساق أمثلة لذلك من كلام العرب نثرها وشعرها وتوج ذلك بالآية الكريمة وأنك أن (عَنْ) وَ (عَلَى) لا تستعملان ، زائدتين وكذلك (من) الواقعة فى الاثبات . وأن ماحذف من حروف إنما كان للتخفيف والايجاز .

وقال سيبويه : " ومن العرب من يقول : اللَّهِ لأَفْعَلَنَّ ، وذلك أنه أراد حرف الجر وإيَّاهُ نوى ، فجاز حيث كثر فى كلامهم ، وحذفوه تخفيفا وهم ينوونه

---

(١) ورد هذا البيت فى سيبويه جـ١ ص١٧ ، والخزانة جـ١ ص ٤٨٦ ، غير منسوب لشاعر معين والذنب هنا اسم جنس بمعنى الجمع فلذا قال : لست محصيه . والوجه : القصد والمراد : وأراد : من ذنبه .

(٢) ورد فى ديوان المتلمس ص ٥ نسخة الشنقيطى . وكان عمرو بن هند قد أقسم الا يطعم المتلمس حب العراق لما خافه على نفسه وفر المتلمس الى الشام ومدح ملوكها فقال لعمرو آليت على ذلك ، وقد أمكننى منه بالقريه — يعنى الشام — ما يغنى عما عندك ، وما يأكله السوس من كثرته .

(٣) الآية ٧٩ و ١٦٦ من سورة النساء . والآية ٢٨ من سورة الفتح .

كما حذف رب في قول الشاعر العنبري :

وَجَدَّاءَ مَا يُرْجَى بها ذو قَرَابَةٍ لِعَطْفٍ وما يَخْشَى السُّعَاةَ رَبِيبُهَا (١)

انما يريدون : رُبَّ جَدَّاءَ وحذفوا الواو كما حذفوا اللاّمين من قولهم : لاَ أبو لك ، حذفوا لام الاضافة واللاّم الأخرى ليخففوا الحرف على اللسان وذلك ينوون (٢)

وحذف الحرف كثير في كلام العرب كما قال سيبويه : ولن نجد شيئا لذلك غير التخفيف على اللسان ، والتخفيف غرض بلاغي يقصد اليه وحروف الجر المحذوفة هنا لم تكن متصلة بالكلمات وإنما هي منفصلة .

ويقول المبرد (ت ٢٨٥ هـ) : " وأعلم أن من العرب من يقول : " اللَّهِ لأَفْعَلَنَّ " يريد الواو فيحذفها . وليس هذا بجيد في القياس ولا معروف في اللغة ولا جاز عند كثير من النحويين . وإنما ذكرناه ، لأنه شيء قد قيل وليس بجائز عندي ، لأن حرف الجر لا يحذف ولا يعمل الا بتعويض" (٣) ومعنى ذلك أن المبرد يرى أن الحذف يخالف القياس ويشط عن اللغة وهو لا يجيزه .

والخلاف بين سيبويه والمبرد في النصين المتقدمين واضح فسيبويه يجيز الحذف والمبرد يمنعه . وأظن سيبويه قد أجاز ذلك لأنه كثر في كلامهم ثم أن الحذف وكأنه يريد أن يقول لنا : إن الحذف لم يكن في النثر فحسب بل جاء

---

(١) ورد في سيبويه جـ١ ص ٢٩٤ منسوبا للعنبري ولم يذكر اسما لهذا العنبري وفي لسان العرب مادة (جدد — سما) جـ٣ ص ١١٠ بدون نسبة . الجداء : الغلاة لاماء بها من الجد وهو القطع . ويقولون ناقة جداء : قليلة اللبن يابسة الضرع . السُّعاةَ : الصيادون وربيبها : وحشها أي أنه لا وحش بها فيخشى القانص .

(٢) الكتاب جـ٢ ص ١٤٤ — ط بولاق . عبد السلام هارون جـ٣ ص ٤٩٨ .

(٣) المقتضب جـ٢ ص ٣٣٦ . المجلس الأعلى للشئون الاسلامية . لجنة إحياء التراث الاسلامي — القاهرة .

به فى الشعر أيضا ليخففوا الحرف على اللسان .

ويقول الشريف الرضى (٣٥٩ ـ ٤٠٦) : البلاغة فى حذف حرف الجر وأن الحذف عريق فى أصول العربية فهو حين يتعرض لقول الله عز وجل حاكيا أو قاصا عن ابليس " قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ "(١) يقول : المراد لاقعدن لهم على صراطك المستقيم . والحذف ههنا أبلغ من الفصاحة وأعرف فى أصول العربية ، وأنظر قول الشاعر :— كما عسل الطريق الثعلب(٢)

والشريف الرضى يجعل البلاغة فى حذف حرف الجر ، بل ويجعل ذلك من صلب اللغة العربية ويسوق آية الأعراف دليلا على ذلك وأن الحذف أبلغ لمجيئه فى القرآن وأشعار العرب . وشطر بيت الشعر الذى جاء به الشريف الرضى قد استشهد به سيبويه من قبل كاملا ، على حذف حرف الجر ذكر فى هذه الرسالة .(٣) ويقول سيبويه : ان هذا ، أى حذف حرف الجر عند العرب أكثر من أن يحصى . وقال فى موضع آخر من الكتاب : قال الشماخ :

لَهُ زَجَلٌ كَأَنَّهُ صَوْتُ حَادٍ إِذَا طلب الوسيقةَ أَوْ زَمِيرُ .(٤)

وقال حنظلة بن فاتك :—

وَأَيْقَنَ أَنَّ الخَيْلَ إِن تلتمس له يكن لِغَسِيلِ النَّخْلِ بَعْدَه آبر(٥)

---

(١) الآية ١٦ من سورة الأعراف .

(٢) تلخيص البيان ص ١٤٣ ـ ١٤٤ .

(٣) انظر ص ٩٠ من هذه الرسالة .
لدن يهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب .

(٤) ديوان الشماخ ص ٣٦ . وسيبويه جـ١ ص ١١ . يصف حمار وحش هائجا . يقول : اذا طلب وسيقته وهى اناثه ، صوت بها فى تطريب وترجيع ، كالحادى يتغنى بالابل أو كأنه صوته صوت مزمار .

(٥) فى سيبويه والشنتمرى جـ١ ص ١١ . يصف جبانا أيقن أنه ان التبست به الخيل قتل فصار ماله لغيره أو يكون وصف شجاعا فيقول : قد علم أنه ثبت وقتل لم تتغير الدنيا بعده وبقى من أهله من يخلفه فى حرمة وأهله وماله فثبت فى الحرب ولم

وقال الأعلم الشنتمرى (٤١٠ — ٤٧٦هـ) "أراد كأنهو ، فحذف الواو — هذا فى بيت الشماخ ، وأراد بعد هو ، فحذف الواو فى بيت حنظلة "[1] .

وهذه المرة الحرف المحذوف لم يكن من حروف الجر بل كان واوا ولكنهم استثقلوا هذا المد فحذفوه تخفيفا .

ويقول الزجاج (ت ٣١٦ هـ) : " فى باب ما جاء فى التنزيل ، وقد حذف حرف الجر "[2] فمن ذلك قوله تعالى : " اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ " . التقدير اهدنا الى الصراط فحذف (الى) دليله قوله تعالى: " وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ "[3] . وقوله تعالى : " وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً "[4] . لأن العرب تقول : هديته الى الطريق فاذا قال هديته الطريق فقد حذف (الى)[5] .

ولم يعلل الزجاج للحذف بل اكتفى بأن قدم له أمثلة من قمة البلاغة العربية ولا اظن أنه يقصد غير ما قصد اليه سيبويه من التخفيف والايجاز .

وقال ابن سنان الخفاجى (ت ٤٦٦هـ) : وهو يتحدث عن الحذف وبلاغته ودواعيه ، مذكرا بأن تكون هناك قرينة تسوغ لهذا الحذف وهو علم المخاطب بذلك لكى يزول الخفاء . فقال : " ومما قصد به الايجاز حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه بحيث يقع العلم ويزول اللبس ، كقوله تعالى : " وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِى كُنَّا فِيهَا والعِيرَ الَّتِى أَقْبَلْنَا فِيهَا "[6] . والمعنى أهل القرية وأصحاب العير

---

(١) الكتاب جـ١ ص١١ . هامش الكتاب الشنتمرى . وهو يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمرى

(٢) الآية ٥ من سورة الفاتحة .

(٣) الآية ٥٢ من سورة الشورى .

(٤) الآية ١٧٥ من سورة النساء .

(٥) إعراب القرآن المنسوب للزجاج جـ١ ص١٠٦ .

(٦) الآية ٨٢ من سورة يوسف .

وكان أبو الحسن على بن عيسى الرمانى (ت٣٨٤ هـ) يسمى هذا الجنس — وهو اسقاط كلمة لدلالة فحوى الكلام عليها — الحذف "[1]. ويقول حازم القرطاجنى (ت ٦٨٤ هـ ١٢٨٥م) حين تحدث عن التفخيم والاعظام: " إنما يحسن الحذف مالم يشكل به المعنى، لقوة الدلالة عليه أو يقصد به تعديد أشياء فيكون فى تعدادها طول وسآمة فيحذف ويكتفى بدلالة الحال عليه، وتترك النفس تجول فى الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها على الحال. قال: بهذا القصد يؤثر فى المواضع التى يراد بها التعجب والتهويل على النفوس ومنه قوله تعالى فى وصف أهل الجنة: " حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا "[2]. فحذف الجواب اذ كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لايتناهى فجعل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه وتركت النفوس تقدر ما شأنه ولا يبلغ مع ذلك كنه ما هنالك لقوله عليه الصلاة والسلام: " لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر "[3]. وقد استحسن حازم الحذف إذا لم يكن هناك لبس وخفاء فى المعنى وأن المحذوف له ما يدل عليه. أما إذا قصد بالحذف تعداد أشياء تبعث على الملل والسآمة فيكتفى بدلالة الحال على الحذف وأثر ذلك يظهر جليا فى التفخيم والتهويل والتعجب والتعظيم، وضرب لذلك مثلا وصف أهل الجنة فى الآية الكريمة.

---

(١) سر الفصاحة ص ٢١٠ — ٢١١ ط. الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م دار الكتب العلمية — بيروت — لبنان —.

(٢) الآية ٧٣ من سورة الزمر.

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٣٩١ دار الكتب الشرقية تونس ١٩٦٦م رسالة دكتوراه. حديث ابى هريرة — رضى الله عنه — قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قَالَ اللَّهُ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَالَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ

وقد استشهد الزركشي (ت ٧٩٤هـ) في أسباب الحذف بالآية الكريمة ونقل ماذكره حازم وفي جعل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه "[١] .

ولم يكن رأي علماء البلاغة ، — حازم وابن سنان والزركشي — مخالفا لرأي سيبويه في الحذف ، بل كانوا مؤيدين لذلك ، مستشهدين بالقرآن الكريم وكلام العرب ، وبعض هذه الشواهد من كلام سيبويه .

ويقول بدر الدين الزركشي (٧٤٥ — ٧٩٤ هـ) : " المشهور أن الحذف مجاز وحكى إمام الحرمين[٢] ، في التلخيص عن بعضهم : أن الحذف ليس بمجاز إذ هو استعمال اللفظ في غير موضعه ، والحذف ليس كذلك[٣] . وقال ابن عطية في تفسير سورة يوسف " وحذف المضاف هو عين المجاز او معظمه ، وهذا مذهب سيبويه وغيره من أهل النظر "[٤] . ولعل ابن عطية يقصد بأهل النظر العلماء من أهل القياس والسماع .

ويقول عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) في الحذف والزيادة وهل هما من المجاز أم لا ؟ : " اعلم أن الكلمة كما توصف بالمجاز لنقلك لها عن معناها ، فقد توصف به لنقلها عن حكم كان لها الى حكم ليس هو بحقيقة فيها . ومثال ذلك : أن المضاف اليه يكتسي اعراب المضاف في نحو (وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ) والاصل واسأل أهل القرية ، فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل وعلى

---

(١) البرهان في علوم القرآن جـ٣ ص ١٠٥ — ١٠٦ . دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت — لبنان . ط ٢ .

(٢) هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الشافعي المعروف بامام الحرمين (ولد ٤١٩ ت ٤٧٨ هـ) وله كتاب تلخيص التقريب . أنظر : وفيات الاعيان لابن خلكان جـ٣ ص ١٦٧ .

(٣) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحيم بن عطية القرناطي (٤٨١ — ٥٤٦ هـ) صاحب التفسير وأنظر بغية الوعاة ص ٢٩٥ .

الحقيقة هو الجر ، والنصب فيها مجاز وهكذا أقوالهم : " بنو فلان تطؤهم الطريق يريدون أهل الطريق ، الرفع فى الطريق ، مجاز لانه منقول إليه عن المضاف المحذوف الذى هو الأهل والذى يستحقه فى أصله هو الجر . فإن الحذف إذا تجرد عن تغيير حكم من احكام ما بقى بعد الحذف — لم يسم مجازا . لأنه لم يعد الى تغيير حكم فيما بقى من الكلام ويزيده تقريرا أن المجاز إذا كان معناه أن تجوز بالشىء موضعه وأصله فالحذف بمجرده لايستحق الوصف به لان ترك الذكر واسقاط الكلمة من الكلام لا يكون نقلا لها عن أصلها "(١) .

فالشيخ عبد القاهر ، يعتبر الكلمة مجازاً إذا استعملت فى غير ما وضعت له أو نقلت عن معناها الى معنى جديد ، فنقل الحكم الاعرابى من الخفض الى الرفع أو النصب لا يسمى مجازا عنده ، وأن الآية الكريمة " وَسْئَلِ القَرْيَةَ " وقولهم "بنو فلان تطؤهم الطريق " إنما نقل فيهما الحكم الاعراب ، ولكن الكلمة لم تنقل عن معناها الى معنى آخر . وبهذا يخالف سيبويه ، وقد ساق عبد القاهر أمثلة على رأيه . وقد عرف فى كتب البلاغة المتلاحقة الى يومنا هذا أن قول الله تعالى : " وَسْئَلِ القَرْيَةَ " وقولهم " بنو فلان يطؤهم الطريق يدخلان فى المجاز الذى يسمى بالمجاز المرسل وعلاقته المحلية ، لتحقيق معنى المجاز فيه لأن القرية إنما تتكون من المبانى التى تصنع من الحجارة واللبن والطين فهى جماد والجماد لا يسأل وانما الذى يسأل من يعقل ومن يعقل هم أهل القرية وكذلك الطريق لا يطأ وانما الذى يطأ حقيقة هم أهل الطريق .

---

(١) اسرار البلاغة ص ٣٧٤ — ٣٧٥ . مكتبة محمد على صبيح وأولاده — الأزهر القاهرة ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧م .

ويقول السكاكى يوسف بن أبى بكر (٥٥٥ ـ ٦٢٦ هـ) " ان فصول المجاز فى المجاز اللغوى الراجع الى حكم الكلمة فى الكلام • هو عند السلف — رحمهم الله — أن تكون الكلمة منقولة عن حكم لها أصلى ،الى غيره كما فى قوله عَلَتْ كَلِمَتُهُ " وَجَاءَ رَبُّكَ "(١) فالأصل وجاء أمر ربك فالحكم الأصلى فى الكلام كقوله : ربك هو الجر ، وأما الرفع فمجاز فى قوله : (وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ)(٢) والأصل وَسْأَلْ أهل القرية فالحكم الأصلى للقرية فى الكلام هو الجر والنصب مجاز وفى قوله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) فالأصل ليس مِثْلَه شىء بنصب مثله والجر مجاز ، ومدار هذا النوع على حرف واحد هو : أن تكتسى الكلمة حركة لأجل حذف كلمة لا بد من معناها أو لاجل اتيان كلمة مستغنى عنها واضحا ،الكاف : فى قوله عز وجل :(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)(٣) أو الباء : فى نحو : بحسبك أن تفعل كذا ونحو كفى بالله دون الباء فى نحو ليس زيد بمنطلق أو ما زيد بقائم ورأيى فى هذا النوع أن يعد ملحقا بالمجاز • ومشبها به لما بينهما من الشبه وهو اشتراكهما فى التعدى عن الأصل الى غير أصل لا أن يعد مجازا • وبسبب هذا لم أذكر الحد شاملا له ولكن العهدة فى ذلك على السلف "(٤) •

---

(١) الآية ٢٢ من سورة الفجر •
(٢) الآية ٨٢ من سورة يوسف •
(٣) الآية ١١ من سورة الشورى •
(٤) مفتاح العلوم للسكاكى ص ٣٩٢ •

وأظن أنه من الواضح أن قياس السكاكى هذا قياس غير دقيق فإذا سلمنا بأن الآيتين السابقتين فيهما مجاز ، لأن قوله تعالى :— " وَجَاءَ رَبُّكَ " والأصل وجاء أمر ربك ، وهذا مجاز بالحذف ، وكذلك فى قوله تعالى: "وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ " أَيْ أَهل القرية ، فالقرية مجاز مرسل علاقته المحلية لأن القرية بمعناها الحقيقى محل لساكنيها ، والقرينة استحالة سؤال القرية بمعناها الأصلى . وإذا عدنا الى تعريف البلاغيين للمجاز المرسل نجدهم يقولون : " هو الكلمة المستعملة فى غير المعنى الذى وضعت له لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من ارادة المعنى الموضوعة له "(١) . وهذا ينطبق على الآية الكريمة كما بينا ، ويمكن أن نقول فى الآية مجاز بالحذف . ولكن هذه الأحرف الزائدة والتى يمكن الاستغناء عنها دون أن تمس فصاحة الكلمة أو بلاغتها بشىء كآية الشورى " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ " فالكاف قال بعضهم : إنها زائدة والبعض قال : للتأكيد وفى بحسبك أن تفعل وكفى بالله ، فلو حذفت هذه الحروف التى لم تكن من بنية الكلمة لما طرأ عليها ما يغيرها ، ولم يقدر محذوف ولو قلنا : إن وجود الأحرف ثم حذفها فيه نقل اعرابى لما وجدنا المعنى قد تغير بوجود الاعراب ، حتى يكون سوغا للمجاز أو شبه المجاز ، وحين تقول : بحسبك أن تفعل وحسبك أن تفعل " بدون الباء " فكلاهما بمعنى واحد ولم يكن هنالك تعدد فى المعنى .

ويقول بدر الدين الزركشى (ت٧٩٤ هـ) : " إن أريد بالمجاز استعمال اللفظ فى غير موضعه فالمحذوف ليس كذلك لعدم استعماله وان أريد بالمجاز اسناد الفعل الى غيره وهو المجاز العقلى . فالحذف كذلك "(٢) .

---

(١) المنهاج الواضح للبلاغة ص١٦٤ لحامد عونى ط.الخامسة ١٣٧٣هـ/

ويقول سيبويه : " إن العرب تحذف الفعل إيجازا واستغناء لدلالة الحال عليه ، فتقول العرب : " حدث فلانه بكذا وكذا ، فتقول : صادقاً (واللّه)، أو تقول : أنشدك شعراً ، فتقول : صادقاً (واللّه) أي قاله صادقاً لأنك إذا أنشدك فكأنه قد قال كذا . وترك ذكر الفعل لما يرى من الحال . ومثله مَوَاعِيدَ عُرْقُوبٍ أَخَاهُ بِيَثْرِبَ (١) " .

كأنه قال : واعدتنى مواعيد عرقوب أخاه ، ولكنه ترك " واعدتنى " استغناء بما هو فيه من ذكر الخلف واكتفاء بعلم من يعنى بما كان بينهما قبل ذلك ، ومن العرب من يقول : صادقٌ واللّه ، وكل عربى . ومثله أن تسمع الرجل ذكر رجلا فتقول : أهل ذاك وأهله ، أي ذكرت أهله لأنك فى ذكره ، تحمله على المعنى (٢) " . ويقول : " هذا باب يحذف منه الفعل لكثرته فى كلامهم حتى صار بمنزلة المثل ، وذلك قولك : " هَذَا وَلاَ زَعَامَتِكَ " أي : ولا أتوهم زعامتك . ومن ذلك قول الشاعر وهو ذو الرُّمة يذكر الديار والمنازل :

دِيَارَ مَيَّةَ إِذْ مَيٌّ مُسَاعِفَةٌ وَلاَ يَرَى مِثْلَهَا عُجْمٌ وَلاَ عَرَبُ (٣)

كأنه قال : أذكر ديار ميه . ولكنه لا يذكر أذكر لكثرة ذلك فى كلامهم واستعمالهم إياه ولما كان فيه من ذكر الديار قبل ذلك ولم يذكر : ولا أتوهم زعامتك لكثرة

---

(١) ورد البيت فى بن يعيش جـ٢ ص٣١١ ، والخزانة فى جـ١ ص٢٧ ومجمع الأمثال للميدانى جـ٢ ص ٣١١ وسيبويه جـ١ ص١٣٧ ومعجم البلدان (يثرب) وفى لسان العرب مادة (ثرب) ، ونسب فى جميع هذه المراجع عدا سيبويه الى الأشجعى وهو ابن عبيد الأشجعى كما فى الخزانة . وقد نص ابن منظور فى لسان العرب جـ١ ص٥٩٥ على البيت كاملا هكذا :—

وعدت وكان الخلف منك سَجِيَّةً مَوَاعِيدَ عُرْقُوبٍ أَخَاهُ بِيَثْرِبَ

بالتاء وهى اليمامة ويروى بيثرب وهى المدينة نفسها . على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والأول أصح وبه فُسِّرَ قول كعب بن زهير :

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلاً وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلاَّ الأَبَاطِيلُ

وقد

استعمالهم إِيَّاهُ ولا ستدلاله مما يرى من حاله أنه ينهاه عن زعمه . ومن ذلك قول العرب : " كِلَيْهِمَا وَتَمْرًا " (١) . فهذا مَثَلٌ قد كثر فى كلامهم واستعمل وترك ذكر الفعل لما كان قبل ذلك من الكلام كأنه قال : أَعْطِنِى كِلَيْهِمَا وَتَمْرًا . ومن ذلك قولهم : " كُلَّ شَيْءٍ وَلَا هَذَا " " وكُلَّ شَيْءٍ وَلَا شَتِيمَةَ حُرٍّ " ، أى ائت كلّ شىء ولا ترتكب شَتِيمَةَ حُرٍّ ، فحذف لكثرة استعمالهم إِيَّاهُ ، فأجرى مجرى : ولا زعماتك . ومن العرب من يقول " كِلَاهُمَا وَتَمْرًا " كأنه قال : كلاهما لى ثابتان وزدنى تَمْرًا . و " كُلَّ شَيْءٍ وَلَا شَتِيمَةَ حُرٍّ " . كأنه قال : كلّ شىء أَمَمْ وَلَا شَتِيمَةَ حُرٍّ ، وترك ذكر الفعل بعد لا لما ذكرت لك ، ولأنه يستدل بقوله : كُلَّ شَيْءٍ أنه ينهاه . وقال الشاعر :—

اعْتَادَ قَلْبَكَ مِن سَلْمَى عَوَائِدَهُ ... وهاجَ أَهْوَاءَكَ المكنونةَ الطَّلَلُ (٢)

رَبْعٌ قَوَاءٌ أَذَاعَ المُعْصِرَاتُ بِهِ ... وكُلُّ حَيْرَانَ سارٍ ماؤُهُ خَضِلُ

كأنه قال : " وذاك ربع أو هو ربع " (٣) .

ويسوق أبو بشر من كلام العرب وأشعارهم وأمثالهم الكثير ليبرهن على أن حذف الفعل وغيره يكون لدواع منها كثرة استعمالهم إِيَّاهُ فى الكلام ولعلم المخاطب به ولدلالة الحال عليه . والعرب أهل بلاغة وليس من البلاغة أن يذكر ما ليس فى حاجة الى ذكره ، حتى يمجه الذوق السليم وتعافه نفس السامع

= مساغة : مواتية . ويروى (تساغنا) وقيل كانت تسمى مياومية

(١) مجمع الأمثال للميدانى جـ٣ ص٣٨ . حيث ذكر قصة المثل . وأول من قاله هو عمرو بن عمران الجعدى . ويقول الميدانى : كلاهما وتمرا أى أيدك تمرا . فحذف الفعل حيث كثر فى كلامهم . والميدانى هو أحمد محمد احمد ابراهيم الميدانى النيسابورى (ت ٥١٨هـ) انظر بغية الوعاة ص ١٥٥ .

(٢) هو عمر بن أبى ربيعة كما فى شرح شواهد المغنى للبغدادى فى الشاهد ص ١٣٤ وانظر حواشى الخصائص جـ١ ص٢٢٦ والبيتان فى شواهد المغنى للسيوطى ص٣١٢ بدون نسبة وفى اللسان مادة (ذيع) جـ٨ ص٩٩ وفى سيبويه بدون نسبة . وعوائده ما اعتاده من ذكريات . المكنونة : الخفية المستورة . الربع : المنزل . القواء : القفر . اذاع المعصرات به : اذهبته وطمست معالمه والمعصرات ذوات المطر ، السارى : الذى يسير

وقد يحذف المستثنى استخفافا : " وذلك قولك : " ليس غير " وليس إلاّ كأنه قال : ليس إلاّ ذاك وليس غيرذاك ، ولكنهم حذفوا ذلك تخفيفا واكتفاء بعلم المخاطب ما تعنى . وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقول : ما منهما مات حتى رأيته فى حال كذا وكذا وانما يريد مامنهم واحد مات . ومثل ذلك قوله تعالى جده : " وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ "(١) . ومثل ذلك من الشعر قول النابغة :

كَأَنَّكَ مِنْ جِمَالِ بَنِى أُقَيْشٍ يُقَعْقَعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشَنِّ(٢)

أى كأنك جمل من جمال بنى أقيش

ومثل ذلك أيضا قوله :

لَوْ قُلْتَ مَافِى قَوْمِهَا لَمْ تَيْثَمِ يَفْضُلُهَا فى حَسَبٍ وَمِيسَمِ(٣)

يريد : مافى قومها أحدٌ فحذفوا هذا كما قالوا : لوأن زيدا هنا وانما يريدون لكان كذا وكذا . وقولهم : ليس أحد أى ليس هنا أحدٌ فكل ذلك حذف تخفيفا واستغناء بعلم المخاطب بما يعنى "(٤) .

وقد وضح سيبويه هنا النكته البلاغية ،حيث ان المستثنى يحذف تخفيفا

---

(١) الآية ١٥٩ من سورة النساء .

(٢) ديوانه ص ٧٩ وابن يعيش جـ١ ص٦١ وجـ٣ ص ٥٩ — ٦٠ والخزانة جـ٢ ص ٢١٣ وسيبويه جـ١ ص ٣٧٥ والاشمونى جـ٣ ص ٧١ . أقيش : حَيٌّ من اليمن فى ابلهم نفار ، ويقال هم حَيٌّ من الجن هكذا قال الشنتمرى . والقعقعة :أن يحرك الشىء ليتقعقع فيسمع له صوت . والشن : الجلد اليابس : يصف جبن عيينه ابن حصن الفزارى .

(٣) هو حكيم بن معية . انظر : الخصائص جـ٢ ص ٣٧٠ وابن يعيش جـ٣ ص ٥٩ — ٦١ والخزانة جـ٢ ص ٣١١ والهمع جـ٢ ص١٢٠ والأشمونى جـ٣ ص٧٠ . تيثم :أصلها تأثم . الميسم : الجمال من الوسامة .

(٤) الكتاب جـ١ ص ٣٧٥ — ٣٧٦ بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ص ٣٤٥ — ٣٤٦ .

واكتفاء بعلم المخاطب ، وكما سوف أدلة الموثوق بهم من العرب على ذلك كذلك يأتي بالآية الكريمة وبيت النابغة ، على أن الاسم الذي حذف ، هو الاسم الموصوف لدلالة الصفة عليه ، وفي بيت حكيم بن معية أيضا حذف الموصوف ولو أردت أن تقدره لقلت : مافي قومها أحد يفضلها ، لم تكذب فتأثم

ويقول البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) في الآية الكريمة (١) أَيْ : وما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به ".

ويواصل سيبويه حديثه عن الحذف ، فيقول : " وذلك إِنَّ مالا وإِنَّ ولداً وإِنَّ عدداً ، أي إِنَّ لهم مالاً . فالذي أضمرت " لَهُمْ " . ويقول الرجل للرجل : هل لكم أحدٌ إِنَّ النَّاسَ (٢) (أَلَبٌّ) عليكم ، فيقول : إِنَّ زيداً وإِنَّ عمراً ، أي إِنَّ لنا . قال الأعشى : —

إِنَّ مَحَلاً وإِنَّ مُرْتَحَلاً (٣) وإِنَّ في السَّفْرِ ما مَضَى مَهَلاَ

وتقول : إِنَّ غَيْرَها إِبلاً وشاءً كأنه قال : إِنَّ لَنَا غيرها إِبلاً وشاءً أو عندنا غيرها إِبلاً وشاءً . ومثل ذلك قول الشاعر :—

يَالَيْتَ أَيَّامَ الصِّبَا رَوَاجِعَا (٤)

---

(١) أنوار التنزيل واسرار التأويل ، المعروف بتفسير البيضاوي ص ١٣٥ : وهو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي ابو الخير قاضي القضاة ناصر الدين البيضاوي . أنظر بغية الوعاة ص ٢٨٦ .

(٢) (أَلَبٌّ عَلَيْكُمْ) مجتمعون على عداوتكم .

(٣) ديوانه ص ١٥٥ وابن الشجري جا ص ٣٢٢ والخصائص جـ٢ ص ٢٧٣ وابن يعيش جا ص ١٠٣ ، جـ٨ ص ٧٤ والخزانة جـ٤ ص ٤٨١ والهمع جا ص ١٣٦ ، المهل . الابطاء . والمراد عدم الرجوع . يقول في رحيل هؤلاء ابطاء وعدم عودة . ويروى : " اذا مضو مهلا " ويروى " مثلا " أي فيمن مضى مثل لمن بقي بعدهم ، أي سيفنون كما فنى هؤلاء وقد حذف خبر ان لقرينة علم السامع .

فهذا كقوله : الا ماءَ بارداً ،كأنه قال : الا ماءَ لنا بارد ،وكأنه قال : ياليت لنا أيام الصبا ، وكأنه قال : يا لَيْتَ أَيَّامَ الصِّبا أقبلتْ رواجعَ (١) " وواضح من كلام سيبويه ، أنه يتحدث عن حذف خبر ان وأخواتها وجاء بكلام العرب نثرا وشعرا على فصاحة هذا الحذف ليعضد به رأيه . وقال الأعلم (ت ٤٧٦ هـ) إن الشاهد في بيت الأعشى حذف خبر ان لعلم السامع والمعنى إن لنا محلا في الدنيا ومرتحلا عنها الى الآخرة ، وأراد بالسفر من رحل من الدنيا فيقول في رحيل من رحل ومضى مهل أَيٌّ لا يرجع ويروى مثلا ، أي فيمن مضى مثل لمن بقي أَيٌّ سيفنى كما فنى . وفي خبر ليت يقول : الشاهد فيه نصب رواجعا على الحال وحذف الخبر ، والتقدير ياليت لَنَا أيام الصبا رواجِعَا أو يا ليتها أقبلت رواجع (٢) " . هذا وقد نقل عبد القاهر نص سيبويه المتقدم من الكتاب كاملا في دلائل الاعجاز وتحدث عن ذلك (٣) " . وتحدث سيبويه عن حذف الصفة وما فيه من بلاغة يستشعرها المخاطب والسامع والقائل على السواء إذا تأملها قال الزجاج (ت ٣١١ هـ) : " وحكى سيبويه : سير عليه ليلٌ وهم يريدون : ليلٌ طويل ، وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها ، وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك ، التطويح والتطريح والتفخيم

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٢٨٤ ، بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ص ١٤٢ .
(٢) الكتاب جـ١ ص ٢٨٤ ، هامش ذيل الصفحة .
(٣) دلائل الاعجاز ص ٢٤٧ .

والتعظيم وما يقوم مقامه قوله : (طويل) ونحو ذلك ، وأنت تحس هذا من نفسك ، اذا تأملته وذلك أن يكون فى مدح ، فتقول : كأنّ واللّه رجلا ، فتزيد فى قوة اللفظ " باللّه " هذه الكلمة ، وتمكن فى تمطيط اللام واطالة الصوت عليها ، أىّ : رجلا فاضلا شجاعا أو كريما ، أو نحو ذلك ، وكذلك تقول : سألناه فوجدناه انسانا ، وتمكن الصوت بانسان وتفخيمه . وكذلك اذا ذممته بالضيق قلت : سألناه وكان انسانا ، وتزوى وجهك وتقطيه ، فيغنى عن ذلك قولك : انسانا لئيما ، أو بخيلا ، أو نحو ذلك فعلى هذا وما يجرى مجراه تحذف الصفة "(١) وسيبويه لم يتحدث عن بلاغة الصفة فحسب بل تحدث عن حذف الموصوف بأمثلة كثيرة منها ما قدمنا الحديث عنه كقول النابغة :

كَأَنَّكَ مِن جِمَالِ بَنِى أُقَيْشٍ يُقَعْقَعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشَنِّ

أى كأنك جمل من جمال بنى أقيش — ثم يقول : كل ذلك حذف تخفيفا واستغناء بعلم المخاطب بما يعنى "(٢) . والزجاج يؤيد سيبويه فى حذف الصفة كما تقدم والموصوف ، وبيان منزلة بلاغة كل ، ويأتى بأمثلة سيبويه نفسها فيقول : وحذف الموصوف جائز حسن فى العربية ، يعد من جملة الفصاحة والبلاغة . وقد ذكره سيبويه فى غير موضع من كتابه . فمن ذلك قوله تعالى : " وبالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ "(٣) والتقدير : " وبالدار الآخرة هم يوقنون "(٤) . وماذكره سيبويه فى الكتاب من حذف المبتدأ والخبر والفعل أخذه عنه عبد القاهر

---

(١) اعراب القرآن المنسوب للزجاج جـ٣ ص ٧٨٥ .

(٢) الكتاب جـ١ ص ٣٧٥ ، بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ص ٣٤٥ .

(٣) الآية ٤ من سورة البقرة .

بأمثلته وعلق عليه موضحا البلاغة فيه (١) . ويقول أبو الفتح عثمان بن جنى (ت ٣٩٢ هـ) : " قد حذفت العرب الجملة والمفرد ، والحرف ، والحركة وليس شىء من ذلك إلا عن دليل عليه . والا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب فى معرفته فأما الجملة ، فنحو قولهم فى القسم : واللّه لأفعلنّ ، وتاللّه لقد فعلت وأصله أقسم باللّه ، فحذف الفعل والفاعل وبقيت الحال — من الجار والجواب — دليلا على الجملة المحذوفة . وقد حذفت الجملة من الخبر ، نحو قولك : القرطاس واللّه أى أصاب القرطاس . وخير مقدم أى قدمت خير مقدم وكذلك الشرط فى نحو قوله الناس مجزيون بأفعالهم إنْ خيراً فخيراً وإنْ شراً فشراً أى إنْ فعل المرء خيرا جزى خيرا وان فعل شرا جزى شرا . ومنه قول التغلبى :

إذا ما الماء خالطها سخينا (٢) .

أى فشربنا سخينا ، وعليه قول اللّه سبحانه : " فَقُلْنَا اضْرِبْ بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا " (٣) . أى فضرب فانفجرت .. وحذف المفرد نحو هل لك فى كذا وكذا ، أى هل لك فيه حاجة أو أرب . وكذلك قوله عز وجل " كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ " (٤) . أى ذلك أو هذا بلاغ وهو كثير ، وقد حذف الخبر ، نحو قولهم فى جواب من عندك ، زيد أى زيد عندى . وقد حذف المضاف ، وذلك كثير واسع نحو قول اللّه سبحانه : " وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى " (٥) أى بر من اتقى وان شئت كان تقديره : ولكن ذا

---

(١) دلائل الاعجاز ص ١١٢ — ١١٣ .

(٢) وهو عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة التى مطلعها :—

الا هبى بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الأندرينا .

وصدر البيت : مشعشعة كأن الحص فيها اذا ما الماء خالطها سخينا .

البر مَنِ اتَّقَى . والأول أجود لأن حذف المضاف ضرب من الاتساع ، والخبر أولى بذلك من المبتدأ لأن الاتساع بالأعجاز أولى منه بالصدور ، ومنه قوله عز اسمه : " وَسْئَلِ القَرْيَةَ " أَيْ أَهْلَهَا . وقد حذف المضاف مكررا نحو قوله تعالى : " فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّن أَثَرِ الرَّسُولِ "(١) أَيْ من تراب أثر حافر فرس الرسول . ومثله مسألة الكتاب: أنت مني فرسخان ، أَيْ ذو مسافة فرسخين . وقد حذف الموصوف وأقيمت مقامه ، وأكثر ذلك في الشعر . وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم : سير عليه ليل ، وهم يريدون : ليل طويل . وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم مايقوم مقام قوله : طويل أو نحو ذلك . وقد حذف المستثنى نحو قولهم : جاءني زيد ليس إلا وليس غير ، أَيْ ليس إلا إياه ، وليس غيره . وقد حذف خبر إن مع النكرة كقول الأعشى :

إِنَّ مَحَلاً وَإِنَّ مُرْتَحَلاً وَإِنَّ فِي السَّفْرِ إِذْ مَضَوْا مَهَلاَ .

أَيْ إِنَّ لنا محلا وإن لنا مرتحلا .

وأصحابنا يجيزون حذف خبر إن مع المعرفة ويحكون عنهم أنهم إذا قيل لهم: إِنَّ النَّاسَ أَلَبٌ عليكم فَمَنْ لَكُمْ ؟ قالوا : إِنَّ زيداً وَإِنَّ عمراً ، أَيْ إن لنا زيداً وإن لنا عمراً "(٢) .

---

(١) الآية ٩٦ من سورة طه .

(٢) الخصائص جـ٢ ص ٣٦٠ — ٣٧٣ . دار الهدى للطباعة والنشر — بيروت . لبنان

وابن جنى يوافق سيبويه بأن العرب قد حذفت الجملة والمفرد والحرف والحركة ، ولم يكن اعتباطا ، وإنما عن دليل عليه ،ويسوق أمثلته من القرآن الكريم وأشعار العرب وأقوالهم: وقد ذكر بعض نصوص سيبويه ، التى جاءت فى الكتاب ، ونسب بعضها اليه والبعض ساقه ضمن أمثلته ، ولم يشر إلى أن ذلك جاء فى كتاب سيبويه . ولم يذكر ابن جنى سرًّا بلاغيا للحذف كما فعل سيبويه ، ونجد سيبويه قد تعرض للحذف بجميع أنواعه من حذف حرف الجر والاسم سواء كان مضافا أو مضافا اليه ، والمبتدأ والخبر ، والصفة والموصوف ، وحذف الفعل ، سواء كان للاغراء أو التحذير أو التعجب أو غير ذلك معللا أن الدافع الى ذلك التخفيف والاستغناء بعلم المخاطب وأن هذا الحذف فيه إيجاز والايجاز ، هو البلاغة ولو كان الكلام تاما لا حذف فيه ، لوجدته خلا من الفصاحة . وقد بين سيبويه أن الحذف لا يتيسر ويسهل دائما فى الكلام العربى متى أردناه ، ولكن هناك مواضع يمتنع فيها الحذف ، والبلاغيون اعتبروا كل الذى ذكره سيبويه من أنواع الحذف من الفصاحة والبلاغة . ويقول ابن رشيق (ت ٤٥٦ هـ) : " يعتبر الحذف داخلا فى باب المجاز ، وإنّما كان هذا معدودا من أبواب البلاغة ، لأن نفس السامع تتسع فى الظن والحساب وكل معلوم فهو هين لكونه محصورا (١) " . كما اعتبر السكاكى (٥٥٥ ـ ٦٢٦) حذف الفعل من أبواب البلاغة (٢) " . وابن جنى يقول عن الحذف : " إنّ فى القرآن نيفا على الف موضع ،ولكن الحذف لايجوز فى كل موضع بل فى موضع دون آخر (٣) " .

---

(١) العمدة جـ١ ص ٢٥٢ ـ انظر اثر النحاة فى البحث البلاغى ص٨٥ . وتحرير التحبير ص٤٥٧ ابن ابى الاصبع المصرى .

(٢) مفتاح العلوم ص ١٠٦ للسكاكى .

وابن مضاء القرطبى يقول (ت ٥٩٢ هـ) : " إنّ الحذف الذى يجرى فى سائر التعبيرات اللغوية ليطلعنا على حقيقة العربية وميلها الى الايجاز الشديد وأن المحذوفات فى كتاب الله تعالى لعلم المخاطبين بها كثيرة جدا وهى اذا أظهرت تم بها الكلام ، وحذفها أوجز وأبلغ "[1] .

فسيبويه رائد ولج هذا الباب بعد أن فتحه على مصرعيه وبعد أن تحدث عن الحذف وبين مواضعه ونكاته البلاغية وجاء البلاغيون من بعده فوجدوا الطريق ميسرا ، فأخذوا أمثلته بالشرح والتحليل وأضافوا عليها الكثير ونشروا آراءهم فى علم المعانى ، واليه يرجع الفضل فى ذلك .

---

(١) الرد على النحاة لابن مضاء القرطبى ص٦٩ ، أنظر بغية الوعاة ص ١٣٩ . ابن مضاء هو أحمد عبد الرحمن محمد سعد حريث من عاصم ابن مضاء القرطبى .

الذكـــــــر :ـ

يقول سيبويه " فأما الفعل الذى لا يحسن اضماره فإنه أن تنتهى الـــى رجل لم يكن فى ذكر ضرب ولم يخطره بباله ، فتقول : زيدا . فلا بد له من أن تقول له : اضرب زيدا ، وتقول له : قد ضربت زيدا . أو يكون موضعا يقبح أن يعرّ من الفعل نحو أن وقد وما أشبه ذلك "(١) . يرد أن يقول لنا : يجب الذكر إذا لم تقم قرينة على عدمه لأن الذكر أصل ويتم معه الكلام ، لأن الفعل عنـــد أبى بشر لا يحذف إذا كان لا يخطر على بال السامع ، أو أن يأتى بعد حـــرف يقتضى أن يذكر بعده ، مثل قد ضربت زيدا فإن (قد) استدعت أن يذكـــر بعدها الفعل ، وكذلك أن حتى لا يعرموضع من الفعل فيقبح ولكى تنظم الجمل بطريقة لا تَسْلُبُ عن التركيب الحُسْنَ والجَمَالَ .

وقال السكاكى (٥٥٥ ــ ٦٢٦ هـ) : " وأما الحالة المقتضية لذكره فهـــى أن لايكون ذكر المسند اليه يفيد المسند بوجه مامن الوجوه ، كما اذا قلت : ابتداء : زيد عالم أو أن يكون فى ذكر المسند غرض ، هو . إما زيادة التقريـــر أو التعريض بغباوة السامع أو استلذاذه أو قصد التعجب من المسند اليه بذكـره كما اذا قلت : زيد يقاوم الأسد ، مع دلالة قرائن الأحوال أو تعظيمه أو إهانته أو غير ذلك مما يصلح للقصد اليه ، فى حق المسند اليه أن كان صالحا لذلـــك أو بسط الكلام بذكره ، والمقام مقام بسط أو لأن الأصل فى الخبر أن يذكـــر ليتعين بالذكر كونه اسما ، نحو زيد عالم فيستفاد الثبوت صريحا فأصل الاسم صفة أو غير صفة ، الدلالة على الثبوت ، أو كونه فعلا كنحو : زيد علم ، فيستفاد التجدد ، أو ظرفا ، كنحو : زيد فى الدار ، فيورث احتمال الثبوت والتجدد بحســـب

التقديرين وهما حاصل أو حصل " (١) . ولعل السكاكى كان حديثه عن الذكر أكثر توضيح وانطلاقا من سيبويه فقد تناول دواعى الذكر ، سواء ذكر المسند اليه أو المسند أو الفعل ، مع دلالة قرائن الأحوال ، التى تستدعى ذلك ، كالتعظيم والتحقير وزيادة التقرير والتلذذ أو كان المقام مقام بسط وأطناب وشمول .

ويقول الاستاذ أحمد مصطفى المراغى : " لم يتعرض لهذا الباب كثير من أئمة هذا الفن كأبى هلال العسكرى والامام عبد القاهر ، وكأنهم لم يروا فيه من اللطائف والمزايا ما يسيغ البحث عنه فى علوم الفصاحة اذ هو بمباحث علم النحو أشبه . ولكن المتأخرين كالسكاكى وشيعته ذكروا فيه نكات ومزايا لم يستطيعوا أن يردفوها بأى من التنزيل ، أو بشواهد من كلام ذوى اللسن والفصاحة ، وقصارى ما قالوه : إن المسند اليه يذكر وجوبا اذا لم تقم قرينة تدل عليه كان الكلام معمى لا يستبين المراد منه ويترجح اذا وجدت القرينة لمزية من المزايا الآتية : انه الأصل وليس هناك ما يقتضى العدول عنه أو لزيادة الكشف والايضاح كقوله تعالى :- " أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " (٢) . ففى تكرير اسم الاشارة تنبيه إلى أنهم كما ثبت لهم الأثرة بالهدى فهى ثابتة لهم بالفلاح أيضا أو التسجيل على السامع حتى لا يتأتى له الانكار أو التهويل أو التعظيم أو التحقير أو التعجب ، اذا كان الحكم غريبا فى مجرى الالف والعادة نحو : على يصرع الأسد فى جواب : هل يصرع على الأسد ؟ الرد على المخاطب إذا كان ينكر صحة ما يقال له كقوله تعالى : " يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ " بعد قوله " مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ " (٣) .

---

(١) مفتاح العلوم ص ٢٠٧ . دار الكتب العلمية — بيروت — لبنان . ضبطه وشرحه نعيم زرزور .

(٢) الآية ٥ من سورة البقرة .

وكذلك يذكر المسند فى افادة أنه فعل يفيد التجدد والحدوث (١) .. " . لعل شيخنا الجليل المراغى قد فاته أن سيبويه فى الكتاب (٢) ، قبل السكاكى وشيعته قد تحدث عن هذا البحث — الذكر — وذلك مهد لمن جاء بعده . وقد بين الشيخ المراغى المزايا مستشهدا على بعضها بآيات من كتاب الله وبهذا استدرك ما فات السكاكى وشيعته ..

ويقول عبد المتعال الصعيدى : " إنى أرى فى هذا أن باب الذكر كان يدخل عند المتقدمين فى باب الاطناب لأن الذكر ضرب من ضروبه ، وانما يكون الذكر بابا من أبواب البلاغة اذا وجدت قرينة تدل على المذكور عند حذفه فلا يكون ذكره فى هذه الحالة واجبا ، ويكون محتاجا الى نكتة ترجح ذكره على حذفه . ومن مقامات الذكر زيادة الكشف والايضاح كما فى قوله تعالى :— " وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٣) " . ومنها بسط الكلام فى مقام يقتضى البسط اما لأن الاصغاء من السامع مطلوب للمتكلم كما فى قوله تعالى : " وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ، قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (٤) " . فكان يكفيه فى الجواب أن يقول "عصاى" ولكنه يكلم رب العزة ، ومن يظفر بهذه المنزلة يكون الاستماع مطلوبا له ولهذا زاد فى الجواب عما طلب منه (٥) " . ولعل استاذنا الصعيدى يريد أن يقول : إن

---

(١) علوم البلاغة ص٨٥ . احمد مصطفى المراغى . دار الكتب العلمية — بيروت لبنان — ط الثانية سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

(٢) الكتاب جـ١ ص١٤٩ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص٢٩٦ .

(٣) الآية ١٠٥ من سورة الاسراء .

(٤) الآيتان ١٧ — ١٨ من سورة طه .

(٥) البلاغة العالية ص٦٠ عبد المتعال الصعيدى . المدرس بكلية اللغة العربية

المسند اليه واجب الذكر اذا لم تقم عليه قرينة . أما اذا دلت عليه قرينة فهناك مرجحات لذكره وأخرى لحذفه ونحن هنا بصدد مرجحات الذكر ومن مقاماته زيادة الكشف والايضاح وسط الكلام فى مقام يقتضى البسط حتى يبين ويوضح المتكلم أكثر مما يطلب منه اذا كان هناك ما يحفز لذلك كما فعل سيدنا موسى عليه السلام . وأظن الشيخ لم يوفق حين قال : إنّ الذكر يدخل فى باب الاطناب عند المتقدمين " . علما بأن المتقدمين كما ورد فى كتبهم انما يقابلون الذكر بالحذف ، ولكلّ دواعيه التى توجهه كما ورد فى كتاب سيبويه ، والاطناب انما يقابله الايجاز .

الزيادة في الحروف :ـ

قال سيبويه : " وكقولهم : النجاءك . فهذه الكاف لم تجيء علما للمأمورين والمنهيين المضمرين ولو كانت علماً للمضمرين لكان خطأً لأن المضمرين ها هنا فاعلون ، وعلامة المضمرين الفاعلين الواو كقولك : أفعلوا . وإنما جاءت هذه الكاف توكيداً أو تخصيصا ولو كانت اسما لكان النجاءك مطلا ، لأنه لايضاف الاسم الذى فيه الألف واللام "(١) . وهذا تعليل مقبول لأن المقرون بالألف واللام لايضاف ، فهو معرفة . ويتعقب زيادة الكاف فى مكان آخر من الكتاب فيقول : الا أن ناسا من العرب إذا اضطروا فى الشعر جعلوها بمنزلة مثل . قال الراجز وهو حميد الأرقط .

فَصُيِّرُوا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَأْكُولْ .

وقال خطام المجاشعى :

"وصاليات ككما يُؤَثْفَيْنَ "(٢) .

وقال ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) : فليست الكاف هنا حرف جر ، بل هى اسم بمنزلة مثل ،كالكاف الثانية من قوله :

وصاليات ككما يُؤَثْفَيْنْ . أى كمثل ما يُؤَثْفَيْنْ "(٣) .

---

(١) الكتاب جـ١ ص ١٢٤ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٢٤٥

(٢) الكتاب جـ١ ص ٢٠٣ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٤٠٨

(٣) الخصائص جـ٢ ص ٣٦٨ . وَيَقُولُ خُطَامُ المُجَاشعى قبله :ـ

لم يبق من آيٍ بها يحلين غير رماد وحطام كنفين

وهو يصف دارا قد خلت من أهلها وبقى بها آثارهم ومن تلك الآثار الصاليات، يريد الأثافى التى توضع عليها القدر ، جعلها صاليات لأنها صليت بالنار حتى اسودت انظر الخزانة جـ١ ص ٣٦٧ وشواهد الشافية ٥٩ وسيبويه جـ١ ص ٣٢ .

ويقول الأعلم الشنتمرى (٤١٠ — ٤٧٦ هـ) : وهو يعلق على بيت حميد الأرقط : " ادخل مثل على الكاف وان كان حرفا لأنها فى معنى مثل ، فأخرجها اليها والحقها بنوعها من الاسماء ضرورة والتقدير فصيروا مثل عصف مأكول . وجاز الجمع بين مثل والكاف جوازا حسنا لاختلاف لفظهما مع ما قصده من المبالغة فى التشبيه ، ولو كرر المثل لم يحسن . وقد وصف الشاعر قوما استؤصلوا فشبههم بالعصف الذى أكل حبه ، والعصف التبن "(١) .

وقال سيبويه : " وأما قوله عز وجل : " فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ "(٢) " فَإِنما جاء لأنه ليس " لما " معنى سوى ما كان قبل أن تجيء به الا التوكيد فمن ثم جاز ذلك اذا لم ترد به أكثر من هذا وكانا حرفين أحدهما فى الآخر عامل . ولو كان اسما أو ظرفا أو فعلا لم يجز "(٣) .

ومعنى ذلك أن " الباء " عملت فى " نقضهم " وفصلت بينهما " ما " المزيدة للتوكيد . وقال ناصر الدين البيضاوى (ت ٦٨٥ هـ) : فبما نقضهم " ما " مزيدة للتأكيد(٤) . ويقول سيبويه : " ما أتانى من أحد الا زيد ، وما رأيت من أحد الا زيدا ، كأنه قال : ما أتانى أحد الا فلان ، لأن معنى ما أتانى أحد وما أتانى من أحد واحد ، ولكن " من " دخلت هنا توكيدا كما تدخل الباء فى قولك : كفى بالشيب والاسلام ، وفى : ما أنت بفاعل ، ولست بفاعل "(٥) يعنى أن " من " تأتى زائدة فى الكلام للتأكيد شأنها شأن الباء فى بالشيب

---

(١) الكتاب جـ١ ص٢٠٣ الهامش اسفل الصفحة .
(٢) من الآية ١٥٥ من سورة النساء . والآية ١٣ من سورة المائدة .
(٣) الكتاب جـ١ ص ٩٢ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ١٨١ .
(٤) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص١٣٥ .
(٥) الكتاب جـ١ ص ٣٦٢ بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ص ٣١٦ .

وبالعمل زائدة فى الكلام للتأكيد ، والحرف اذا كان زائدا انما يكون للمجاز والتوسع . ويقول : " وأما " لا " فتكون كما فى التوكيد واللغو . قال الله عز وجل : " لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ "(١) . أى لأن يعلم . وتكون " لا " نفيا لقوله يفعل ولم يقع الفعل ، فتقول : لا يفعل . وقد تغير الشىء عن حاله كما تفعل ما ، وذلك قولك : " لولا " صارت لو فى معنى آخر . وأما (ان) فتكون بمنزلة لام القسم فى قوله : " أَمَا واللَّهِ أن لو فعلت لفعلت . وتكون توكيدا أيضا فى قولك : لما أن فعل ، كما كانت توكيدا فى القسم وكما كانت ان مع ما "(٢) . وكل ما جاء زائد للتأكيد فهو مجاز عند سيبويه كما تقدم . ويقول عبد القاهر الجرجانى (٤٧١ هـ) : " ان الكلمة لاتعرى من فائدة ما ولا تصير لغوا على الاطلاق حتى قالوا : ان نحو " ما " فى نحو :ـ " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ "(٣) . تفيد التوكيد ؟ فأنا أقول : ان كون " ما " تأكيدا نقل لها عن أصلها ومجاز فيها . كذلك أقول : ان كون الباء المزيدة فى " ليس زيد بخارج " لتأكيد النفى مجاز فى الكلمة ، لأن أصلها أن تكون للالصاق "(٤) . وقد ذكرنا من قبل أن عبد القاهر لا يسمى الزيادة مجازا وكذلك الحذف ، وهو يقول : " واذا صح امتناع أن يكون مجرد الحذف مجازا ... علمت منه أن الزيادة فى هذه القضية كالحذف فلا يجوز أن يقال ان زيادة " ما " فى نحو " فَبِمَا رَحْمَةٍ " مجاز أو أن جملة الكلام تصير مجازا من أجل زيادته فيه ... ويقول : المجاز على أقسام والزيادة من أحدها "(٥) . ومعنى

---

(١) الآية ٢٩ من سورة الحديد .
(٢) الكتاب جـ ٢ ص ٣٠٦ بولاق . عبد السلام هارون جـ ٤ ص ٢٢٢
(٣) من الآية ١٥٩ من سورة آل عمران .
(٤) اسرار البلاغة ص ٣٧٧ . مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده ـ القاهرة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ .

ذلك أن سيبويه وعبد القاهر يتفقان بأن زيادة الحروف تكون لتأكيد الكلام وتقويته لدى المخاطب ،واذا كان هناك ما يقتضى ذلك من تردد المخاطب أو انكاره وأن حروف الزيادة لاتكون لغوا لاطائل ولا فائدة منها . ويقول ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) : " وزيادة الحروف كثيرة وان كانت على غير قياس .. وأما زيادتها فلإرادة التوكيد بها ، وأن الغرض فى استعمالها انما هو الايجاز والاختصار والاكتفاء من الأفعال وفاعليها فاذا زيد ما هذه سبيله فهو تناه فى التوكيد به "(١)

وقد جعل ابن جنى الزيادة ، من الاساليب البلاغية التى يتقصاها البليغ فى كلامه لانها ايجاز واختصار وقد أيد كلامه بآيات من كلام الله .

ويقول الرضى : (ت ٦٨٤ هـ) : " فائدة الحرف الزائد فى كلام العرب اما معنوية ، واما لفظية فالمعنوية تأكيد المعنى . وأما الفائدة اللفظية فهى " تزيين اللفظ " ، وكونه بزيادتها أفصح ، أو كون الكلمة والكلام بسببها مهيأ لاستقامة وزن الشعر ، أو لحسن السمع أو غير ذلك من الفوائد اللفظية ولا يجوز خلوها من الفوائد اللفظية والمعنوية معا ،والا لعدت عبثا ولا يجوز ذلك فى كلام الفصحاء ولا سيما فى كلام البارى تعالى وانبيائه وأئمته عليهم السلام وقد تجتمع الفائدتان فى حرف وقد تفرد احداهما عن الأخرى "(٢) . واذا أمعنا النظر فى ما قاله : ابن جنى والرضى ، فلا نجد نظرتهما للحروف الزائدة تتعدى الايجاز والاختصار والتوكيد والفصاحة وسلامة وزن الشعر وحسن العبارة وبذلك يتحقق من دخولها غرض بلاغى ، وهذا ما عناه سيبويه من قبل .

---

(١) الخصائص جـ٢ ص ٢٨٤ .

(٢) شرح الكافية للرضى جـ٢ ص ٣٨٤ .

الاضمـــــــار :-

وتحدث سيبويه عن الاضمار ، وعن السرّ البلاغى الذى يدع لذلك فقال : " وان شئت قلت : اذا كان غدا فأتنى ، وهى لغة بنى تميم ، والمعنى أنه لقى رجلا فقال : له : اذا كان ما نحن عليه من السلامة أو كان مانحن عليـــه من البلاء ، فى غد فأتنى ، ولكنهم أضمروا استخفافا لكثرة كان فى كلامهـــم لأنه الأصل لما مضى وما سيقع ، وانما أضمروا ما كان يقع مظهرا استخفافـا ولأن المخاطب يعلم ما يعنى ، فجرى بمنزلة المثل ، كما تقول : " لاعليك وقد عرف المخاطب ما تعنى أنه لا بأس عليك ولا ضر عليك ، وقد تقول : اذا كان غدا فأتنى ، كأنه ذكر أمرا اما خصومة واما صلح فقال : اذا كان غدا فأتنى ، فهذا جائز فى كل فعل ، لأنك انما أضمرت بعد ما ذكرت مظهـــرا والأول محذوف منه لفظ المظهر وأضمروا استخفافا "(١) .

ولعل سيبويه وهو يستقصى لغة العرب قد عثر على السرّ البلاغى الذى دفع الى اضمار الفعل هنا عند بنى تميم ، وهو انما حذف لفظ المظهر وأضمر السلامة أو البلاء الذى هو فيه ، ولم يذكره ولم يحتج الى ذكره وأن العرب تستخف ذلك فى اللفظ مادام أن المخاطب عرف ما يعنى المتكلم وأنه حـــذف لكثرته فى كلامهم ، وقد يعنى بذلك الايجاز والاختصار ، ويذكر مما جاز فيـــه الاضمار وكان المخاطب على علم بما يعنى قول عمر بن شأس:

بَنِى أَسَدٍ هَلْ تَعْلَمُونَ بَلَاءَنَا إِذَا كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبَ أَشْنَعَـــا (٢)

---

(١) الكتاب جـ١ ص١١٤ بولاق ، عبد السلام هارون جـ١ ص ٢٢٤ .

(٢) جاء فى سيبويه جـ١ ص٢٢ ، أى اذا كان اليوم الذى يقع فيه القتال يومـــا ذا كواكب اشنعا ، وأراد باليوم يوما من أيام الحرب وصفه بالشدة كالليـــل

اضمر لعلم المخاطب بما يعنى وهو اليوم (١) . فقد أضمر الشاعر لأنه يعلم أن بنى أسد ، المخاطبون على علم بما يعنى . أيْ اذا كان اليوم الذى يقع فيه القتال يوما ذا كواكب اشنعا .

وفى هذا باب ما ينتصب بالألف ، تقول : " أعبد الله ضربته وأزيدا مررت به ،وأعمرا قتلت أخاه ،وأعمرا اشتريت له ثوبا ؟ ففى كل هذا قد أضمرت بين الألف والاسم فعلا هذا تفسيره ، كما فعلت ذلك فيما نصبته فى هذه الألف حرف فى غير الاستفهام ،وقال جرير :

أَثَعْلَبَةَ الفَوَارِسَ أَمْ رِيَاحًا عَدَلْتَ بِهِمْ طُهَيَّةَ والخِشَابَا (٢)

ويقول : " ومثل ذلك فى الاضمار قول العجير: سمعناه ممن يوثق بعربيته :

إِذَا مُتُّ كَانَ النَّاسُ صِنْفَانِ شَامِتٌ وَآخَرُ مُثْنٍ بِالَّذِى كنتُ أَصْنَعُ (٣)

أضمر فيها ، وقال بعضهم : كان أنت خير منه ،كأنه قال : إنه أنت خير منه ومثله مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ " (٤) وجاز هذا التفسير لأن معناه كادتْ قُلوب فريق منهم تَزيغ. كما قلت : ماكان الطيبُ إلاّ المسكُ على اعمال ماكان الأمر الطيّبُ إلاّ المسكُ فجاز هذا اذ كان معناه ما الطيّبُ إلاّ المسكُ.

وقال هشام أخو ذى الرمة :-

هِى الشِّفَاءُ لِدَائِى لَوْ ظَفِرْتُ بِهَا وَلَيْس منها شِفَاءُ الداءِ مَبْذُولُ (٥)

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٢٢ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٤٧ .

(٢) الكتاب جـ١ ص ٥٢ . بولاق . عبد السلام هارون : أنظر : ديوان جرير ص ٦٦ وسيبويه جـ١ ص ٥٢ وأمالى ابن الشجرى جـ١ ص ٣٣١ وجـ٢ ص ٣١٧ . وثعلبة هم ثعلبة بن يربوع ابن مالك بن زيد بن مناة بن تميم . ورياح من بنى يربوع بن حنظلة وجرير بن كليب بن يربوع ،وطهية والخشاب من بنى مالك بن حنظلة والفرزدق من بنى دارم بن مالك بن حنظلة فهم أدنى اليه ، أى الفرزدق . يهجو الفرزدق فاخرا عليه برهطه الادنى اليه من تميم .

(٣) البيت للعجير السلولى، ابن يعيش جـ٣ ص ١١٦ وسيبويه ج ١ ص ٣٦ وأمالى ابن الشجرى جـ٢ ص ٣٣٩ .

(٤) الآية ١١٧ من سورة التوبة .

ويتضح من كلام سيبويه أن الفعل الذى أضمر بين الهمزة والاسم كان الدافع لهذا الاضمار الايجاز والاختصار . وأن الذى يفسر هذا المضمر الجملة بعده التى تكون فى موضع الخبر . ويقدر فى بيت جرير كما قال الأعلم " أظلمت ثعلبة عدلت بهم طهيّة "(١) . وكما يضمر الفعل بين الهمزة والاسم ، يضمر فى كان ضمير الشأن ، والجملة بعده تكون مفسرة له ، وكذلك جعل فى ليس ضمير لم يتقدمه ظاهر ، وجعلة الجملة تفسيرا للمضمر فى موضع الخبر فى بيت هشام .

ويقول ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) : فأما قوله تعالى : " مِن بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوب فَرِيقٍ مِنْهم " فقد قرأ حمزة وحفص " كَادَ يَزِيغ " بالياء وقرأ الباقون بالتاء ، وفى رفع قلوب وجهان . أحدهما أنها مرتفعة بتزيغ وفى كاد ضمير الامر لان كاد فعل وتزيغ فعل والفعل لا يعمل فى الفعل . والثانى أنها مرتفعة بكاد والخبر مقدم وهو تزيغ "(٢) والتقدير الذى ارتضاه سيبويه فى الآية الكريمة بقوله " لأن معناه كادت قلوب فريق منهم تزيغ " وهذا ظاهر ولا لبس ولا خفاء فيه

ويقول الأعلم الشنتمرى (ت ٤٧٦ هـ) : " إنّ الإضمار فى كان فى بيت العجير ولو لم يضمر لقال : صنفين كما أضمر فى ليس والجملة تفسير للمضمر فى موضع الخبر ، فى بيت هشام "(٣) .

ويريد سيبويه أن يقول لنا : إنّ الإضمار يكون فى الأفعال جميعا ناسخة وغير ناسخة لأن العربى حين يستخدم لغته انما يهمه أن يعبر بأسلوب لا يجد السامع عناء فى فهمه بل يجد متعة فى التذوق والفهم . وقد يكون الداعى للاضمار الاستغناء بتفسيره لأن الاسم يكون هنا مبنى على هذا المضمر . فيقول " إنّ شئت قلت : زيدا ضربته ، وانما نصبه على اضمار فعل هذا يفسره ، كأنك قلت : زيدا ضربته إلاّ أنهم لا يظهرون هذا الفعل هنا للاستغناء بتفسيره

فالاسم ها هنا مبنى على هذا المضمر (١) . وقال الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ هـ) : كذلك قوله تعالى : " انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ " (٢) . فنصب (خيرًا لكم) ، فهذا انما يكون في الأمر والنهي خاصة ، ولا يكون في الخبر لأن الأمر والنهي لا يضمر فيهما وكأنك أخرجته من شيء الى شيء وقال الشاعر عمر بن ربيعة :—

فَوَاعِدِيهِ سَرْحَتَيْ مَالِكٍ أَوْ الرَّبَا بَيْنَهُمَا أَسْهَلَا (٣)

كما تقول : واعديه خيرا لكم . انه نصب " أسهلا " باضمار فعل كأنه قال بعد قوله " فواعديه " أو الرَّبَا بَيْنَهُمَا إِئْتِ مَكَانًا أَسْهَلَ (٤) " . وما جاء به الأخفش من رأى في الآية الكريمة وبيت ابن أبي ربيعة ، فقد سبقه سيبويه وتحدث عن ذلك وقال : " ومما ينتصب في هذا الباب على اضمار الفعل المتروك اظهاره " انْتَهُوا خيرًا لَكُم " و " وراءك أوسع لك " و " حَسْبُكَ خَيْرًا لك اذا كنت تأمر ومن ذلك قول ابن أبي ربيعة :— (٥)

فَوَاعِدِيهِ سَرْحَتَيْ مَالِكٍ أَوْ الرَّبَا بَيْنَهُمَا أسهلا

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٤٢ الهامش بأسفل الصفحة .
(٢) الآية ١٧١ من سورة النساء .
(٣) جاء البيت في ديوان عمر ص ٣٤١ برواية :

وَوَاعِدِيهِ سِدْرَتَيْ مالك أَوْ ذَا الَّذِي بَيْنَهُمَا أسهلا

والخزانة جـ١ ص ٢٨٠ وأمالي ابن الشجري جـ١ ص ٣٤٤ وسيبويه جـ١ ص ١٤٣ ، يقول عمر : ان صاحبته قالت لأمتها : واعديه الليلة أن يقصد السرحتين أو الربى التي بينهما . ولما علم أن ذلك مزعج لها حيث تأتي احدهما قال : ليلتمس أسهل الأمرين وروى هذا البيت وما بعده في الاغاني جـ٨ ص ١٤٤ هكذا :

سَلْمَى عديه سرحتي مالك او الربا بينهما منزلا
ان جاء فاليأت على بغلة انى أخاف المهران يسهلا

والمواعدة من الوعد . وسرحتي مالك : مكان يعرفه الشاعر وصاحبته . والسرح : هو نوع من الشجر عظيم لاشوك له . والرُّبا : جمع ربوة بتثليث الراء وهو المكان المرتفع
(٤) معاني القرآن للأخفش جـ١ ص ٢٤٩ تحقيق د/ فائز فارس .
(٥) تقدم الحديث عنه .

وانما نصب خيرا لك وأوسع لك ، لأنك حين قلت : " انته " فأنت تريد أن تخرجه من أمر وتدخله فى آخر . وحذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إياه فى الكلام ، ولعلم المخاطب أنه محمول على أمر حين قال له : انته ، فصار بدلا من قوله : ائت خيرا لك ، وادخل فيما هو خير لك "(١) .

وسيبويه يبين السر البلاغى هنا من الاضمار ، بأنه حذف لكثرة الاستعمال والداعى له التخفيف ، وعلم المخاطب أنه محمول على أمر ، وحسبت أن الأخفش حين عرض لذلك فى تفسيره قد أتى بجديد ، ولكنه لم يصل الى ما وصل اليه شيخه . ونرى سيبويه يذكر أيضا ، الحسن والقبح فى ضمير الفصل وأن لهذا الضمير مواضع يكون فيها حسنا ، وأخرى يكون فيها قبيحا ، فيقول : —

" واعلم أن (هو) لا يحسن أن تكون فصلا حتى يكون ما بعدها معرفة أو ما أشبه المعرفة " .

كما أنها لا تكون فى الفصل الا وقبلها معرفة أو ما ضارعها ذلك لايكون ما بعدها الا معرفة أو ما ضارعها . لو قلت: " كان زيد هو منطلقا " كان قبيحا حتى تذكر الاسماء التى ذكرت لك من المعرفة وما ضارعها من النكرة "(٢) .

وحديث سيبويه عن الحسن والقبح ، لعله اهتمام بالفصاحة والبلاغة وتأليف الكلام ، وحسن النظم الذى يقوم على توخى معانى النحو ، فهو لم يذكر الفائدة التى تكسب الكلام جمالا ، بذكر ضمير الفصل ، أو المعنى الذى يضيفه ضمير الفصل للكلام ، ولكننا عرفنا ذلك من كتب المتأخرين " مثل تخصيص المسند اليه بالمسند " كقوله تعالى : " أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ " . أى لايقبل التوبة عن العباد الا الله ، أو تأكيد هذا التخصيص كقوله

---

(١) الكتاب جـ١ ص ١٤٣ . بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٢٨٤ .
(٢) الكتاب جـ١ ص ٣٩٥ . بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ص ٣٩٢ .
(٣) الآية ١٠٤ من سورة التوبة .

تعالى : " إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرزاقُ "(١) ، ولم يذكر لنا شيئا من ذلك ، ولكنه اهتم بأن يوضح أن ضمير الفصل لا يحسن فى الكلام الا إذا وضع موضعه الملائم ، ويقبح اذا تجاوز هذا الموضع . وسيبويه نظرته اشمل فهو انما يهتم بالتكوين للجملة أكثر من الكلمة و ضمير الفصل هو عادة ضمير رفع منفصل ، ويؤتى به للفصل بين الخبر والصفة نحو (محمد هو الرسول) فلو لم نأت بالضمير (هو) وقلنا : (محمد الرسول) لاحتمل أن يكون (الرسول) خبرا عن محمد ، وأن يكون صفة له ، فلما أتينا بضمير الفصل (هو) تعين أن يكون (الرسول) خبرا عن المبتدأ وليس صفة له . فضمير الفصل على هذا يزيل الاحتمال والابهام من الجملة التى يدخل عليها ، ومن ثم يفيد ضربا من التأكيد بل ويعد من أدوات تأكيد الخبر .

وقال : " فى باب ما جرى من الأمر والنهى على اضمار الفعل المستعمل اظهاره ، اذا علمت أن الرجل مستغن عن لفظك بالفعل " وذلك قولك : زيدا و عمرا ، ورأسه . وذلك أنك رأيت رجلا يضرب أو يشتم أو يقتل فأكتفيت بما هو فيه من عمله أن تلفظ له بعمله فقلت : زيدا ، أى أوقع عملك بزيد . أو قدم من سفر فقلت : حديثك . وكقولك : الأسد الأسد ، والجدار الجدار ، والصبى الصبى ، وانما نهيته أن يقرب الأسد أو الجدار المخوف (المائل) أو يوطئ الصبى "(٣) .

---

(١) الكشاف جـ١ ص٣٦ ، عروس الأفراح جـ١ ص٣٨٧ الآية ٥٨ من سورة الحجرات والآية ٥١ من سورة الذاريات .

(٢) انظر أثر النحاة فى البحث البلاغى ص٨٩ ، دار قطرى بن الفجاءة للنشر والتوزيع قطر — الدوحة — الطبعة الثانية ١٩٨٦م .

(٣) الكتاب جـ١ ص١٢٨ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص٢٥٣ .

واجاز سيبويه اضمار الفعل فى الأمر والنهى اذا علمت أن المخاطب مستغن عن لفظك بالفعل لأنه على علم بذلك . والسرّ البلاغى فى ذلك الاضمار سواء أكان فى الأمر أو التحذير فى النهى ؟ هو الخفة فى اللفظ وان المخاطب عرف ما يعنى المتكلم ، والعرب درجت فى لغتها على ذلك .

وفى باب ما يضمر فيه الفعل المستعمل اظهاره بعد الحذف " يقول : —

" وذلك قولك : " الناس مجزيون باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر " و " المرء مقتول بما قتل به إن خنجرًا فَخنْجر وان سيفا فسيف "(١) . وسيبويه يتحدث عن الاضمار هنا ، ويقول : لأنك اذا أدخلت الفاء فى جواب الجزاء استأنفت ما بعدها وحسن أن تقع بعد الأسماء فى حالة الرفع وكذلك فى حالة النصب لأن الجواب يجزم كما يجزم فعله ولأنه لا يستقيم واحد منهما الا بالآخر ويعلق سيبويه على الاضمار فى كلتا الحالتين ، الرفع والنصب بأنه عربى حسن .

التقديم والتأخير :-

وتحدث سيبويه عن التقديم والتأخير فى الكلام ، فقال " فى باب الفاعل الذى يتعداه فعله الى مفعول ، فان قدمت المفعول وأخرت الفاعل ، كقولك : ضرب زيدا عبد الله ، لأنك انما أردت به ، مؤخرًا ما أردت به مقدما ، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه ، وان كان مؤخرًا فى اللفظ . فمن ثم كان حد اللفظ فيه أن يكون الفاعل مقدما ، وهو عربى جيد كثير ، كأنهم انما يقدمون الذى بيانه أهم لهم ، وهم ببيانه أعنى وان كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم "(١) .

نحن نعلم أن من شأن المفعول أن يتأخر عن الفاعل ، أما اذا تقدم فلن يكون الأمر عفوا وانما لعلة قصد اليها المتكلم وهى هنا : العناية والاهتمام بشأنه .

وقال أبو سعيد السيرافى (ت ٣٦٨ هـ) " انما قدموا المفعول هنا على الفاعل لدلالة الاعراب عليه ، فلم يضر من جهة المعنى تقديمه ، واكتسبوا بتقديمه ضربا من التوسع فى الكلام "(٢) .

واذا جاء تقديم المفعول على الفاعل ، للعناية والاهتمام فان تقديم المفعول على الفعل ، يأتى للغرض البلاغى نفسه ، فيقول : " وان قدمت الاسم فهو عربى جيد كما كان ذلك عربيا جيدا ، وذلك قولك : زيد ضربت والاهتمام والعناية هنا فى التقديم والتأخير سواء ، مثله فى ضرب زيد عمرا وضرب عمرا زيدا "(٣) .

---

(١) الكتاب جـ١ ص ١٤ — ١٥ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٣٤ .

(٢) الكتاب جـ١ ص ١٤ ، هامش الكتاب شرح أبى سعيد .

وسيبويه ذكر التقديم والتأخير فى عدة أبواب ،ولم يقتصر على ذكره فى باب الفاعل الذى يتعداه فعله الى مفعول ، بل ذكره فى باب ام وكان وكى ، والظروف ، وظن وغير ذلك . فحين تحدث سيبويه عن التقديم فى " ان " قال: " واعلم أن التقديم والتأخير ، والعناية والاهتمام هاهنا مثله فى باب كان ، ومثل ذلك قولك : ان أسدا فى الطريق ، رابضا وان بالطريق أسدا رابض . وان شئت جعلت بالطريق مستقرا ثم وصفته بالرابض "(١) . وفى باب كى وما ينصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر ، يرى أن التقديم لبيان العناية والاهتمام كما كان فى تقديم المفعول على الفاعل فيقول : " وان شئت قدمت وأخرت فقلت كسى الثوب زيدا ، وأعطى المال عبد الله كما قلت : ضرب زيدا عبد الله ، فالأمر فى هذا كالأمر فى الفاعل " . كما يرى أيضا هذه العناية والاهتمام فى تقديم الظرف فيقول : " والتقديم هاهنا ، والتأخير فيما يكون ظرفا أو يكون اسما فى العناية والاهتمام مثله فيما ذكرت لك فى باب الفاعل والمفعول . وجميع ماذكرت لك من التقديم والتأخير والالغاء والاستقرار عربى كثير "(٣) . وفى باب ظن يقول : " فان ألغيت قلت عبد الله أظن ذاهب، وهذا إخال أخوك وفيها أرى أبوك وكلما أردت الالغاء ، فالتأخير أقوى ، وكل عربى جيد ، وانما كان التأخير أقوى لأنه انما يجيء بالشك بعد ما يمضى كلامه على اليقين أو بعد ما يبتدئ وهو يريد اليقين ثم يدركه الشك "(٤) . فالسر البلاغى هنا فى التقديم لم يكن العناية والاهتمام كما تقدم فى تقديم المفعول على الفاعل

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٢٨٥ . بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ص ١٤٣ .
(٢) الكتاب جـ١ ص ١٩ . بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٤٢
(٣) الكتاب جـ١ ص ٢٧ . بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٥٦ .
(٤) الكتاب جـ١ ص ٦١ . بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ١٢٠ .

وانما السر هنا ، عامل نفسى حوّل يقين المتكلم الى شك ، فجعله يغير الألفاظ عما ينبغى أن تكون عليه الى نسق آخر[١] . ولعل منازعة اليقين والشك للمتكلم هى التى جعلت الأمر يتعلق بالنفس و يتغير الغرض البلاغى .

وقد أخذ السكاكى (ت ٦٢٦ هـ) بما اعتبره سيبويه سرا بلاغيا فى التقديم . وهو ، العناية والاهتمام .

فقال : " أن تكون العناية بتقديمه ، والاهتمام بشأنه ، لكونه فى نفسه نصب عينك ، وأن إلتفات الخاطر اليه فى التزايد ، كما تجدك اذا رأى قناع الهجر وجه من روحك فى خدمته ، وقيل لك : ما الذى تتمنى ؟ تقول : وجه الحبيب أتمنى . فتقدم أو كما تجدك اذا قال أحد عرفت شركاء الله ، يقف شَعَرُكَ فزعا ، وتقول : لله شركاء .. وللله در أمر التنزيل ، واحاطته على لطائف الاعتبارات فى ايراد المعنى على انحاء مختلفة بحسب مقتضيات الأحوال . قال عز من قائل فى سورة القصص فى قصة موسى " وَجَاءَ رَجُلٌ مِن أَقْصَى المَدِينَةِ[٢] " فذكر المجرور بعد الفاعل وهو موضعه ، وقال فى يس فى قصة رسل عيسى عليه السلام : " وَجَاءَ مِن أَقْصَى المَدِينَةِ رَجُلٌ[٣] " فقدم لما كان أهم يبين ذلك أنه حين أخذ فى قصة الرسل اشتمل الكلام على سوء معاملة أصحاب القرية والرسل ، أنهم أصروا على تكذيبه ، وانهمكوا فى غوايتهم مستبشرين على باطلهم ومنها أن قال فى سورة المؤمنين : " لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا[٤] " فذكر

---

(١) انظر : أثر النحاة فى البحث البلاغى ص ٩٠ .

(٢) الآية ٢٠ من سورة القصص .

(٣) الآية ٢٠ من سورة يس .

(٤) الآية ٨٣ من سورة المؤمنون .

بعد المرفوع وما تبعه المنصوب وهو موضعه ، وقال فى سورة النمل : " لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا "(١) . فقدم لكونه منها أهم))(٢) . وواضح مما تقدم أن العناية والاهتمام بالتقديم انما تكون بحسب مقتضيات الأحوال ويأتى التقديم حين يكون التقديم من الأهمية بمكان ، كما جاءت فى آيات التنزيل من الأمثلة وغيرها ، والسكاكى الذى أخذ رأى سيبويه هو الذى قعد البلاغة وصنف أبوابها .

ويرى بهاء الدين السبكى (ت ٧٧٣ هـ) : أن الأخذ برأى سيبويه ليس اجماعا ، بل اشتهر بين البلاغيين أو البيانيين أن التقديم يفيد الاختصاص والأولى أن المفعول اذا تقدم على الفعل فانه يفيد القصر مثل : " بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ "(٣) فالتقديم هنا كان لتخصيصه بالعبادة دون سواه ولو أُخر لم يفد الكلام ذلك . والامام عبد القاهر (ت ٤٧١ هـ) : لا يتفق مع سيبويه فى أن السر البلاغى للتقديم هو العناية والاهتمام فيقول : " واعلم أنا لم نجدهم اعتدوا فيه شيئا يجرى مجرى الأصل ، غير العناية والاهتمام ، قال صاحب الكتاب : وهو يذكر الفاعل والمفعول : كأنهم يقدمون الذى بيانه أهم لهم وهم بشأنه أعنى وان كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم ولم يذكر فى ذلك مثالا "(٤) . لا أظن أن سيبويه حين اعتمد على أن التقديم يكون للعناية والاهتمام لم يعتمد على دليل ، بل قد لاحظ أن العرب فى كلامها " لم تزد أن تشغل الفعل بأول منه وان كان مؤخرا فى اللفظ ، فمن ثم كان حد اللفظ فيه أن يكون الفاعل مقدما وهو عربى جيد كثير "(٥) . ولم يختصر سيبويه

---

(١) الآية ٦٨ من سورة النمل .
(٢) مفتاح العلوم للسكاكى ص ٢٣٩ .
(٣) الآية ٦٦ من سورة الزمر .

— رحمه الله — فى الكتاب على أن السر البلاغى ينحصر فى العناية والاهتمام فحسب بل ذكر أنه يكون لتنبيه السامع وتأكيد الاثبات ، وقد نقل الامام عبد القاهر ذلك فى دلائل الاعجاز (١) .

ويقول أبو سعيد السيرافى (ت ٣٦٨ هـ) : " والفاعل كيفما تصرفت فيه الحال فهو الذى يبنى له الفعل والمفعول كالفضلة فى الكلام للاستغناء عنه والفاعل وان كان مؤخرا فى اللفظ فإن تقديره التقديم لأن الفعل لا يستغنى عنه " (٢) . ومن هنا جاءت العناية والاهتمام .

قال سيبويه : " هذا باب ما يكون فيه الاسم مبنيا على الفعل قدم أو أخر وما يكون فيه الفعل مبنيا على الاسم " . فاذا بنيت الاسم عليه قلت : ضربت زيدا وان قدمت الاسم فهو عربى جيد كما كان ذلك عربيا جيدا ، وذلك قولك زيدا ضربت ، والاهتمام والعناية هاهنا فى التقديم والتأخير سواء مثله فى ضرب زيد عمرا وضرب عمرا زيد ، واذا بنيت الفعل على الاسم قلت : زيد ضربته فلزمته الهاء ، وانما تريد بقولك : مبنى عليه الفعل أنه فى موضع منطلق اذا قلت : عبد الله منطلق فهو فى موضع هذا الذى بنى على الأول وارتفع به فانما عبد الله فنبهته ثم بنيت عليه الفعل ورفعته بالابتداء ومثل ذلك قوله عز وجل : " وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ " (٣) . ويستنتج سيبويه من الأساليب العربية ما يكون التقديم والتأخير فيه سواء وكذلك الاهتمام والعناية ، حين يكون الاسم مبنيا على الفعل ، ضربت زيدا و زيدا ضربته ، وكلاهما عربى جيد حيث لا لبس

---

(١) انظر دلائل الاعجاز ص ١٠١ .

(٢) الكتاب جـ١ ص١٤ بولاق . الهامش .

(٣) الآية ١٧ من سورة فصلت . انظر الكتاب جـ١ ص ٤١ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٨١ .

ولا خفاء ، فاذا بنيت الفعل على الاسم انما تريد أن تقول : مبنى عليه الفعل أيْ أنه فى موضع الخبر ، فيكون سرّ التقديم تنبيه السامع ، كما قال سيبويه وتحدث عبد القاهر (٤٧١ هـ) حين بين أن الغرض من التقديم إفادة تقوية الحكم الذى هو ثبوت الفعل للفاعل وتوكيده ودفع الشك عنه ، ممثلا بقول الشاعر :— (١)

هم يفرشون اللبد كلّ طِمِرَّةٍ وأجرد سبّاح يَذُبُّ المغالبا

فقال : " إلا أنه بدأ بذكرهم لينبه السامع لهم ويعلم بديا — أيْ أولا وابتداء قصده اليهم بما فى نفسه من الصفة ليمنعك بذلك من الشك .. وهذا الذى قد ذكرت من أن تقديم ذكر المحدث عنه يفيد التنبيه له ، قد ذكره صاحب الكتاب فى المفعول اذا قدم فرفع ، وبنى الفعل الناصب كان له عليه ، وعدي الى ضميره فشغل به ، كقولنا : " فى ضربت عبد الله " عبد الله ضربته . فقال : (٢) وانما قلت : عبد الله فنبهته له ، ثم بنيت عليه الفعل ورفعته بالابتداء " .

يذكر الشيخ عبد القاهر ، أن تقديم المسند اليه هنا قد أفاد تنبيه السامع والتأكيد ودفع الشك عنه ، وأن سيبويه قد سبق وذكر ذلك فى الكتاب فى تقديم المفعول .

ويقول ابو الفتح ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) واستاذه ابو على الفارسى — (ت ٣٧٧ هـ) : وذلك أن المفعول قد شاع عنهم واطرد من مذاهبهم كثرة تقدمه على الفاعل ، حتى دعا ذاك أبا على الى أن قال : ان تقدم المفعول على الفاعل قسم قائم برأسه كما أن تقدم الفاعل قسم أيضا قائم برأسه ، وان كان الفاعل أكثر ، وقد جاءت الاستعمال مجيئا واسعا نحو قول الله عز وجل

---

(١) لم أجد للبيت قائلا غير انه متداول فى كتب البلاغة فى موضوع التقديم والتأخير كثيرا اللبد . الصوف أو الشعر المتلبد ، وهو ما يوضع منه قطعة على ظهر الفرس تحت السرج

" إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِن عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ " ومن أبيات الكتاب قول الشاعر :—

اعتاد قلبك من سلمى عوائده وهاج أهواءك المكنونة الطلل

فقدم المفعول فى المصراعين جميعا .

وقال الله عز وجل : " الْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ "(١) وفى كثير من شعر الشعراء والأمر فى كثرة تقديم المفعول على الفاعل فى القرآن وفصيح الكلام متعالم غير مستنكر ، فلما كثر وشاع تقديم المفعول على الفاعل كان الموضح له حتى أنه اذا أُخر فموضعه التقديم ، ولا تستنكر هذا الذى صورته لك ، وَلَا يَجُفُ عليك فانه مما تقبله هذه اللغة ولا تعافه ولا تَتَبَشَّعُه(٢) " . ويقول ابن جنى : " فكذلك أيضا يصير تقديم المفعول لما استمر وكثر كأنه الأصل وتأخير الفاعل كأنه أيضا هو الأصل . وان هذا ليس مرفوعا الى العرب ولا محكيا عنها أنها رأته مذهبا وانما هو شىء رآه سيبويه واعتقده قولا ، وَلَسْنَا نقلد سيبويه ولا غيره فى هذه العلة ولا غيرها ، وان الجواب عن هذا حاضر عتيد ، والخطب فيه أيسر وسنذكره "(٣) وقال فى جوابه " وما الذى سوّغ سيبويه هذا وليس مما يرويه عن العرب رواية وإنما هو شىء رآه واعتقده لنفسه وعلل به ، قيل يدل على صحة ما رآه من هذا وذهب اليه ما عرفه وعرفناه معه . من أن العرب اذا شبهت شيئا بشىء مكنت ذلك الشبه لهما وجعلت به الحال بينهما "(٤) .

---

(١) الآية من سورة التكاثر .
(٢) الخصائص جـ١ ص ٢٩٨ .
(٣) الخصائص جـ١ ص ٢٩٨ .
(٤) الخصائص جـ١ ص ٣٠٤ .

والمتتبع لكلام أبى الفتح وأبى على الفارسى يتضح له أن التقديم والتأخير لم يكن للعناية والاهتمام أو التنبيه أو التأكيد أو غير ذلك مما ذكر سيبويه ، بل عندهما للشيوع والاطراد وكثرة تقدم المفعول على الفاعل وماجاء به الاستعمال مجيئا واسعا ، ويطلب ابن جنى أن لا يستنكر ولا يستكره القارىء أو السامع رأيه ، لأن اللغة تتقبله . وكأن كثرة تقدم المفعول فى كلام العرب جعلته هو الأصل فاستحق التقديم ، وكذلك تأخير الفاعل جعله أصلا مستحقا لذلك . وأن هذا رأي رآه سيبويه ، وليس ملزما ويرد فى ذلك على نفسه بقوله : ماعرفه — سيبويه — وعرفناه معه أن العرب اذا شبهت شيئا بشيء مكنت ذلك الشبه لهما وجعلت به الحال بينهما " . وابن جنى يستشهد على تقديم المفعول بأمثلة من كتاب سيبويه ، وعلى أن المفعول كانت العرب تلحقه برتبة الفاعل ، وسيبويه يقول عن الفاعل والمفعول : " وان كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم " ، ولكن ابن جنى واستاذه الفارسى مقتنعان بأن تقديم المفعول لايخرجه عن كونه مفعولا ، لأن الفعل اذا اسند للمفعول بدلا من الفاعل فانه يصبح مبنيا للمجهول بعد أن كان مبنيا للمعلوم . ويقول أبو الفتح عثمان ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) : " ينبغى أن يعلم أن ما أذكره هنا ، وذلك أن أصل المفعول أن يكون فضلة وبعد الفاعل ، كضرب زيد عمرا ، فاذا عناهم ذكر المفعول قدموه على الفاعل ، فقالوا : ضرب عمرا زيد ، فان ازدادت عنايتهم به قدموه على الفعل الناصب ، فقالوا : عمرا ضرب زيد فان تظاهرة العناية به عقدوه على انه رب الجملة وتجاوزوا به حد كونه فضلة ،فقالوا : عمرو ضربه زيد فجاءوا به مجيئا ينافى كونه فضلة .. وهذا كله يدل على شدة عنايتهم بالفضلة . وهذا الذى دعاهم الى تقديم الفضلات فى نحو قول الله سبحانه : " وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (١) " وإنما موضع اللام التأخير ، ولذلك قال سيبويه :

---

(١) الكهف ، وكذا فى الآية ... من سورة ... فى ذيل الصفحة جـ ١ ص ٦٥

" إنّ الجفاة ممن لا يعلم كيف هى فى المصحف يقرؤها : " وَلَمْ يَكُنْ كُفُوًا لَه أَحَد "(١) .

ومن هنا نلمس أن ابن جنى قد رجع عن رأيه الذى تقدم قبل قليل فى الخصائص بأن الشيوع والاطراد وكثرة تقدمه على الفاعل ، هى التى سوغت التقديم . وليس لعلة بلاغية لما يرى سيبويه ، وهى العناية والاهتمام وقد وافق بذلك سيبويه ، والرجوع الى الحق فضيلة ، وهو يرى أن العناية تكون فى صورة منها أنها . اذا عناهم ذكره قدموه واذا أزدادت عنايتهم به قدموه ، واذا تظاهرة العناية به عقدوه على أنه رب الجملة ، وقد يجيؤن به مجيئا ينافى كونه فضلة . وقد ساق شاهدا على تقديم الفضلات الآية الكريمة : " وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَد " ، وما قاله سيبويه بالنص هو " وجميع ما ذكرت لك من التقديم والتأخير والالقاء والاستقرار عربى جيد كثير ، فمن ذلك قول الله عز وجل : " وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَد " . وأهل الجفاء من العرب ، يقولون(٢) : وَلَمْ يَكُنْ كُفُوًا لَهُ أَحَد . كأنهم أخروها حيث كانت غير مستقرة .

وسيبويه هنا انما يتحدث عن تقديم وتأخير الظرف والاسم وعبر عن الظرف بمتعلقه استقر أو مستقر . وقال : ماكان فيها أحد خيرا منك ، وما كان أحد خيرا منك فيها ، إلّا أنك اذا أردت الالغا فكلما أخرت الذى تلغيه كان أحسن . واذا اردت أن يكون مستقرا تكتفى به فكلما قدمته كان أحسن لأنه اذا كان عاملا فى شىء قدمته كما تقدم أظن وأحسب واذا ألغيت أخرته كما يؤخرهما لأنهما ليسا يعملان شيئا "(٣) . وهكذا الأساليب العربية فتارة

---

(١) المحتسب جـ١ ص ٦٥ . المجلس الأعلى للشئون الاسلامية . القاهرة ١٣٨٦ هـ تحقيق على النجدى ناصف د/ عبد الحليم النجار . د/ عبد الفتاح اسماعيل شلبى

(٢) الكتاب جـ١ ص ٢٧ . بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٥٦ .

(٣) نفس المرجع السابق .

يكون التقديم أحسن ولسبب آخر يكون التأخير أفضل . ويقول سيبويه : ويحتملون قبح الكلام حتى يضعوه فى غير موضعه لأنه مستقيم ليس فيه نقص ، فمن ذلك قول عمر بن أبى ربيعة :

صَدَدْتِ فَأَطْوَلتِ الصدودَ وَقَلَّمَا وِصَالٌ على طُولِ الصدودِ يَدُومُ (١) .

وانما الكلام قلّ ما يَدُومُ وِصالٌ (٢) .

وسيبويه الذى يعد التقديم بلاغة استقبحه هنا لأنه يراه فى غير موضعه فلم يكن هناك مبررا للتقديم ، وانما يجد المتذوق لكلام العرب أن التقديم هنا فيه سوء تركيب لأن تقديم الفاعل " وصال " على فعله " يدوم " لم يكن الدافع له العناية والاهتمام أو التأكيد او التنبيه . ويقول الأعلم الشنتمرى (٤١٠ — ٤٧٦ هـ) معلقا على هذا البيت : " أراد قلّما يدوم وصال فقدم وأخر مضطرا لاقامة الوزن . والوصال على هذا التقدير فاعل مقدم والفاعل لا يتقدم فى الكلام إلا أن يبتدأ به وهو من وضع الشىء فى غير موضعه (٣) " ويقول يونس ابن حبيب (١٨٣ هـ) استاذ سيبويه الذى روى عنه (٢٠٠) مائتا مرة (٤) فى الكتاب يقول : " إن تأتنى آتيك بالرفع " ويقول : " هو فى نية التقديم ويقدره أآتيك إنْ تأتنى (٥) " . وهذا يدل على أن التقديم والتأخير عند العلماء كان معروفا قبل سيبويه بدليل حديث يونس — رحمه الله — حين تحدث عن جواب الشرط بعد الاستفهام .

---

(١) نسبه سيبويه لعمر بن أبى ربيعة ولم أجده فى ديوانه ونسبة الشنتمرى للمرار الفقعسى وكذلك فى الخزانة جـ٤ ص٢٨٩ حيث أورد البيت ثانى أربعة أبيات .

(٢) الكتاب جـ١ ص١٢ . بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٣١ .

(٣) تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب فى علم مجازات العرب . الكتاب جـ١ ص١٢ بأسفل الصحيفة .

(٤) سيبويه امام النحاة ص١٠٢ على النجدى .

الاستفهام فى الجملـــة :—

يقول سيبويه : " هذا باب أَمْ إِذَا كان الكلام بها بمنزلة أَيُّهما وأَيُّهم وذلك قولك أزيدٌ عندك أم عمروٌ ازيدا لقيت أَمْ بِشْراً فأنت الآن مُدّع أن عنده أحدهما لأنك اذا قلت أيهما عندك وأيهما لقيت فأنت مُدّع أن المسئول قد لقى أحدهما أو أن عنده أحدهما إلا أن علمك قد استوى فيهما لا تدرى أيهما هو . واعلم أنك أردت هذا المعنى فتقديم الاسم أحسن لأنك لا تسأله عن اللَّقِىّ ، وإنما تسأله عن أحد الاسمين لاتدرى أَيُّهما هو ، فبدأت بالاسم لأنك تَقْصِدُ قَصْدَ أن يبين لك أَيُّ الاسمين عنده ، وجعلت الاسم الآخر عديلاً للأول وصار الذى لا تسأل عنه بينهما . ولو قلت : أَلَقِيْتَ زيداً أَمْ عمراً ، كان جائزاً حسناً ولو قلت : أعندك زيدٌ أم عمروٌ كان كذلك . وانما تقديم الاسم ههنا أحسن ولم يجز للآخر ، الا أن يكون موخراً لأنّه قَصَدَ قَصْدَ أحد الاسمين ، فبدأ بأحدهما لأن حاجته أحدهما فبدأ به "(١) .

سيبويه يستحسن أن يلى المسئول عنه همزة الاستفهام ، فيقدم الاسم على الفعل ، واذا ولى الفعل همزة الاستفهام أيضا كان جائزا حسنا فى نحو أَلَقيتَ زيداً أم عمراً . فالتقديم والتأخير عنده جائز ، وان كان تقديم الاسم عنده ههنا أحسن . ويقول سيبويه فى الباب ذاته : " وتقول أضربت زيداً أم قتلته فالبدء ههنا أحسن لأنك إنما تسأل عن أحدهما لاتدرى أَيُّهما كان ولم تسأل عن موضع أحدهما فالبدءُ بالفعل ههنا أحسنُ كما كان البدءُ بالاسم ثم أحسن "(٢) .

ويرى سيبويه اذا كان المسئول عنه الفعل فالبدء به بعد الهمزة أحسن لانك انما تسأل عن أحدهما ولا علم لك بأيهما كان ولم تسأل عن

---

(١) ... ج٣ ص١٧٠ .

موضع أحدهما فكما كان الاسم تقديمه فيما سبق أحسن ، فتقديم الفعل هنا أحسن ويقول : " هذا باب آخر من أبواب أو " تقول : أَلَقيتَ زيداً أَوْ عمراً أو خالداً ، أو تقول : أعندك زيدٌ أو خالدٌ أو عمرٌو ، كأنك قلت : أعندك أحد من هؤلاء ، وذلك لأنك لما قلت : أعندك أحدٌ هؤلاء .. واعلم أنك إذا أردت هذا المعنى فتأخير الاسماء أحسن لأنك إنما تسأل عن الفعل بمن وقع ولو قلت أزيدا لقيت أو عمرا أو خالدا ، وأزيد عندك أو عمرو أو خالد كان هذا فى الجواز والحسن بمنزلة تأخير الاسم اذا أردت معنى أيُّهما " (١) . فالمسئول عنه يجوز تقديمه وتأخيره عند سيبويه ، وكلمة أحسن عنده لا تعنى منع المقابل وإنما ، استحسن تقديم المسئول عنه لأنه المقصد والمعول عليه من الاستفهام .

ويقول الامام عبد القاهر الجرجانى (٤٧١ هـ) : " ومن أبين شىء فى ذلك الاستفهام بالهمزة فان موضع الكلام على أنَّك اذا قلت : أفعلت ؟ فبدأت بالفعل كان الشك فى الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده . واذا قلت : أأنت فعلت ؟ فبدأت بالاسم كان الشك فى الفاعل من هو ؟ وكان التردد فيه " (٢) .

الامام عبد القاهر يقول بحتمية تقديم المسئول عنه ، فهو الذى يلى الهمزة اذا كان اسما او فعلا ، لأنّ المسئول عنه موضع الشك عند السائل لذلك لا يسمح بتأخيره فى الكلام والا كان الكلام غير صالح بلا غيا .

وعبد القاهر قد وصف التقديم وصفا دقيقا جميلا فقال : " هو باب كثير الفوائد جمّ المحاسن ، واسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يفترّلك عن بديعة ويفضى بك الى لطيفة ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٤٨٧ . بولاق . عبد السلام هارون جـ٣ ص ١٧٩ .

(٢) دلائل الاعجاز ص ٨٧ .

موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان الى مكان "(١) . فعبد القاهر يرى فى التقديم معانى تخلب اللب ، وتضيف اليه محاسن كثيرة ومواقع لطيفة ، وفوائد واسعة التصرف فى مختلف الأساليب العربية نثرا وشعرا .

ويقول ابراهيم أنيس " إن ما قاله النحاة من جواز التقديم اذا أمن اللبس لا مبرر له من أساليب صحيحة ولا يعدو أن يكون رخصة مَنَّ بها علينا النحاة دون حاجة ملحة اليها . غير أننا نقبلها فى الشعر ، وذلك لأن للشعر أسلوبه الخاص . أما ما نراه من أمثلة التقديم فموقوف سماعها على ماورد عن العرب (٢) ، وفى غيرها لا يصح أن يغير أحدهما مكانه والحلال بين والحرام بين " والتقديم والتأخير قد جاء فى لغة العرب كثيرا فى الشعر والنثر ، وكما جاء فى الشعر قد يحال للضرورة أحيانا ، وأما النثر فما أكثر مبررات علماء البلاغة لتقديم المسند والمسند اليه مدعمة بالادلة التى لاتقبل النقض .

ويقول ابن رشيق (٣٩٠ـ٤٥٦ هـ) عن التقديم والتأخير : "ومن الشعراء من يضع كل لفظة موضعها لا يعدوه فيكون كلامه ظاهرا غير مشكل ، وسهل غير متكلف ، ومنهم من يقدم ويؤخر : اما لضرورة وزن أو قافية وهو أعذر وإما ليدل على أنه يعلم تصريف الكلام ، ويقدر على تعقيده وهذا هو المعيب بعينه ومن ذلك قول أبى السفاح بكيربن معدان اليربوعى :ـ

نَهْنَهْتُهُ عَنْكَ فَلَمْ يَنْهَهْ بالسيف إلاّ جَلَدَاتٌ وِجَاعُ

أراد نهنهته عنك بالسيف أو أراد فلم ينهه الا جلدات وجاع بالسيف وكلاهما فيه تقديم وتأخير . ورأيت من علماء بلدنا من لا يحكم للشاعر بالتقديم ولا يقضى له

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٨٣ .

(٢) من اسرار اللغة ص ٢٣١ .

بالعلم ، إلا أن يكون فى شعره التقديم والتأخير . وأنا استثقل ذلك من جهة ما قدمت ، وأكثر ماتجده فى شعر النحويين[١] . وابن رشيق يقسم الشعر فالذين يضعون كل لفظة موضعها الذى يناسبها ، كلامهم واضح لا لبس فيه ولا تكلف ومن الشعراء من تحكمه ضرورة الوزن أو القافية وهذا يسمح له بالتقديم والتأخير لأنّ له عذراً . وأما القسم الثلث فهم الذين يحبون أن يظهروا بأنهم أقدر على تصاريف الكلام وفنونه ، فيقعوا فى اللبس وعدم الإبانة بينما ليسوا فى حاجة لذلك ، ومن هؤلاء قول الشاعر المتقدم ، والتقديم والتأخير يظل موضع خلاف بين العلماء فمنهم من يرى أن الشعر إن لم يكن به تقديم وتأخير لا يحكم لصاحبه بأنه شاعر متذوق عالم .

ويقول ابن طباطبا (ت٣٢٨ هـ) : " إن الشاعر لا يلجأ الى التقديم الا للضرورة لأنهم لا يجيزون التقديم فى الشعر ، واذا ورد فى الشعر هو ما يضطر اليه الشاعر ولا يكون معه اختيار ، لأن الكلام يملكه حينئذ فيحتاج الى اتباعه والانقياد له فأما ما يمكن الشاعر فيه من تصريف القول فلا عذر له عند الاتيان بمثل ما وصفناه "[٢] . وكأنه يريد هنا بالتقديم ، الذى لا يقتضيه المقام .

---

(١) العمدة فى مجلس الشعر وآدابه ونقده جـ١ ص ٦٠ — ٦١ لابن رشيق وهو أبى الحسن بن رشيق القيروانى الازدى .

(٢) عيار الشعر ص٤٢ المطبعة التجارية القاهرة ١٩٥٧م — لابن طباطبا : وهو أبو المعمر يحيى بن محمد بن القاسم بن محمد العلوى الحسنى . أنظر مداخل المؤلفين والاعلام العرب . الصادر عن عمادة شئون المكتبات بجامعة الرياض ، ١٩٨٠م . اعداد : ناصر محمد السويدان ومحسن السيد العرينى .

أدوات الاستفهـــــام :-

وحروف الاستفهام كذلك لا يليها إلا الفعل ، إلا أنّهم قد توسعوا فيها فأبتدوءا بعدها الاسماء والأصل غير ذلك . ألا ترى أنهم يقولون : هل زيد منطلق ، وهل زيد في الدار ، وكيف زيد آخذ . فان قلت: هل زيدا رأيت وهل زيد ذهب قبح ولم يجز الا في الشعر لأنّه لما اجتمع الاسم والفعل حملوه على الأصل فان اضطر شاعر فقدم الاسم نصب كما كنت فاعلا ذلك بقد ونحوها وهو في هذه أحسن لأنه يبتدأ بعدها الاسماء . وانما فعلوا ذلك بالاستفهام لأنّه كالأمر في أنه غير واجب ، وأنه يريد به من المخاطب أمرا يستقر عنده السائل . ألا ترى أن جوابه جزم فهذا اختير النصب وكرهو تقديم الاسم ، لأنّها حروف ضارعت بما بعدها ، ما بعد حروف الجزاء ، وجوابها كجوابه وقد يصير معنى حديثها إليه . وهي غير واجبة كالجزاء ، فقبح تقديم الاسم لهذا ألا ترى أنك إذا قلت : أيْنَ عبد الله آته ، فكأنك قلت : حيثما يكن آته "(١) .

ومعنى ذلك أن الذي يلي حروف الاستفهام الفعل في الأصل لا الاسم ، ولكن من باب التوسع بدوءا بعدها بالاسم على غير الأصل ، وقبح في النثر وجاز في الشعر ، لأنّه لما اجتمع الاسم والفعل حملوه على الأصل لأنّ الاستفهام يشبه الأمر في أنّه غير واقع ، ويجوز أن يقع وأن لا يقع لأنّهم يريدون من المخاطب أمرا لم يستقر عند السائل فأشبهت حروف الاستفهام حروف الشرط والجزاء ، أيْ اذا قلت : أين زيد آته ، فأين زيد استفهام بمنزلة الشرط لأن بعده جزاء كما بعد الشرط جزاء . وقال السيرافي سعيد بن سعده شارح كتاب سيبويه (ت ٣٦٨ هـ) : " يعني ألا ترى أن جواب الاستفهام جزم كما يكون جواب الأمر تقول : أين زيد آته ، — وهذا استفهام — كما تقول : ائتني آتك . وهذا أمر "(٢) .

ويقول سيبويه : " واعلم أن حروف الاستفهام كلها يقبح أن يصير بعدها الاسم إذا كان الفعل بعد الاسم : لوقلت : هل زيد قام ،وأين زيد ضربته لم يجز إلا فى الشعر ، فاذا جاء فى الشعر نصبته إلا الألف — الهمزة — فإنه يجوز فيها الرفع والنصب لأن الألف — الهمزة — قد يبتدأ بعدها الاسم . فإن جئت فى سائر حروف الاستفهام باسم وبعد ذلك الاسم اسم من فعل نحو ضارب جاز فى الكلام ولا يجوز فيه النصب إلا فى الشعر ، لوقلت : هل زيد أنا ضاربه لكان جيدا فى الكلام ،لأن ضاربا اسم وان كان فى معنى الفعل "(١)

يستدل ويستقبح سيبويه وقوع الاسم بعد حروف الاستفهام مباشرة وبعده الفعل ، نحو هل محمدٌ سَافَرَ ؟ ولا يجوزه الا فى الشعر ، ويلزمه النصب ولعل ضرورة الشعر كانت مبررا لذلك . ثم علل صحة دخول الهمزة على الاسم ،لأنها قد يبتدأ بعدها الاسم دون حروف الاستفهام . ولو جئت بعد أدوات الاستفهام عنده باسم بعد اسم مشتق ايضا لا يجيز فيه الا النصب فى الشعر ، اما فى الرفع نحو هل زيدٌ أنا ضاربهُ ؟ فهذا ما وصفه بأنه جيد معللا ذلك . بأن ضاربا اسم وان كان فى معنى الفعل ، وهو يريد أن يقول ان أدوات الاستفهام تختص بالافعال ويقبح دخولها على الاسماء .

ويقول سيبويه فى " هذا باب الحروف التى لايليها بعدها الا الفعل " : .. واعلم أنه اذا اجتمع بعد حرف الاستفهام نحو هل وكيف ومن اسم وفعل كان الفعل بأن يلى حرف الاستفهام أولى لأنها عندهم فى الأصل من الحروف

---

(١) الكتاب جـ١ ص٥٢ . بولاق . عبد السلام جـ١ ص١٠١

التى يذكر بعدها الفعل وقد بين حالهن "[1] . اذا اجتمع بعد أحرف الاستفهام (هَلْ وَكَيْفَ وَمَنْ) اسمٌ وفعلٌ كان من حق الفعل أن يلى حرف الاستفهام تقول : هل قام زيد ؟ لأن تقديم الفعل أولى، وقبح : هَلْ زيداً ضربت ؟ لأن التقديم يستدعى عند البلاغيين حصول التصديق بالفعل والشك فيما تقدم علمه ولم يقبح : هل زيدا ضربته ؟ لكون الفعل الناصب مقرا قبله . ونلحظ هنا أن سيبويه قد جعل تقدم الفعل أولى والأولوية لا تمنع تقدم الاسم لأنه قد سبق أن قال: " الا أنهم قد توسعوا فيها فابتدؤا بعدها الاسماء " وان كان الأصل غير ذلك "[2]

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٤٥٩ . بولاق . عبد السلام جـ٣ ص ١١٥ .

(٢) الكتاب جـ١ ص ٥٢ . بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ١٠١

الفرق بين الهمزة وهل :—

وسيبويه يتحدث عن أصالة الهمزة فى الاستفهام مفرقا بينها وبين هل فيقول : " وأما الالف — الهمزة — فتقديم الاسم فيها قبل الفعل جائز كما جاز ذلك فى هَلاَّ وذلك لأنها حرف الاستفهام الذى لا يزول عنه الى غيره وليس للاستفهام فى الأصل غيره . وانما تركوا الالف — الهمزة — فى مَنْ وَمَتَى وَهَلْ ، ونحوهن حيث أمنوا الالتباس . الا ترى أنك تدخلها على من اذا تَمَّتْ بصلتها (١) كقول الله عز وجل : " أَفَمَن يُلْقَى فِى النَّارِ خَيْرٌ أَمَّن يَأْتِى آمِناً يَوْمَ القِيَامَةِ " . وتقول : أَمْ هَلْ .. فالالف — الهمزة — اذا كان معها فعل ، بمنزلة لولا وهَلاَّ إلاّ أنّك إن شئت رفعت فيها . وهو فى الالف — الهمزة — أمثل منه فى متى ونحوها لأنه قد صار فيها مع أنك تبتدئ بعدها الاسماء أنك تقدم الاسم قبل الفعل " (٢) .

فالهمزة حرف استفهام بالأصالة وهل بالنيابة عنها ، والهمزة تكون لطلب التصور ، نحو أزيدٌ فى الدار أم خالد ؟ وخالد أفي البيت أم فى المسجد ؟ أو تكون لطلب التصديق ، نحو أقائم زيد ؟ وأزيد قائم ؟ . والمسئول بها هو ما يليها ، تقول : أضربت خالداً ؟ إذا كان الشك فى الضرب . وأأنت ضربت إذا كان الشك فى الفاعل ، وأزيداً ضربت ؟ اذا كان الشك فى المفعول . وهل لا تكون إلاّ لطلب التصديق ، نحو هل قام زيد ؟ وهل عمرو قاعد ؟ وقبح هل زيدا ضربت ؟ لأن التقديم يستدعى حصول التصديق بالفعل . والهمزة إذا كان معها فعل بمنزلة لولا وهلاَّ ، جاز لك أن ترفع وتقدم الاسم على الفعل ويمتنع ذلك فى هَلاَّ ولولا لأنه لا يبتدأ بعدهما الاسماء ، أيّ : فلا تقول : هَلاَّ

---

(١) الآية ٤٠ من سورة فصلت .

(٢) الكتاب جـ١ ص ٥١ . بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٩٩ .

زيد قائم ، بالرفع وجائز أن تقول : هَلاَّ زيداً أكرمته أَيُّ هَلاَّ أكرمت زيدا أكرمته

ويقول الزركشى (٧٤٥ ــ ٧٩٤ هـ) فى الفرق بين الهمزة وهل:" ومنها أن يقع الاسم منصوبا بعدها لتقدير ناصب أو مرفوعا بتقدير رافع يفسره ما بعده كقولك : أَ زيداً ضربت ؟ وأ زيدا قام ؟ ولا تقول : ذاك فى هَلْ . فلا تقول : هل زيدا ضربت ؟ ولا هل زيد قام ؟ إلا على ضعف . وان شئت فقل : ليس فى أدوات الاستفهام ما إذا اجتمع بعده الاسم والفعل يلى الاسم فى فصيح الكلام إلاّ الهمزة فتقول : أزيد قام ؟ ولا تقول : هل زيد قام ؟ " إلاّ فى ضرورة بل الفصيح هَلْ قَامَ زيدٌ " . ويقول سيبويه (١) : " هل عندك شَعِيرٌ أو برٌّ أو تمرٌ؟ وهل تأتينا أو تحدثنا لايكون إلاّ ذلك . وذاك أنّ هَلْ ليست بمنزلة ألف — الهمزة — الاستفهام ، لانك اذا قلت : تضرب زيدا ، فلا يكون أن تدعى أن الضرب واقع ، وقد تقول : أتضرب زيدا وأنت تدعى أن الضرب واقع . ومما يدلك على أن الف — همزة — الاستفهام ليست بمنزلة هل أنّك تقول للرجل : أطربا ؟ وأنت تعلم أنه قد طرب ، لتوبخه وتقرره ولا تقول هذا بعد هل " (٢) .

وسيبويه يقرر أن الهمزة تتميز عن هل لأن الهمزة يكون بعدها التقرير والتوبيخ ولا يقع ذلك بعد هل .

يقول السيرافى (ت ٣٦٨ هـ) : " وتقول : هل عندك شعير أو برًا ولا تقبح بعدها أم — أَيُّ هل — على مذهب أيُّهما كما تقع بعد الألف بمعنى أيُّهما وفصل سيبويه بين الالف — الهمزة — وبين هَلْ ، لأن ما بعد هل لا يكون تقريرا ولا توبيخا . قال السيرافى : فأرى أن مذهب الألف — الهمزة — أوسع

---

(١) البرهان فى علوم القرآن جـ٢ ص ٣٤٨ الإمام بدرالدين محمد بن عبد الله الزركشى ط. الثانية ، دار المعرفة — بيروت — لبنان .

(٢) الكتاب جـ١ ص ٤٨٥ . بولاق . عبد السلام هارون جـ٣ ص ١٧٦ .

من مذهبي هَلْ ، فجاز في الألف — الهمزة — من معادلة أم مالم يجز في هل ويقع بعد أم التقرير والتوبيخ كما يقع بعد الألف — الهمزة — كقوله عز وجل : " أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ "(١) على جهة التوبيخ ولا تكون هل إلا لإستئناف الاستفهام "(٢)

قال الشيخ أبو حيان (ت ٧٥٤ هـ) : إن طُلِب بالاستفهام تقرير أو توبيخ أو إنكار ، أو تعجب ، كان بالهمزة دون (هَلْ) وإن أريد الجحد كان بهل و لا يكون بالهمزة . ومنها أنها تستعمل لانكار اثبات ما يقع بعدها كقولك أتضرب زيدا وهو أخوك ؟ . قال تعالى : " أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَالَا تَعْلَمُونَ "(٣) . ولا تقع (هَلْ)(٤) هذا الموقع " .

وفي استفهام التقرير يقول أبو الفتح ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) في كتابه " الخاطريات "(٥) : ولا يستعمل ذلك بهل ، وقال في قوله :—

حَتَّى إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَاخْتَلَطْ جَاءُوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطْ(٦)

---

(١) من الآية ٣٥ من سورة هود .

(٢) الكتاب جـ١ ص ٤٨٥ بولاق هامش الكتاب .

(٣) الآية ٢٨ من سورة الأعراف .

(٤) البرهان في علوم القرآن جـ٢ ص ٣٤٨ .

(٥) " الخاطريات " كتاب لأبي الفتح عثمان بن جني يذكر بقوله " ما أحضرنيه الخاطر من المسائل المنثورة مما أملته أو حصل في آخر تعاليقي عن نفسي وغير ذلك مما هذه حالته وصورته . انظر مقدمة كتاب الخصائص ص٦٤ للاستاذ النجار وانظر البرهان في علوم القرآن جـ٢ ص ٣٣١ الهامش أسفل الصفحة .

(٦) جاء في الخاطريات وابن عقيل جـ٢ ص١٩٩ وابن يعيش جـ٣ ص ٥٣ وأوضح المسالك جـ٣ ص ٣١٠ وقيل هو للعجاج بن رؤبه وقيل لآخر . جنّ الظلام : ستر كل شيء والمراد أقبل . اختلط : كناية عن انتشاره واتساعه . مذق : هو اللبن الممزوج بالماء شبهه بالذئب لاتفاق لونهما لأن فيه غبرة وكدرة . يصف الشاعر قوما بالشح والبخل نزل بهم ضيفا فانتظروا عليه طويلا حتى أقبل الليل بظلامه ، ثم جاءوا بلبن مخلوط بالماء يشبه الذئب في لونه وكدرته وغبرته .

وهل لا تقع تقريرا كما يقع غيرها مما هو للاستفهام .

وقال الكندى (ت ٦١٣ هـ) وهو التاج ابو اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندى النحوى[١] : " ذهب كثير من العلماء فى قوله تعالى : " هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ "[٢] الى أن هل تشارك الهمزة فى معنى التقرير والتوبيخ إلا أنى رأيت ١ باعلى أبى ذلك ، وهو معذور فإن ذلك من قبيل الانكار . ونقل الشيخ أبو حيان عن سيبويه أن استفهام التقرير لا يكون بهل إنما استعمل فيه الهمزة . ثم نقل عن بعضهم أن (هَلْ) تأتى تقريرا فى قوله تعالى : "هَلْ فِى ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ "[٣]))[٤]

وابن جنى يتفق مع سيبويه فى أن (هَلْ) لا تكون للتقرير أو التوبيخ ولكن ما نقله الشيخ أبو حيان عن بعضهم أن (هَلْ) تأتى تقريرا مستشهدا بالآية الخامسة من سورة الفجر قد أيده البعض ،قال أبو السعود (ت ٩٥١هـ) : "هَلْ فِى ذَلِكَ قَسَمٌ " تحقيق وتقرير لفخامة شأن المقسم بها وكونها أمورا جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال[٥] . ويقول فى تجريد البيان : " هل فى ذلك قسم لذى حجر " أى هل فيما ذكر من الأشياء قسم مقنع لذى لُبّ وعقل ؟ والاستفهام تقريرى لفخامة شأن الامور المقسم بها كانه يقول : ان هذا القسم عظيم عند ذى العقول والالباب "[٦] .

---

(١) انظر بغية الوعاه ص ٢٤٩ لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى الشافعى (ت ٩١١ هـ) دار النشر ، دار المعرفة . بيروت — لبنان —

(٢) الآية ٧٦ من سورة الشعراء .

(٣) الآية ٥ من سورة الفجر .

(٤) البرهان فى علوم القرآن جـ٢ ص ٣٣١ — ٣٣٢ .

(٥) تفسير أبى السعود (تسعة أجزاء) جـ٩ ص ١٥٣ . وهو محمد بن محمد العمادى (أبى السعود) ، دار إحياء التراث العربى — بيروت — لبنان .

(٦) تجريد البيان لتفسير القرآن من صفوة التفاسير . المجلد الثانى ص ٨٦٩ . جرده وعنى بطبعه خادم العلم الشيخ عبد الله بن ابراهيم الأنصارى .

وقد ذهب بعض البلاغيين والباحثين ، على أن (هَلْ) تأتي للتقرير مستدلين بآيات من القرآن الكريم ، والقرآن حجة تقطع قول كل جهباذ (١) ، وبذلك ينقضون حجة سيبويه ومؤيديه .

ويقول محمود صافي : أما قوله تعالى : " هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (هَلْ) حرف استفهام للتحقيق والتقرير " (٢) . وهو أيضا حجة على سيبويه .

---

(١) الجهباذ : النقاد الخبير بغوامض الأمور . المعجم الوسيط جـ١ ص ١٤١

(٢) الجدول في إعراب القرآن وصرفه . المجلد الثالث عشر ص ٢٧٠ ط الأولى سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م . دار الرشيد . دمشق — بيروت .

خروج الاستفهام عن أصل معناه :—

ويقول سيبويه فى " باب ماجرى من الأسماء التى لم توخذ من الفعل مجرى الأسماء التى أخذت من الفعل " وذلك قولك : أتميميا مرة وقيسيا أخرى ؟ كأنك قلت : أتحول تميميا مرة وقيسيا أخرى . فأنت فى هذه الحال تعمل فى تثبيت هذا له ، وهو عندك فى تلك الحال فى تلون وتنقل ، وليس يسأله مسترشدا عن أمر هو جاهل به ليفهمه إياه ويخبره عنه ولكنه وبخه بذلك .. ومثل ذلك قول الشاعر (١) :—

أَفِى التِّيلَمِ أَعْيَارًا جفاءً وَغِلْظَةً وَفِى الحَرْبِ أَشْبَاهُ الإِمَاءِ العَوَارِكِ

أى تنقلون وتلونون مرة كذا ومرة كذا . وقال الآخر (٢) :—

أَفِى الوَلَائِمِ أَوْلَادًا لِوَاحِدَةٍ وَفِى العِيَادَةِ أَوْلَادًا لِعَلَّاتِ

وقال الشاعر (٣) :

أَعَبْدًا حَلَّ فِى شُعَبِى غَرِيبًا أَلُؤْمَ لَا أَبَالَكَ واغْتِرَابَا

على النداء ، وعلى أنه رآه فى حال افتخار واجتراء ، فقال : أعبدا ، أى أتفتخر عبدا ، كما قال : أتميميا مرة وقيسيا أخرى . فلم ترد أن تخبر القوم بأمر قد جهلوه ولكنك أردت أن تشتمه بذلك (٤) " .

---

(١) هو هند بنت عتبة ، كما جاء فى المجلد الثانى فى السيرة النبوية لابن هشام ص ٣١١ والعينى جـ٣ ص ١٤٢ والخزانة جـ١ ص ٥٥٦ ولسان العرب مادة (عير ، عرك) وذلك قبل أن تسلم يوم الفتح : والأعيار : الحمار أهليا أم وحشيا ، والحمار ما يضرب به المثل فى الجهل والبلادة . والجفاء : الغلظة والفظاظة . اشباه : أمثال . العوارك : الحيض ، يقال : عركت المرأة اذا حاضت .

(٢) لم اعرف قائله ، أولاد العلات : الذين أمهاتهم شتى وأبوهم واحد . والشاعر يهجوهم بالشراسة وخسة النفس ، تقول : أتصيرون بمنزلة أولاد الأم الواحدة حيث تشهدون الولائم وتكونون بمثابة أولاد العلات فى عيادة المرضى .

(٣) هو جرير انظر ديوانه ص٦٢ والخزانة جـ١ ص ٣٠٨ ومعجم البلدان (شعبى) يعير

الاستفهام حقيقة ،طلب معرفة شيء مجهول ، ليصير معلوما لدى السائل . ونلحظ هنا أنه خرج عن المعنى المتقدم الى شيء جديد ، فحين قال : أتميميا مرة وقيسيا أخرى يعني أنه يتنقل ويتلون ويتحول بين كونه مرة من تميم ومرة من قيس والسائل يعرف من أين هو ؟ ولا يريد أن يرشد الى أمر مجهول حين يعرفه لأن السائل يعرف حقيقته ، وانما يريد أن يوبخه وبذلك الاستفهام لغرض بلاغي هو التوبيخ . وفي قول الشاعر : أعبداً حل في شعبى . لم يكن الاستفهام عن أمر مجهول يراد معرفته ، ولكنه رآه في حال افتخار ، فقال : أعبداً لأن العبد حقير وليس من شأن الحقير أن يفخر كما قال : تميما قد علم الله مرة وقيسيا أخرى ، فلم ترد أن تخبر القوم بأمر يجهلونه ، ولكنك أردت أن تشتمه وتحقره وتضع من مكانته فخرج الاستفهام الى معنى بلاغيا جديدا وهو التحقير .

يقول سيبويه : " إنك تقول سبحان الله من هو ؟ وما هو ؟ فهذا استفهام فيه معنى التعجب ولو كان خبرا لم يجز ذلك لأنه لا يجوز في الخبر أن تقول : " من هو ، وسكت "(١) . وهذا معناه أن الاستفهام قد خرج عن معناه الأصلي ليؤدي معنى التعجب ، الذي هو شعور داخلي تنفعل به النفس حين تستعظم أمرا نادرا ، أَوْلاَ مَثِيلَ لَهُ ، مجهول الحقيقة أو خفي السبب .

ويقول في " هذا باب أم منقطعة " . فجاء هذا الكلام على كلام العرب قد علم تبارك وتعالى ذلك من قولهم ، ولكن هذا على كلام العرب ليعرفوا — ضلا لتهم . ومثل ذلك قوله تعالى :— " أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ "(٢) فقد علم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون : أن الله عز وجل لن يتخذ ولدا ، لكنه جاء على حرف الاستفهام ليبصّرهم ضلا لتهم . الا ترى أن الرجل يقول للرجل

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٣٠٢ . بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ص١٨١ .

٣ لسعادةُ أحبُّ إليك أم الشقاءُ ؟ وقد علم أن السعادة أحبّ اليه من الشقاء وأن المسؤول يقول : السعادة ، ولكنه أراد أن يضرّ صاحبه وان يعلمه وهذه (١) اضافة جديدة لسيبويه بأن الاستفهام يخرج عن أصله ويستعمل لغرض بلاغي وهو التنبيه ليعرفوا هؤلاء العرب ضلالتهم. وقد ساق سيبويه عدة آيات من القرآن الكريم ليبرهن بها على تنوع هذا الأسلوب البلاغي ، وكذلك جاء بأمثلة من أشعار العرب ونثرهم. وقد يستعمل الاستفهام للتقرير عند سيبويه الذي هو الاقرار بالأمر الذي استقر عنده نفيه أو ثبوته.

وقد ذكر المبرد (ت ٢٨٥هـ) . أمثلة الاستفهام بنصها من سيبويه في كتابه (المقتضب) ولم ينسب الى سيبويه منها شيئا . ولكن محقق الكتاب " محمد عبد الخالق عضيمة " قد أشار الى ذلك في هامش المقتضب (٢) " . وقال سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ) : " ثم أن هذه الكلمات الاستفهامية كثيرا ما تستعمل في غير الاستفهام مما يناسب المقام بمعونة القرائن . وتحقيق كيفية هذا المجاز ، وبيان أنه من أيّ نوع من أنواعه مما لم يحم أحد حوله — كالاستبطاء والتعجب والتقرير (٣) " . ويبدو أن التفتازاني لم يقرأ كتاب سيبويه ولو قرأ الكتاب لعلم أن أحداً حام حول خروج الإستفهام عن معناه لتلك الأغراض ، البلاغية التي ذكرها قبل ستة قرون من الزمان سبقته .

ويقول بهاء الدين السبكي (ت ٧٣٣هـ) : " ان مجيء لو بمعنى التمني مذهب سيبويه كقوله تعالى : " فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤) " . فسيبويه كان صاحب منهج وعلى دراية بما قدمنا .

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٤٨٤ بولاق . عبد السلام جـ٣ ص ١٧٣ .
(٢) المقتضب جـ٣ ص ٢٦٤ .
(٣) المطول ص ٣٢٥ .
(٤) الآية ١٠٢ من سورة الشعراء . انظر عروس الأفراح جـ٢ ص ٢٤٢ ضمن التلخيص

خروج النداء عن أصله الى غرض بلاغى :—

ويقول فى " هذا باب الحروف التى ينبه بها المدعو " فأما الاسم غير المندوب فينبه بخمسة أشياء : بِيَا وأَيَا وَهَيَا وَأَيْ وبالالف، نحو قولك : أَحَارِ ابن عمرو . إِلاّ أَنّ الأربعة غير الألف قد يستعملونها اذا أرادوا أن يمدوا — أصواتهم للشىء المتراخى عنهم وللانسان المعرض عنهم ، الذى يرون أنه لا يقبل عليهم إلا باجتهاد ، أو النائم المستثقل . وقد تستعملون هذه التى للمد فى موضع الألف ولا يستعملون الألف فى هذه المواضع التى يمدون فيها . وقد يجوز لك أن تستعمل هذه الخمسة إذا كان صاحبك قريبا منك ، مقبلا عليك توكيدا (١) " . المنادى هو المطلوب إقباله بأحد حروف النداء . فإذا كانت الهمزة فينادى بها القريب ، أما الأربعة الأخرى (يَا أَيَا ، هَيَا ، أَيْ) فيستعملونها إذا أرادوا أن يمدوا أصواتهم للبعيد فإنّ مد الصوت فيه مهلة وفسحة فى الوقت ، حتى يقبل المدعو أو النائم المستثقل ، بعد أن يطرق سمعه النداء والعرب قد تستخدم هذه الأحرف الأربعة التى تكون للبعيد للقريب بدل الهمزة وجوز سيبويه استخدامها لنداء القريب لسبب بلاغي وهو التوكيد ، وسماها حروف التنبيه ، ولعل فى هذه التسمية مطابقة للمعنى اللغوى .

ويقول : " هذا باب ما يكون النداء فيه مضافا الى المنادى بحرف الإضافة " وذلك فى الاستغاثة والتعجب ، وذلك الحرف اللام المفتوحة ، وذلك قول الشاعر وهو مهلهل (٢) :

يَا لَبَكْرٍ أَنْشِرُوا لِى كُلَيْبًا يَا لَبَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ الفِرَارُ

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٣٢٥ بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ص ٢٣٠

(٢) فى سيبويه جـ١ ص ٣١٨ والخصائص جـ٣ ص ٢٢٩ والخزانة جـ١ ص ٣٠٠ حديث البسوس ص ٥٢ . يستغيث ببنى بكر بن وائل ، والمستغاث به فى الحقيقة هنا مستغاث من أجله : يقول : أدعوكم لأنفسكم مطالبا لكم فى انتار كليب واحيائه يتوعدهم — بذلك وكانوا قتلوا أخاه كليبا فى أمر البسوس وهى خالة جساس بن مرة الشيبانى وكان

فاستغاث بهم لينشروا له كليبا . وهذا منه وعيد وتهدد ، وأما قوله " يا لبكر أين أين الفرار " فانما استغاث بهم لهم ، أى لم تفرون ؟ استطالة عليهم ووعيدا وأما فى التعجب فقوله ، وهو فرار الأسدى (١) :

لَخُطَّابُ لَيْلَى يَالَبُرْثُنَ مِنْكُمُ أَذَلُّ وَأَمْضَى مِنْ سُلَيْكِ المَقَانِبِ .

وقالوا : ياللعجب ويا للفليقة كأنهم رأوا أمرا عجبا فقالوا : يا لبرثن أى مثلكم دعى للعظائم ، وقالوا : يا للعجب ويا للماء ، لما رأوا عجبا أو رأوا ماء كثيرا كأنه يقول : تعال يا عجب أو تعال يا ماء فانه من أيامك وزمانك ، ومثل ذلك قولهم : يا للدواهى ، أَيْ تَعَالَيْنَ فإنّه لا يُسْتَنْكَرُ لَكُنّ لأنّه مِن إِبَانكنّ . وكل هذا فى معنى التعجب والاستغاثة " (٢) . وَأَبُ سيبويه السبق فى كثير من مسائل العلم فهو يتحدث عن خروج النداء عن أصله الى أغراض بلاغية منها الوعيد والتهديد بالبطش والاستطالة التى هى الفخر ، والتنكيل لما ينتظرهم وجاء ذلك فى اسلوب الاستغاثة . وجاء فى التعجب فى قول الشاعر لخطاب ليلى يالبرثن منكم فكأنه رأى أمرا عظيما ، فقال : يا قبيلة " برثن " مثلكم دعى للامور العظيمة لا لمثل ما قمتم به وهو يتعجب من فعلهم ولا يستغيث بهم . ويقول فى : " هذا باب ما لا يجوز أن يندب " أنّه لا يستقبح وَامَنْ حَفَرَ بِئْرَ زَمْزَمَاه ، لأنّ هذا معروف ، بعينه وكأن التبيين فى الندبة عذر للتفجع . فعلى هذا جرت الندبة فى كلام العرب . وأن المندوب مدعو ولكنه متفجع عليه (٣) " . فقد استعمل النداء هنا

---

(١) جاء فى سيبويه جـ١ ص ٢١٩ وابن يعيش جـ١ ص ١٣١ . ليلى : امرأته . وكانت برثن قد داخلوا امرأته وأفسدوها عليه فقال هذا متعجبا من فعلهم وجعلهم فى الاهتداء الى افسادها لا نتزاعها منه ، أهدى من سليك بن السلكة وهو احد عدائى العرب وصعاليكهم وكان يسمى أيضا (سليك المقانب) والمقنب : الجماعة من الخيل . وبعد هذا البيت قوله :—

تزورونها ولا أزور نساءكم ألهفى لأولاد الاماء الحواطب

وقد فتح لام المستغاث به وان كان بمعنى المتعجب منه . الأعلم الشنتمرى جـ١ ص ٢١٨ اسفل الصفحة .

(٢) الكتاب جـ١ ص ٢١٩ — ٢٢٠ . بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ص ٢١٨ .

(٣) الكتاب جـ١ ص ٣٢١ — ٣٢٤ بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ص ٢٢٠ — ٢٢٨

لأن المتفجع عليه معروف وليس منكرا ، وقد حضرها عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم — بعد اسماعيل عليه السلام . وقال أبو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) : " الندبة تفجع ونوح من حزن وغم يلحق الناد ب على المند و ب عند فقده ، فيدعوه وان كان يعلم أنه لا يجيب لا زالة الشدة التي لحقته لفقده كما يدعو المستغاث به لازالة الشدة التي قد رهقته . ولما كان المندوب ليس ، بحيث يسمع احتيج الى غاية بعد الصوت فألزموا أوله يَا أَو ، وَا ، وآخره الألف في الأكثر من الكلام لأنّ الألف أبعد للصوت وأمكن للمد "(١) . ويقول أبو بشر: " إنما كرهوا أنه تفاحش عندهم أن يختلطوا(٢) وأن يتفجعوا على غير معروف فكذلك تفاحش عندهم في المبهم لإبهامه . لأنّك إذا ندبت تخبر أنك قد وقعت في عظيم وأصابك جسيم من الأمر فلا ينبغي لك أن تبهم "(٣) . وقد درج العرب على أن يكون المتفجع عليه معلوما كما قدمناه ، أما اذا كان مبهما فهذا أمر يدعو الى الغرابة عندهم ، لأنّك إذا ندبت تخبر أنك وقعت في عظيم ، وأصابك ما ينبغي أن تفصح عنه .

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٣٢١ الهامش بشرح أبي سعيد .
(٢) الكتاب على عبد السلام محمد هارون جـ٢ ص ٢٢٧ ، الهامش .
(٣) الكتاب جـ١ ص ٣٢٤ بولاق . عبد السلام جـ٢ ص ٢٢٧ .

اخـراج الكـلام على خـلاف مقتضى الظاهـر :ـ

ويقول " هذا باب الأمر والنهى " زيداً قَطَعَ اللّهُ يَدَهُ ، وزيداً أَمَرَ اللّه عَلَيْهِ العَيْشَ لأنّ معناه ، معنى زيداً ليقطع الله يده .

وقال أبو الأسود الدُّؤَلى (١) :ـ

أَمِيرَانِ كَانَا آخَيَا نِى كِلَاهُما فَكُلاًّ جزاه اللّهُ عَنِّى بما فَعَلْ (٢)

ويقول : " كما أن قولك : رحمة الله عليه ، فيه معنى الدعاء ، كأنه قال : رحمه الله " (٣) .

جاء سيبويه باستخدام كثير من الأساليب البلاغية التى عدها فيما بعد علماء البلاغة بأنها من موضوعات علم المعانى . وفى " زيداً قَطَعَ اللّه يده وأمر عليه العيش " تجد الأسلوب خبريا ولكن المعنى غير ذلك ، بل هو طَلَبٌ لأنه دعاء فجاء الخبر فى مكان الانشاء . وكذلك (رحمة الله) فى معنى الدعاء . وهذا ما اطلق عليه البلاغيون المتأخرون ، خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر . والكتاب فيه كثير من هذه الأساليب كالقلب ووضع الظهر موضع المضمر وعكسه ، وغير ذلك مما يتجاوز معناه الى معنى آخر . ويقول السكاكى ، (ت ٦٢٦ هـ) : واعلم أن الطلب كثيرا ما يخرج لا على مقتضى الظاهر وكذلك الخبر فيذكر أحدهما فى موضع الآخر ، ولا يصار الى ذلك إلا لتوخى نكت قلما يتفطن لها من لا يرجع الى دربه فى نوعنا هذا ولا يعض فيه بضرس قاطع والكلام ذلك متى صادف متممات البلاغة افتر لك عن السحر الحلال . والجهات لاستعمال الخبر فى موضع الطلب تكثر تارة تكون لقصد التفاؤل بالوقوع كما إذا قيل لك فى مقام الدعاء أعذك الله من الشبهة ، ووفقك للتقوى ليتفاءل

---

(١) لم أجده فى ديوان أبى الأسود الدؤلى ولا فى ملحقاته ديوانه . ذكر أميرين من أمراء قريش آخياه وأحسنا اليه فدعاهما بحسن الجزاء . فجاء اللفظ خبرا والمعنى دعاء " طلب " .

بلفظ الماضى على عدها من الأمور الحاصلة التى حقها الاخبار عنها بأفعال ماضية . ومن هذا القبيل قول : كل من يقول من البلغاء فى الدعاء : رحمه الله أو يرحمه الله . والأمر فى باب التعجب من نحو : اكرم بزيد ، على قول من يقول : إنه بمعنى الخبر آخذا همزة من قبيل : ذى كذا ، جاعلا الباء زائدة . مثلها فى (وَكَفَى بِاللَّهِ)(١) منخرط فى هذا السلك . ولهذا النوع أعنى اخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر أساليب متفننة إذ ما من مقتضى كلام ظاهرى إلا ولهذا النوع مدخل فيه بجهة من جهات البلاغة . ولكل من تلك الأساليب عرق فى البلاغة يتشرب من أفانين سحرها"(٢) .

وهذا أبو يوسف شيخ البلاغيين ، يسير على منوال سيبويه ، ويؤكد أن الطلب كثيرا ما يخرج لا على مقتضى الظاهر وكذلك الخبر وأن أحدهما يأتى فى موضع الآخر ، لغرض بلاغى ، ولن يدرك ذلك إلا من تمرس فى هذا الفن وله دربة فى علم المعانى . ولا خراج الكلام لا على مقتضى الظاهر ، أساليب متفننة لها عرق فى البلاغة يتشرب من أفانين سحرها وأبداعها وجمالها .

---

(١) الآية ٦ من سورة النساء .

(٢) مفتاح العلوم ص ٣٢٧ . دار الكتب العلمية — بيروت — لبنان .

القصر وأدواته :—

ويقول فى باب النعت : " ومنه : مررت برجل راكع لا ساجد ، لاخراج الشك أو لتأكيد العلم فيهما "(١) .

هذا اسلوب يخاطب به المتردد بين شيئين . فالمخاطب متردد بين وصف الرجل بالركوع أو السجود ، وسمي قصر تعيين عند المتأخرين لتعيين ما هو غير معين عند المخاطب . أما إذا أراد أن يؤكد أن الرجل متصف بالركوع فيكون قصر قلب ، وهو ما يخاطب به من يعتقد عكس الحكم الذى أثبته المتكلم . وواضح أن الاداة فى القصر (لا) العاطفة . والمقصور عليه فى العطف (بلا) هو المقابل لما بعدها .

ويقول : ومنه أيضا : مررتُ برجل صالح بل طالح ، وما مررت برجل كريم بل لئيم ، أبدلت الصفة الآخرة من الصفة الأولى وأشركت بينهما بل فى الاجراء على المنعوت . وكذلك : مررت برجل صالح بل طالح ، ولكنه يجيء على النسيان أو الغلط فيتدارك كلامه لأنه ابتدأ بواجب . ومثله : ما مررت برجل صالح لكن طالح ، أبدلت الآخر من الأول فجرى مجراه فى بل "(٢) .

وقصر الافراد يخاطب به من يعتقد الاشتراك فى الصفة ، والقلب ، يخاطب به من يعتقد العكس . والتعيين يخاطب به من يشك أو يتردد وقد أورد سيبويه من أدوات القصر هنا بل ولكن وقبلهما (لا) العاطفة .

ويقول فى باب " هذا باب ما يكون استثناءً بإلاّ " : فاما الوجه الذى يكون فيه الاسم بمنزلته قبل أن تلحق الا فهو أن تدخل الاسم فى شيء تنفى عنه ما سواه ، وذلك قوله : ما أتانى الا زيد وما لقيت الا زيدا ، وما مررت الا بزيد

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٢١٣ بولاق . عبد السلام جـ١ ص ٤٣٠ .
(٢) الكتاب جـ١ ص ٢١٦ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٤١٥ .

تجرى الاسم مجراه اذا قلت ما أتانى زيد .. ولكنك أدخلت الا لتوجب الافعال لهذه الاسماء ولتنفى ما سواها فصارت هذه الاسماء مستثناة "(١) .

واذا نظرنا الى الأمثلة المتقدمة فهى أسلوب قصر فى عرف البلاغيين لأن القصر عندهم ، هو تخصيص شيء بشيء أو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوصة وفائدته الايجاز وتمكين الكلام وتقريره فى الذهن ، وينفى عن الفكر كل انكسار وشك ، واذا أردنا أن نطبق تعريف القصر عند البلاغيين قلنا : " ما لقيت الا زيدا " فالشيء الأول — اللقيا — المقصور ، والشيء الثانى — زيدا — المقصور عليه . فأفاد هذا التعبير تخصيص شيء هو (اللقيا) بشيء هو (زيداً) ، باحدى طرق القصر هى (النفى والاستثناء) . فَمَا قَبْلَ (إِلاّ) مُخَصَّصٌ بما بعدها ونفى ما سوى ذلك . وهذه هى الأداة الرابعة التى ذكرها سيبويه بأنها تفيد القصر بعد لا ويل ولكن . ولم يذكر إنّما وكذلك التقديم وضمير الفصل ، على أنها من أدوات القصر .

قال الامام عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١ هـ) فى باب القصر والاختصاص — " عود الى مباحث إنما : " فقلت إنّها تجيء للخبر ولا يجهله السامع ولا ينكر صحته أو لما تنزل هذه المنزلة . وأما ما ذكرت من أنها تجيء فى الكتب لدلالة المتعلم على مالم يعلمه فانك إذا تأملت مواقعها وجدتها فى الأمر الأكثر قد جاءت لأمر وقع العلم بموجبه وشيء يدل عليه : مثال ذلك أن صاحب الكتاب قال فى باب كان : " إذا قلت: كان زيد : فقد ابتدأت بما هو معروف عنده ، مثله عندك ، وانما ينتظر الخبر فاذا قلت : حليما : فقد أعلمته ماعلمت واذا قلت : كان حليما : فانما ينتظر أن تعرفه صاحب الصفة "(٢) . وذلك انه اذا كان معلوما أنه لا يكون مبتدأ من غير خبر ولا خبر من غير مبتدأ كان معلوما أنك

---

(١) الكتاب جـ ١ ص ٢١٦ بولاق . عبد السلام هارون جـ ١ ص ٤١٥ .

اذا قلت : كان زيد : فالمخاطب ينتظر الخبر واذا قلت : كان حليما : أنه ينظر الاسم ، فلم يقع اذا بعد (إنما) إلّا شيء كان معلوما للسامع من قبل أن ينتهي اليه "[1] .

ان حديث عبد القاهر في مباحث انما بأنها تدور في الكتب للكشف عن معان غير معلومة ، ودلالة المتكلم منها على مالا يعلم ، وأنها إنما تجيء في الكلام للخبر الذي لا يجهله المخاطب ولا ينكر صحته . إنما استشف ذلك من كلام سيبويه في باب (كان) من أن المتكلم يبدأ بالمعلوم عند السامع وان كان ينتظر الخبر . فالأمر كذلك في (إنّما) عنده لأنها لا يقع بعدها إلا شيء كان معلوما للسامع من قبل أن ينتهي اليه .

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٢٧٠ . دار المعرفة . بيروت - لبنان .

من خروج الكلام على غير مقتضى الظاهر :—
وضع المفرد موضع الجمع

قال ابو بشر : " ومما جاء فى الشعر على لفظ الواحد يراد به الجميع :

كُلُوا فِى بَعْضِ بَطْنِكُمُ تَعِفُّوا فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ خَمِيصُ (١)

ومثل ذلك فى الكلام قوله تبارك وتعالى :— " فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا " (٢)

وَقَرِرْنَا بِهِ عَيْنًا ، إن شئت قلت : أَعْيُنًا وَأَنْفُسًا " . وليس بمستنكر فى كلامهم أن يكون اللفظ واحدا والمعنى جميع حين قال بعضهم فى الشعر ، من ذلك ما قاله عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ (٣) :—

بِهَا جِيَفُ الحَصْرَى فَأَمَّا عِظَامُهَا فَبِيضٌ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ (٤)

وقال آخر :— (٥)

لَا تُنْكِرُوا القَتْلَ وَقَدْ سَبَيْنَا فِى حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا

---

(١) ورد البيت فى سيبويه جا ص ١٠٨ وفى الخزانة جـ٣ ص ٣٣٩ وفى ابن يعيش جـ٦ ص ٢١ — ٢٢ والمقتضب جـ٢ ص ١٧٢ وأمالى ابن الشجرى جـ١ ص ٣١١ وجـ٢ ص ٢٥ — ٣٨ ، ٣٤٢ والهمع جـ١ ص ٥٠ وابن السيرافى ص ٢٦٧ واسرار العربية ص ٢٢٣ — ومعانى القرآن جـ٢ ص ١٠٢ والمحتسب جـ٢ ص ٨٧ وشرح الكافية جـ٢ ص ١٧٧ . وفى جميع ذلك ورد الشاهد بلا نسبة . يقال أكل فى بعض بطنه اذا كان دون الشبع وأكل فى بطنه : اذا امتلأ وشبع . والخميص : الجائع أى زمان جدب ومخمصة .

(٢) الآية ٤ من سورة النساء .

(٣) جاء فى ديوان علقمة الفحل ص ١٣٢ والمفضليات للضبى ص ٣٨٤ وسيبويه جا ص ١٠٧ . الحصرى : جمع حصير وهى المعيبة ، يتركها أصحابها فتمرت . وابيضت عظامها لما أكلت السباع والطير ما عليها من لحم ، فبدت وصارت بيضا . صليب : يابس لم يدبغ . يصف أرضا فلاة قطعها الى المدوح .

(٤) هو المسيب بن زيد مناة الغنوى كما فى النقائض والسان مادة (شجا) وقد ورد فى اللسان وابن يعيش جـ٦ ص ٢٢ وهوامش شرح الحماسة للمرزوقى ص ١٩٦ نقلا عن التنبيه لابن جنى (لاتنكر القتل) والصواب ما اثبت من هذه المراجع المتقدمة . يقول : لاتنكروا ، قتلناكم وقد سبيتم منا خلقا ، فقد شجيتم بقتلنا لكم ، كما شجينا نحن من قبل بمن سبيتم منا . فهذا بذاك . يقال شجى بالعظم اذا

ويقول : " فان أضفت فقلت : هذا أول رجل ، وأن يلفظ بواحد وهو يريد الجمع ، وذلك لأنه أراد أن يقول : أول الرجال ، فحذف استخفافا واختصارا ، كما قالوا : كل رجل يريدون كل الرجال . فكما استخفوا بحذف الألف واللام استخفوا بترك بناء الجميع واستغنوا عن الألف واللام وعن قولهم " خير الرجال وأول الرجال " . من الأساليب العربية التى جاءت لأغراض بلاغية فى كلام العرب والقرآن الكريم ، الذى جاء بلسان عربى مبين . وهو قمة البلاغة والفصاحة والاعجاز ، وضع المفرد موضع الجمع أو العدول عن الجمع الى المفرد فجاء فى أشعار العرب ، ففى البيت الأول استعمل كلمة (بطن) ، المفردة ، بمعنى الجمع أيْ بعض بطونكم . وفى الآية وما قدره سيبويه بقوله وان شئت قلت : أعينا بدل عينا وأنفسا بدل نفسا . وفى بيت علقمة أن (جلدها) مفرد أريد به الجمع أيْ جلودها . وفى بيت المسيب بن زيد استعمل (حلقكم) مفردا مرادا به الحلوق ، وذكر سيبويه السرّ البلاغى بقوله : " ان العرب تلفظ بواحد وتريد الجمع ، استخفافا واختصارا .

(٢)

وقال سيبويه : " ومما جاء فى الشعر ، قول قيس بن الخطيم :

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا ... عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفُ

(٣)

وقال ابن أحمر :

رَمَانِى بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِى ... بَرِيئًا وَمِنْ أَجْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِى

فوضع فى موضع الخبر لفظ الواحد لأنه قد علم أن المخاطب سيستدل به على أن

---

(١) الكتاب جـ١ ص ١٠٤ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٢٠٣ .

(٢) ملحقات ديوان قيس بن الخطيم ص ١٧٣ والصواب نسبته الى عمرو بن امرىء القيس كما فى الخزانة جـ٢ ص ١٩٣ وجمهرة اشعار العرب ص ١٣٧ فى قصيدة له ونسب الى درهم بن زيد الانصارى فى الانصاف ص ٦٥ وفى أمالى ابن الشجرى ورد غير منسوب جـ١ ص ٢٩٦ و ٢١٠ وفى سيبويه جـ١ ص ٣٨ منسوبا الى قيس بن الخطيم .

(٣) هو عمرو بن أحمر بن العمرد (الباهلى) ورد فى سيبويه جـ١ ص ٣٨ وشواهد المغنى ص ٢٩٣ وشرح المرزوقى للحماسة ص ٩٣٦ واللسان (قير) والخزانة جـ٤ ص ٣٢٣ وصف فى البيت رجلا كانت بينه وبينه مشاجرة فى بئر وهو الطوى فذكر أنه رماه بأمر يكرهه

الآخرين فى هذه الصفة "[1] .

وقد أراد ابن الخطيم نحن لما عندنا راضون وابن أحمر أراد كنت منه بريئاً ووالدى بريئاً . والذى دعاه لذلك أن المخاطب يعلم أن الآخرين يشاركونه الصفة ثم التخفيف والاختصار .

ويقول ابو عبيدة (و ١١٢ هـ ت ٢١٠ هـ) : " والعرب تلفظ بلفظ الواحد والمعنى يقع على الجميع ومنه قول الشاعر :

كُلُوا فى بَعْضِ بطنكم تعفّوا فَإِن زمانكم زمن خميص[2] [3]

ويقول ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) : فى قوله تعالى : " ثُمَّ يُخْرِجكُمْ طِفْلًا " يقول : فحسن لفظ الواحد هنا ، لأنه تصغير بشأن الانسان وتحقير لأمره فلائق به ذكر الواحد لذلك لقلته عن الجماعة وهذا إذا سئل الناس عنه قالوا : وضع الواحد موضع الجمع اتساعا فى اللغة وأنسوا لحظ المعنى ومقابلة اللفظ لدلالته عليه وتنفسم بالشبه اليه "[4] . ويقول الرضى (ت ٦٨٦ هـ) : والعلة البلاغية فى وضع المفرد موضع الجمع ، هى أن المتكلم جعل الجمع كنفس واحدة لشدة تماسكها واتصالها وليست ذوات متعددة تنفصل احداها عن الأخرى فيحدث بينها التمايز والافتراق بل جعلهم كذات واحدة فى الاجتماع والترادف كقوله عليه الصلاة والسلام : — " المُؤْمِنُونَ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ "[5] . وقد جاء فى كتاب الله كثير وضع المفرد موضع الجمع قال تعالى : " والمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ "[6] أى ظهراء ، وقوله سبحانه " فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِى إِلَّا رَبَّ العَالَمِينَ "[7] أى أعداء وقوله تعالى : " هَؤُلَاءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ "[8] أى ضيوفى وقوله تعالى :— " وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا "[9] أى رفقاء .

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٣٨ بولاق . عبد السلام جـ١ ص ٧٥ .
(٢) مجاز القرآن جـ١ ص ١٣١ هو معمر بن المثنى اللغوى البصرى ابو عبيدة مولى بنى تميم من قريش من رهط أبى بكر الصديق — رضى الله عنه — انظر بغية الوعاة ص ٣٩٥
(٣) الآية ٥ من سورة الحج . (٤) المحتسب جـ٢ ص ٢٦٦ لابن جنى .
(٥) شرح الكافية جـ٢ ص ١٧٧ (٦) الآية ٤ من سورة التحريم .
(٧) الآية ٧٧ من سورة الشعراء (٨) الآية ٦٨ من سورة الحجر .

وضع المثنى موضع الجمع :—

ويقول سيبويه : " فى باب ما لفظ به مما هو مثنى كما لفظ بالجمع " وهو أن يكون الشيئان كل واحد منهما بعض شىء مفرد من صاحبه وذلك كقولك : ما أحسن رؤوسهما وأحسن عواليهما ، وقال عز وجل : " إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا "(١) وقال " وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا "(٢) . وقال الخليل نظيره قولك : فعلنا وأنتما اثنان فتكلم به كما تكلم به وانتم ثلاثة .

وقال عز وجل : " وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ، إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ "(٣) . وقال تعالى : " قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ "(٤) .

و قال هميان بن قحافة :(٥)

ظَهْرَاهُمَا مِثْلُ ظُهُورِ التُّرْسَيْنْ .: وَمَهْمَهَيْنْ قَذَفَيْنْ مرتين

وقال الفرزدق :(٦)

هما نفثا فِيَّ مِنْ فَمَوَيْهِمَا .: على النابح العاوِى أَشَدَّ رِجَامِ(٧)

بما فى فؤاد ينا من الشوق والهوى .: فَيُجْبَرُ مِنْهَا ضُ الفُؤَادِ المشَعَّفُ)

---

(١) الآية ٤ من سورة التحريم (٢) الآية ٣٨ من سورة المائدة .

(٣) الآيتين ٢١ و ٢٢ من سورة ص (٤) الآية ١٥ من سورة الشعراء .

(٥) وقيل هو خطام المجاشعى . وجاء فى الخزانة جـ٣ ص٣٧٤ وابن يعيش جـ٤ ، ص ١٥٥ ، وهمع الهوامع جـ٢ ص ١٢ وشواهد المغنى ص٣١٦ وشرح شواهد الشافية ص ٩٤ والأشمونى جـ٤ ص ٧٤ وسيبويه جـ١ ص ٢٤١ . والترس : بالضم ما يتقى به الضرب من السلاح .

(٦) ديوان الفرزدق ص ٧٧١ وسيبويه جـ٢ ص ٨٣ و ٢٠٢ والمقتضب جـ٣ ص١٥٨ ومجالس العلماء ص ٣٥٧ والخصائص جـ١ ص ١٧٠ وجـ٣ ١٤٧ و ٢١١ والمحتسب جـ٢ ص ٢٣٨ والخزانة جـ٢ ص ٢٦٩ وجـ٣ ص ٤٤٦ واللسان مادة (فوه) نفثا : أى ألقيا على لسانى . وأصل النفث بزق لا ريق معه . ويروى (تفلا) أى بصقا والنابح ، عنى به من يتعرض للسب والهجو من الشعراء . والرجام : المدافعة وأصله من المراجمة بمعنى المراماة بالحجارة .

(٧) الكتاب جـ٢ ص ٢٠١ — ٢٠٢ بولاق . عبد السلام جـ٣ ص ٦٢١ — ٦٢٢ .

نجد سيبويه قد جاء بأمثلة على ألسنة العرب ، يبرهن بها على أن ما لفظ به مما هو مثنى كما لفظ بالجمع فى قولهم : ما أحسن رءوسهما وأحسن عواليهما ولم تقل العرب ما أحسنا لأنهم فرقوا بين المثنى الذى هو شىء على حده وبين ذا . وكذلك فى الآية الكريمة " إِنْ تَتُوبَا " خطاب لعائشة وحفصة — رضى الله عنهما — على اسلوب الالتفات من الغيبة الى الخطاب ، وجاء بذلك ليكون — مقدمة لمواجهتهما بالتهديد . " فَقَدْ صَغَتْ " أَيْ مالت عن الواجب لمقام الرسول الاكرم . والمعنى إن تتوبا فقد انقذتما انفسكما من العذاب (قُلُوبُكُمَا) الأصل " قَلْبَاكُمَا " ولكن العرب تكره اجتماع تثنيتين فيما يشبه الكلمة الواحدة ، متى كان المراد واضحا . ولعل سيبويه يميل الى هذا السرّ البلاغى وان لم يذكره صراحة .

والآية الكريمة جاءت على السماع الكثير عند العرب وهى أدل فى الاستشهاد واقطع فى الدلالة على المراد فى قوله تعالى : " والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أيديهما " فقد استشهد سيبويه بالآيتين للتدليل على شىء واحد ، ورب قائل يقول : إنه كان موفقا فى الاستشهاد بالآية الأولى (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) أكثر من توفيقه فى الاستشهاد بآية (والسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) لأنّ الآية الأولى لا تحتمل التأويل ولكن الثانية تحتمل التأويل حيث يمكن القول بأن السارقين فيهما أربع من الأيدى والأربع جمع بلا شك بخلاف القلب فانه عضلة مفردة فى الانسان . ونجيب على هذا التساؤل بما يأتى :—

يمكن أن يقال ذلك لو أن المسألة لغوية بحتة ، ولكن لما كانت الآية الكريمة متعلقة بحكم شرعي وهو " قطع يد السارق عند السرقة أصبح واجبا علينا أن ننظر الى التعبير اللغوى ونتحرى الدقة فيه فى ضوء الحكم الشرعى أكثر من نظرتنا اليه من الناحية اللغوية الخالصة لأنّ اللغة تحتمل التأويل والتخريج على مَنَاحِلها من الشواهد اللغوية بخلاف الحكم الشرعي فإنه محدد صارم ولا سيما فى أحكام الحدود التى لا تحتمل الشبهة أو التأويل ، وقد جاءت الشريعة الاسلامية

الغراء ببيان ما يقطع من السارق فاقتصرت على قطع اليد الواحدة عند السرقة الأولى . ومن هنا يتبين لنا أن سيبويه كان موفقا — رحمه الله — غاية التوفيق فى الاستشهاد بالآيتين معا دون تفرقة بينهما لما أسلفناه . وسيبويه يستأنس لقول الخليل : " نظيره قولك (فَعَلْنَا) وأنتما اثنان فتكلم به كما تكلم به وأنتم ثلاثة " .

وقد قالت : العرب فى الشيئين اللذين كل واحد منهما اسم على حدة وليس واحد منهما ببعض شىء كما قالوا فى ذا لأن التثنية جمع فقالوا كما قالوا فعلنا . وزعم يونس أنهم يقولون ضع رحالهما وغلمانهما وإنما هما اثنان .

وفى قوله تعالى : " هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الخَصْمِ ... " ان لفظ " الخصم " يستعمل فى الواحد والأكثر ، والمراد هنا الطرفان المتخاصمان . وكان كل طرف أكثر من واحد بدليل قوله (تَسَوَّرُوا) . فجاء بواو الجماعة . وفى قوله تعالى : " هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا " . فقالوا المراد بالخصم هنا الفريق المتخاصم فهم جماعة على وجه التأكيد ولذلك جاء بعده بواو الجماعة فقال : (اختصموا) نظرا لمعنى الجمع الموجود فى كلمة الخصم .

" ويجوز لك أن تقول : " ضربت رؤوسهما " كما يجوز أن تقول : " ضربت رأسيهما " غير أن الأول أكثر والثانى أقيس وعلى القياس جاء قول رؤبة : " زعم يونس أن رؤبة كان يقول : ما أحسن رأسيهما "[1] .

وفى الآية الرابعة آية الشعراء يأتى الشاهد فى قوله : (فَاذْهَبَا) وفى قوله (مَعَكُم) . حيث جاءت ألف التثنية فى الفعل ، وكان المتوقع أن يقول : بعد ذلك (مَعَكُما) بالتثنية ، غير أنه عدل — جلت قدرته — عن المطابقة اللفظية الى سر بلاغى أهم وهو المطابقة المعنوية لما فى التثنية من معنى الجمع

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٢٤١ وجـ٢ ص ٢٠٢ بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ص ٦٢٢ .

وربما كان السرّ البلاغى الجميل هو اشعار الرسول بأنهما مثل الجماعة ففى اجتماعهما قوة لا تقل عن قوة الجماعة أو الجمع .

وهذه الآية الكريمة أقوى فى الاستشهاد من غيرها فالتثنية فيها واضحة صريحة وكذلك الجمع واضح بخلاف بعض الآيات التى تحتاج الى تأويل .

وأما قول الشاعر همهان بن قحافة :ـ

ظَهْرَاهُما مثلُ ظُهورِ التُّرْسَيْن ..الخ " وهو يصف فلاتين بعيدتين لا نبت فيهما وشبههما بالترسين فى الاستواء والامتلاس . كما ذكر السيوطى (١) وقد ثنى " ظهراهما " على الأصل والأكثر فى كلامهم الخروج عن الأصل الى الجمع كراهية لاجتماع تثنيتين فى اسم واحد لأن المضاف والمضاف اليه ككلمة واحدة ولذا قال فيما بعده " مثل ظهور الترسين " فجاء ظهور الجمع .

وفى بيت الفرزدق الأول نجد سيبويه قد تألق كعادته وكان فى غاية الاتزان والمنطق السليم حين قال : وأما (فم) فقد ذهب من أصله حرفان لأنه كان أصله (فموه) فابدلوا الميم مكان الواو ليشبه الاسماء المفردة من كلا مهم فهذه الميم بمنزلة العين ، نحو ميم (دم) ثبتت فى الاسم فى تصرفه فى الجر والنصب والاضافة والتثنية ، فمن ترك (دم) على حاله اذا أضاف ترك (فم) على حاله ، ومن رد الى (دم) اللام رد الى (فم) العين فجعلها مكان اللام كما جعلوا الميم مكان العين فى (فم) قال الفرزدق:

هما نفثا فى فىّ من فمويهما ... الخ . وقالوا : (فموان) فإنما تردّ فى الاضافة كما ترد فى التثنية وفى الجمع بالتاء ، وتبنى الاسم كما تثنى به الا أن الاضافة أقوى على الرد .(٢)

---

(١) همع الهوامع جـ٢ ص ٦٢ .

(٢) الكتاب جـ٢ ص ٨٣ بولاق . عبد السلام هارون جـ٣ ص ٣٦٦ .

وقد خرج سيبويه هذه اللغة العربية تخريجا علميا سليما وكذلك فعل شارح " الكتاب " أبو سعيد السيرافى . وفى بيت الفرزدق الثانى فقد جاء بكلمة " فؤادينا " مثنى على الأصل والمستعمل المطرد فيما كان من هذا النحو أن يخرج مثناه الى لفظ الجمع وهذه الأمثلة التى أشار اليها سيبويه فى الكتاب ، أصبحت من الاساليب البلاغية التى عنى بها علماء البلاغة العربية فى العصور التى تلته وتناقلها البلاغيون وتداولوها فى كتبهم حتى يومنا هذا . ولكن ما السرّ البلاغى يا ترى ؟ وقد أجاب على هذا التساؤل ابن جنى — رحمه الله — وان كان هذا اللّون من الأساليب كان معروفا عند سيبويه واستاذه الخليل ابن أحمد إلا أن السرّ البلاغى أول من وقف عليه ابن جنى على ما وقفت عليه من المراجع . ويبين ابن جنى ذلك مستعينا بتفسير الخليل " فيقول فى قوله تعالى : " فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ " (١) . لفظها لفظ التثنية ومعناها الجماعة أى أن كل اثنين فصاعدا من المسلمين اقتتلوا فاصلحوا بينهما . ألا ترى أن هذا حكم عام فى الجماعة وليس يختص به منهم اثنان مقصودان ، ففيه اذاً ، شيئان : أحدهما لفظ التثنية يراد به الجماعة والآخر لفظ الإضافة لمعنى الجنس وكلاهما قد جاء منه قولهم لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، فليس المراد هنا إجابتين ثنويتين ولا اسعادين اثنين ، بل معناه كلما كنت فى أمر فدعوتنى له أجبتك اليه وساعدتك عليه " (٢) . فالمراد بوضع المثنى موضع الجمع أن يتكرر الشىء مرة بعد مرة ، وفى ذلك من التأكيد ما لا نجده فى التعبير بالجمع دفعة واحدة .

---

(١) الآية ١٠ من سورة الحجرات .
(٢) المحتسب جـ٢ ص ٢٧٨ — ٢٧٩ .

وضع المظهر موضع المضمر :ـ

قال سيبويه لو قلت : ما زيد منطلقا أبو زيد ، لم يكن كقولك مازيد منطلقا أبوه ، لأنك قد استغنيت عن الاظهار ، فلما كان هذا كذلك أجرى مجرى الاجنبي واستؤنف على حياله ، حيث كان هذا ضعيفا فيه . قال سواد بن عدى :(١)

لَا أَرَى المَوْتَ يَسْبِقُ المَوتَ شَيْءٌ نَغَّصَ المَوْتُ ذَا الغِنَى والفَقِيرَا

فأعاد الاظهار .

وقال الفرزدق :(٢)

لَعَمْرُكَ مَا مَعْنٌ بِتَارِكِ حَقِّهِ وَلَا مُنْسِئٌ مَعْنٌ وَلَا مُتَيَسِّرُ (٣)

قال السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) معلقا وموضحا كلام سيبويه : " اعلم ان الاسم الظاهر متى احتيج الى تكريره في جملة واحدة كان الاختيار ذكر ضميره ، نحو زيد ضربت أباه ، وزيد مررت به . ويجوز اعادة لفظه بعينه في موضع كنايته ، أما اذا

---

(١) في شرح شواهد المغني للسيوطي ص ٢٩٦ لسواد بن عدى ، وفي سيبويه جـ١ ص ٣٠ وفي الخزانة جـ١ ص ١٨٣ . ويروى ايضا لأبيه عدى بن زيد في الأعلم الشنتمري ولامية بن ابي الصلت.

(٢) ديوان الفرزدق ص ٣٨٤ والخزانة جـ١ ص ١٨١ وأمالي القالي جـ٣ ص٧٢ وذكر القالي أن معنا هذا كان رجلا كلاّء بالبادية يبيع بالكالي ، أي بربا النسيئة وكان يضرب به المثل في شدة التقاضي . وخطأ صاحب الخزانة من اعتقد أن معن هذا هو معن بن زائدة الشيباني فان هذا متأخر عن زمن الفرزدق . مسيء : يؤخر المدين بدينه . متيسر : يتساهل مع مدينة .

(٣) الكتاب جـ١ ص ٣٠ ـ ٣١ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٦٢ ـ ٦٣ .

أعدت لفظة فى جملة أخرى فذلك جائز حسن ، نحو قوله تعالى : قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ، اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ (١) " ومن عادة الظاهر فى جملة واحدة قولك : ما زيد ذاهبا ولا محسنا زيد والمختار ولا محسنا هو بالضمير ، ولذلك كان رفع محسن أجود حتى تكون جملة أخرى (٢) " .

ويقول الأعلم الشنتمرى (٤١٠ — ٤٧٦ هـ) فى بيت سواد بن عدى ، معلقا وموضحا رأى سيبويه : استشهد به على اعادة الظاهر المضمر ، وفيه قبح اذا كان ، تكريره فى جملة واحدة لأنه يستغنى بعضها عن بعض كالبيت فلا يكاد يجوز إلا فى الضرورة كقولك : زيد ضربت زيدا فإن كانت إعادته فى جملتين حسن قولك زيد شتمته وزيد اهنته لأنه قد يمكن أن يسكت على الجملة الأولى ثم يستأنف الأخرى بعد ذكر رجل غير زيد ، فلو قيل زيد ضربته وهو أهنته لجاز أن يتوهم الضمير لغير زيد فاذا أعيد مظهرا أزال التوهم ومع اعادته مظهرا فى الجملة الواحدة كقولك : زيد ضربته ، لايتوهم الضمير لغيره لأن لا تقول : زيد ضربت عمرا والاظهار فى مثل هذا أحسن منه فى زيد ونحوه لأن الموت اسم جنس فاذا أعيد مظهرا لم يتوهم أنه اسم لشىء آخر كما يتوهم فى زيد ونحوه من الاسماء المشتركة ، فلذلك كان الإظهار فى هذا أمثل لأنه لا يشكل وصف أن الموت لا يفوته شىء ، ومعنى يسبق يفوت والتنقيص تنكيد العيش وتكديره ، وفى بيت الفرزدق يقول : استشهد به على أن تكرير الاسم مظهرا فى جملتين أحسن من تكريره فى جملة واحدة لما قدمت ذكره ولو حمل البيت على أن التكرير من جملة واحدة لقال : ولا مسء معن ، عطفا على قوله تبارك حقه ، ولكنه لما كرره مظهرا وأمكنه أن يجعل الكلام جملتين استأنف الكلام فرفع الخبر (٣) " . ولعل السر البلاغى

---

(١) الآية ١٢٤ من سورة الأنعام .
(٢) الكتاب جـ١ ص ٣٠ هامش الكتاب .
(٣) الكتاب جـ١ ص ٣٠ — ٣١ ، الهامش باسفل الصحيفة .

فى ذلك أيْ فى وضع الاسم الظاهر موضع الضمير يكون للتعظيم أو التخويف ، ألا ترى أنه قد ذكر صراحة اسم الموت ثلاث مرات تخويفا ، وزيادة فى تمكينه فى ذهن السامع . وقد جاء وضع المظهر موضع المضمر فى القرآن الكريم كثيرا ، من ذلك قوله تعالى : " وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " (١) وانما القصد من ذلك التعظيم . وكذلك فى قوله عز وجل : " وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا " (٢) . و " أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " (٣) . وقد يكون الداعى لبلاغة وضع الظاهر موضع الضمير ، التمكين فى ذهن السامع والتثبيت ، كقوله تعالى : " وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ " (٤) . فمقتضى الظاهر أن يقول : وبه نزل ولكنه وضع الظاهر موضع المضمر زيادة فى تمكين صفة الحق لما أنزله الله . ومن ذلك قول الله تعالى : قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ " (٥) . فمقتضى الظاهر أن يقول " هُوَ الصَّمَدُ " ولكنه وضع الظاهر بدلا من الضمير وأعاد لفظ " اللّه " الجلالة لتمكينه وتثبيته وحضوره فى الذهن وفى قول الله سبحانه وتعالى " فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ، أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ " (٦) . يقول الزمخشرى فى الآية الكريمة : " أوقع الظاهر : أعنى الظالمين موضع المضمر اشعارا بأن لا ظلم أشد من ظلمهم حيث أغفلوا النظر والاستماع حين يجدى عليهم ويسعدهم . ومنه قوله تعالى : " لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " (٧) . ولم يقل ليمسنهم لأن فى إقامة الظاهر

---

(١) الآية ٢٨٢ من سورة البقرة (٢) الآية ٧٨ من سورة الاسراء .
(٣) الآية ٢٢ من سورة المجادلة (٤) الآية ١٠٥ من سورة الاسراء .
(٥) الآية ١ و٢ من سورة الاخلاص .
(٦) الآية ٣٧ و٣٨ من سورة مريم .

مقام المضمر فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله " لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا " . ومنه قوله تعالى : " يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا " (١) . والكافر اسم ظاهر وضع موضع المضمر لزيادة الذم (٢)

ويقول شيخ البلاغيين السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) (يوضع المظهر موضع المضمر إذا أريد تمكين نفسه زيادة تمكين كقوله " إِنْ تَسْأَلُوا الْحَقَّ نعط الحق سائله " وقوله عز قائلا : " فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا " (٣) . وتترك الحكاية الى المظهر اذا تعلق به غرض فعل الخلفاء حيث يقولون : أمير المؤمنين يرسم لك ، مكان : أنا ارسم وهو ادخال الروعة في ضمير السامع (٤) . ولعل السر البلاغي في وضع المظهر موضع المضمر كان واضحا في كلام السكاكي ، وهو من أجل زيادة التمكين في ذهن السامع .

---

(١) الآية ٤٠ من سورة النبأ .

(٢) النظم القرآني في كشاف الزمخشري ص ١٢٠ — ١٢١ .

(٣) سورة البقرة الآية ٥٩ .

(٤) مفتاح العلوم ص ١٩٨ . دار الكتب العلمية — بيروت — لبنان ط.الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

القلب عند سيبويه وآراء العلماء فيه :ـ

وتحدث سيبويه عن القلب حديث الناقد المتذوق للغة العربية ووصف القلب بأنه رديء وغير جيد في الأسلوب العربي فانظر اليه وهو يقول في الكتاب : " وأما قوله : أُدْخِلَ فُوهُ الحَجَرَ ، فهذا جرى على سَعَة الكلام ، والجَيِّد أُدْخِلَ فَاهُ الحَجَرُ "(١) . ومعنى هذا ، فقد جاء القلب في المثال الأول ، لأنّ المفعول " الحجر " في الجملة ، حقه أن يكون نائبا للفاعل لأنه أساسا المفعول الأول ، قبل البناء للمجهول ، ونائب الفاعل " فوه " الذي حقه أن يكون مفعولا ، كما ورد في جيد الكلام ولكن سيبويه يقول : " إن المثال الأول جاء على سعة الكلام أيْ على التوسع والمجاز ، فنصب " الحجر " على القلب لخروج الكلام على غير مقتضى الظاهر ويمضي سيبويه في وصفه للقلب بالرداءة والبعد عن الجودة ، فيعرض لذلك أمثلة ويقول : " أَدْخَلْتُ فِي رَأْسِ القَلَنْسُوَةَ والجَيِّد أَدْخَلْتُ فِي القَلَنْسُوَةَ رَأْسِي "(٢) .

ونحن نرى أن الجملة الأولى " أدخلت القلنسوة في رأسي " والتي جاءت على سَعَة الكلام عند سيبويه لأنّ القلنسوة لا تدخل في داخل الرأس ، وانما تحيط به لأن الظرف هو المدخول فيه والمظروف هو الداخل ويبرهن سيبويه على عدم تقبله للقلب بأن الجيد غيره وهو رديء لأنّ الرداءة تؤدي الى التعقيد واللبس في المعنى وكما جاء القلب عند العرب في النثر جاء أيضا في الشعر .

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٩٢ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ١٨١ .

(٢) الكتاب جـ١ ص ٩٢ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ١٨١ .

فقال الشاعر :— (١)

تَرَى الثَّوْرَ فِيهَا مُدْخِلَ الظِّلِّ رَأْسَهُ وَسَائِرُهُ بَادٍ إِلَى الشَّمْسِ أَجْمَعُ (٢)

فوجه الكلام فيه هذا كراهية الانفصال ".

وكراهية الانفصال التي تحاشاها سيبويه وأجرى الكلام على الاتساع والقلب لأنه لو قال : مدخل في الظل رأسه للزم الفصل بالجار والمجرور بين المتضايفين وهذا ما لا تسمح به العرب .

وقال الأعلم الشنتمري :—

" إضافة مدخل الى الظل ونصب الرأس على الاتساع والقلب وكان الوجه أن يقول :— " مدخل رأسه الظل لأن الرأس هو الداخل في الظل والظل المدخل فيه " . (٣)

وقد اقتفى أثر سيبويه كثير من علماء علم المعاني وكانوا فرقاء فمنهم من أنكر القلب ومنهم من قبله مطلقا بلا تحفظ ، ومنهم من قبله مشروطا فهذا الآمدي البصري (ت ٣٧٠ هـ) يقول : " إن المتأخر لا يرخص له في القلب لأن القلب إنما جاء في كلام العرب على السهو والمتأخر إنما يحتذي على أمثلتهم ويقتدي بهم وليس ينبغي له أن يتبعهم فيما سهو فيه " . (٤)

وقد ذكر الآمدي رأي الذين يذهبون الى أن القلب جاء في محكم التنزيل في قوله تعالى : " مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ " (٥) قال :

---

(١) الكتاب جـ١ ص٩٢ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ١٨١.

(٢) هذا البيت لم أقف على قائله ، وقد ورد في تأويل مشكل القرآن ص ١٤٨ وأمالي المرتضى جـ١ ص ٢١٦ وسيبويه جـ١ ص ٩٢ . وصف الشاعر هاجرة الجأت الثيران الى كنسها فهي تدخل رؤوسها في الظل لما تجده من شدة الحر.

(٣) الكتاب جـ١ ص ٩٢ شرح الشواهد بأسفل الصفحة .

(٤) الموازنة ص ٢٠٠ والكتاب جـ١ ص ٩٢ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ١٨١.

ان هذا ليس بقلب وانما هو صحيح مستقيم ، وانما أراد الله تعالى : " ما إِنَّ مَفَاتِحَه لَتَنُوءُ بالعُصْبَة " وانتهى الآمدى الى أن القلب القبيح لا يجوز فى الشعر ولا فى القرآن ، وهو ماجاء فى كلام العرب على سبيل الغلط ، وقال الآمدى معقبا على بيت الفرزدق يصف ذئبا :ـ

وَأَطْلَسَ عَسَّالٍ وَمَا كَانَ صَاحِبًا رَفَعْتُ لِنَارِى مَوْهِنًا فَأَتَانِى (١) .

وانما النار رفعها للذئب .

وهذا البيت أنشده المبرد (٢٨٥ هـ) وقال : " القلب جائز للاختصار اذا لم يدخل الكلام لبس كأنه يجيز للعرب الأوائل دون المتأخرين . وما علمت أحدا قال : " للاختصار " غيره فلو قال : لاصلاح الوزن أو للضرورة ، كما قال غيره كان ذلك . ويجوز أن يكون الفرزدق فى هذا البيت سها أو اضطر لاصلاح الوزن " (٢) .

وأظن أن المبرد جوز القلب للاختصار بالشرط المذكور وهو أن لايكون ، هناك " لبس " أيّ خفاء فى المعنى ، وجوز لطبقة معينة هم القدماء . ولعل حرص المبرد على سلامة اللغة العربية هو الذى دفعه لكي يبيح للمتقدمين القلب بالشرط الذى تقدم ويمنعه على المتأخرين . ولو قدر للمبرد أن ينظر من وراء حجب الغيب عبر الحقب التى جاءت بعده ليرى ويطلع على آراء علماء البلاغة كالسكاكى وعبد القاهر والخطيب وغيرهم لما أهدر حقوق الكثيرين من علماء علم المعانى بهذا القرار .

---

(١) ورد البيت فى ديوان الفرزدق جـ٢ ص ٣٢٩ وسر الفصاحة ص ١١٤ والموازنة جـ٢ ص ٩٦ ، أساليب بلاغية ص ٢٥٧ . الأطلس : الأغبر . عسال : نسبة الى مشيته ، يقال عسل الذئب يعسل وهو مشى خفيف كالهرولة . الوهن والموطن من الليل . نحو منتصفه أو بعد ساعة منه .

وكلام الآمدى البصرى بأن المتأخرين مقلدون للعرب ، فليس بمسلم فقد برهن الكثير من العلماء على حجج وآراء خالفوا فيها المتقدمين ، وكان الصواب فى جانبهم .

والقاضى الجرجانى (٣٦٦ هـ) قبل القلب على نحو ما جاء فى قول الشاعر الآتى :— وقال عنه ليس بمستكره وأنه سائغ حسن .

قال رؤبة (١) :—

وَمَهْمَهٍ مُغْبَرَّةٍ أَرْجَاؤُهُ كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ

وقوله : " كأن لون أرضه سماؤه " أى كأن لون سمائه من غبرتها لون أرضه ولكن القاضى الجرجانى ، يقول : القلب القبيح لا يجوز فى الشعر ولا فى القرآن وهو ما جاء فى كلامهم على سبيل الغلط ، كقول خداش بن زهير :

وَتَرْكَبُ خَيْلاً لَا هَوَادَةَ بَيْنَهَا وَتَشْقَى الرِّمَاحُ بِالضَّيَاطِرَةِ الْحُمْرِ (٢)

وانما الضياطرة هى التى تشقى بالرماح . أراد وتشقى الضياطرة بالرماح فقلبه (٣) .

وها نحن نرى القاضى الجرجانى قبل القلب ، حين جاء سائغا وحسنا وليس بمستكره فى كلام العرب كما فى قول رؤبة بن العجاج المتقدم . ورفضه حين كان القلب قبيحا ، ولم يجزه فى الشعر ولا فى القرآن وهو ما جاء فى كلامهم على سبيل الغلط فى الشعر وكلام الله منزه عن ذلك .

---

(١) وجدت مفتاح العلوم قد نسبه الى رؤبة ص٢١١ وفى الموازنة جـ١ ص١٩٥ ، والايضاح ص٧٧ وأساليب بلاغية ص٢٦٢ وقال الآمدى "كأن أرضه سماؤه" أى : كأن لون سمائه من غبرتها لون أرضه ، وليس الأمر فى ذلك بواجب لأن أرضه وسماؤه مضافان جميعا الى الهاء وهى كناية عن المهمة فأيهما يشبه بصاحبه كانا فيه سواء وانما تغير آفاق السماء من الجدب واحتباس القطر .

(٢) أنشده الجوهرى (ض ط ر) منسوبا لخداش عن الأخفش . والموازنة جـ١ ص١٩٥ وسر الفصاحة ص١١٤ ومفتاح العلوم ص٢١١ . والضياطرة : جمع ضيطر وهو الرجل الضخم

(٣) الموازنة جـ١ ص ١٩٦ أسفل الصفحة .

و ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) يحمل قول المتنبى الآتى على القلب :

قال أبو الطيب .(١)

نَحْنُ رَكْبٌ مِلْجِنٍّ فِى زِيِّ نَاسٍ فَوْقَ طَيْرٍ لَهَا شُخُوصُ الجِمَالِ

وقال ان " تقديره " نحن ركب من الإنس فى زي الجن فوق جمال لها شخوص طير . وابن سنان يصف ابن جنى بالتعسف فيقول : " وهذا عندى تعسف من أبى الفتح لا تقود اليه الضرورة " . ومراد أبى الطيب المبالغة على حسب ما جرت عادة الشعراء فيقول : نحن قوم من الجن لجوبنا الفلاة والمهامه والقفار ، التى لا تسلك وقلة فرقنا فيها الا أننا فى زي الإنس وهم على الحقيقة كذلك ، ونحن فوق طير من سرعة ابلنا الا أن شخوصنا شخوص الجمال . وقال ابن سنان : " ومن طريق التفسير للشعر أن يتأول ليقع الفساد فيه ، ولو حمل على ظاهره كان صوابا صحيحا "(٢) .

ومعنى ذلك أن ابن سنان لا يميل الى القلب والتاويل لئلا يخرج الكلام على مقتضى الظاهر فيفسد ويبعد عن الاهداف التى يرمى اليها قائله .

ولابن سنان الخفاجى (ت ٤٦٦ هـ) رأي فى القلب ، فتحدث عن هذا الأسلوب وقال : " ومن وضع الالفاظ موضعها الا يكون الكلام مقلوبا فيفسد ، المعنى ويصرفه عن وجهه "(٣) واستشهد لذلك بامثلة منها قول عروة بن الورد العبسى(٤)

فَلَوْ أَنِّى شَهِدْتُ أَبَا سُعَادٍ غَدَاةَ غَدٍ لمهجته يَفُوقُ
فَدَيْتُ بِنَفْسِهِ نَفْسِى وَمَالِى وَمَا آلُوكَ إِلاَّ مَا أُطِيقُ

---

(١) ديوان أبى الطيب بشرح أبى البقاء العكبرى المسمى بالتبيان فى شرح الديوان (٤ أجزاء) جـ٣ ص ١٩٤ . وسر الفصاحة ص ١١٦ . أساليب بلاغية ص ٢٥٩ .
(٢) سر الفصاحة ص ١١٨ . دار الكتب العلمية — بيروت — لبنان .
(٣) سر الفصاحة ص ١١٤ . دار الكتب العلمية — بيروت لبنان .
(٤) انظر الديوان ص ٢٠٥ ومنهاج البلغاء وسراج الادباء ص ١٨٤ وسر الفصاحة ص ١١٤ وأساليب بلاغية ص ٤٥٨ . والمهجة : دم القلب . أساس البلاغة ص ٦٠٨ للزمخشرى ١٣٩٩ هـ .

يريد أن يقول : فديت نفسه بنفسي . ومنع ابن سنان أن يكون في قوله تعالى : " مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ أُولِي القُوَّةِ "(١) قلب وقال :ـ " انه ليس من القلب ، وانما المراد أن المفاتيح تنوءُ بالعُصْبَة أَيْ : تميلها من ثِقَلِها ، وكذلك قوله تعالى : " إِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيد "(٢) . ليس المراد به ، وان حبه للخير لشديد بل المقصود به أنه لحب المال لبخيل والشدة : البخل اى من حبه للمال يبخل "(٣) . ويجيء دور النقاد وهناك عَلَمَانِ مِنهم " قدامة ابن جعفر والمرزباني ، فقد اعتبرا القلب عيبا من عيوب ائتلاف المعنى والوزن في الشعر العربي "(٤) .

وكان السكاكي (٦٢٦ هـ) رحمه الله ـ شيخ البلاغيين ، وهو من أصرحهم وأوضحهم رأيا بالنسبة لهذه المسألة فقبل القلب مطلقا وقال " إِنَّ هذا النمط مسمى فيما بيننا بالقلب وهي شعبة من الاخراج لا على مقتضى الظاهر ولها شيوع في التراكيب وهي مما يورث الكلام ملاحة ولا يشجع عليها الا كمال بلاغة تأتي في الكلام وفي الأشعار "(٥) وفي التنزيل يقولون : عَرَضْتُ النَّاقَةَ عَلَى الحَوْضِ ، يريدون عرضت الحوض على الناقة . وقال رؤبة :ـ

وَمَهْمَهٍ مُغْبَرَّةٍ أَرْجَاؤُهُ كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ

أراد : كأن لون سمائه من غبرتها لون أرضه . وها نحن نرى أن السكاكي

---

(١) الآية ٧٦ من سورة القصص .
(٢) الآية ٨ من سورة العاديات .
(٣) الموازنة جـ٢ ص ١١٦ ط الاولى بيروت ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .
(٤) نقد الشعر ص ١٣٠ ، الموشح ص ١٢٨ .
(٥) مفتاح العلوم ص ٢١١ .

قد اعتبر القلب مورثا ومحسنا ومجملا للكلام نثرا وشعرا ، والسكاكى قطب من أقطاب البلاغة العربية بل ومنظما وشارحا لعلومها وفنونها من معان وبيان وبديع .

ويقبل الخطيب القزوينى (٧٣٩ هـ) القلب اذا تضمن اعتبارا لطيفا والا رده ، ومن الاعتبارات اللطيفة عنده قول روبة :-

وَمَهْمَهٍ مُغْبَرَّةٍ أَرْجَاؤُهُ كأن لون أرضه سماؤه

أَيْ : كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه فعكس التشبيه للمبالغة وسار على مذهبه شراح تلخيصه فى قبول اسلوب القلب أو رده "(١) .

ونرى الخطيب القزوينى قد قبل القلب مشروطا اذا تضمن نكتة بلاغية والا لم يقبله .

وممن اقتفى أثر سيبويه ، حازم القرطاجنى (ت ٦٨٤ هـ) فقد أنكر القلب وقال : "إنّه مما يجب أن ينزه كتاب الله عنه لأن العرب اذا صدر ذلك منهم ، فبقصد العبث أو التهكم أو المحاكاة أو حال الاضطرار ، والله منزه عن ذلك وقال : فكل كلام يمكن حمله على غير القلب بتأويل لا يبعد معناه ، فليس يجب حمله على القلب . وأما مالا يمكن فيه التأويل فواجب أن لا يعمل عليه وأن يوقف عنده "(٢) .

وها نحن نلمس من عبارة حازم القرطاجنى أنه لايقبل القلب ، واذا جاء فى كلام العرب لا يحمل إلا على العبث أو السخرية والمحاكاة والاضطرار وكل كلام جاء فيه قلب ،يؤول بشرط أن لا يبعد معناه ،وما لا يمكن تأويله

---

(١) الايضاح ص ٧٧ .

(٢) منهاج البلغاء ص ١٨٤ وانظر البرهان فى علوم القرآن جـ ٣ ص ٢٨٨ .

يجب أن يوقف عنده ولا يعمل عليه . وهو من البلاغيين الموء يدين لسيبويه فى رد القلب . وبعد أن استعرضنا رأى بعض من اقتفوا أثر سيبويه فى القلب فاننا نراهم مختلفين فى أثره البلاغى وقيمته الفنية ، ولعلنا نجد بالاستقراء فى كتب البلاغيين بأنهم قد أهملوا القلب لأنهم لم يجدوا فيه حسن البيان والفائدة التى يقصد اليها البلاغى من قوة تأثير فى لبّ السامع والقارىء ومع احترامنا لرأي شيخ البلاغيين ، السكاكى فإن أسلوب القلب لا نجد فيه التذوق البلاغى بل نجد فيه تعسر فهم العبارة واللبس . ولعل مذهب الخطيب القزوينى أقرب المذاهب فى القلب حينما قال : " رده مطلقا قوم ، وقبله مطلقا منهم السكاكى (١) والحق أنه اذا تضمن اعتبارا قبل ، والا رد " .

---

(١) الايضاح ص ٧٧ .

الفصل الثانى

آراء سيبويه فى علم البيان

التشبيـــــه :ـ

وتناول صاحب الكتاب من خلال حديثه فى صفحات متفرقة ، التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية والتنويع والمجاز بالحذف وغير ذلك .

فقال عن التشبيه :ـ

" تقول مررت برجل أَسَدٍ أبوه ، اذا كنت تريد أن تجعله شَدِيداً ومررت برجل مِثْلَ الأَسَدِ أبوه اذا كنت تشبهه . ومن قال : مررت برجل أسـد أبوه ، يريد معنى أَنَّهُ مُبالِغٌ فى الشِّدَّةِ ، لأَنَّه ليس بِوَصف " (١) وقال سيبويه " " له صوتٌ مثل صوتِ الحِمارِ ، وزعم الخليل أنه يجوز ، له صوتٌ صوت الحمار لأنه تشبيه " (٢) وفى مكان آخر من الكتاب قال : " وقد يشبهون الشىء بالشىء وليس مثله ولا قريبا منه فى جميع أحواله ، وسترى ذلك فى كلامهم كثيرا " (٣) . وقال : ومثل ذلك : " أَنْتَ كَعَبْدِ اللَّهِ ، كأنه يقول : أَنْتَ كَعَبْدِ اللّه ، أَيْ أنت فى حالٍ كَعَبْدِ اللّه " (٤) . ويقول مررت برجلٍ أَسَدٍ شِدَّةً وَجُرْأَةً ، إنما تريد مثل الأسد " (٥) . وقال فى " هذا باب ما تقلب الواو فيه ياء ، اذا كانت متحركة والياء قبلها ساكنة أو كانت ساكنة والياء بعدها متحركة " ، مستشهدا بقول بعض العرب : " مَا بَالُ عَيْنِى كالشَّعِيبِ العَيَّنِ " (٦) . وجاء فى ذيل ،

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٢٣١ ط بولاق . تحقيق عبد السلام هارون جـ٢ ص ٢٨ ـ ٢٩ الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب نشر مكتبة الخانجى سنة ١٩٧٧م

(٢) الكتاب جـ١ ص ١٨١ ـ ١٨٢ ط بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٣٦١ ـ ٣٦٣

(٣) الكتاب جـ١ ص ٩٣ ـ ١٣٠ ـ ط بولاق . عبد السلام جـ١ ص ١٨٢ .

(٤) الكتاب جـ١ ص ٢٠٣ ط بولاق . عبد السلام جـ١ ص ٤٠٨ .

(٥) الكتاب جـ١ ص ٢١٦ طبولاق . عبد السلام جـ١ ص ٤٣٤ .

(٦) الكتاب جـ٢ ص ٣٧٢ ط بولاق . عبد السلام هارون جـ٤ ص ١٣٦ . انظر ديوان رؤبه ص ١٦٠ وأدب الكاتب ٤٦٧ والاقتضاب ٤٧٢ والخصائص جـ٢ ص ٤٨٥ وجـ٣ ص ٢١٤ والانصاف ص ٨٠١ وابن يعيش ٠ : ٩٥ وشرح شواهد الشافية ص ٦١ ـ

الصفحة بالهامش عن قول رؤبة بالكتاب : الشَّعِيب المزادة الصغيرة أو القربة والعَيَّن : الخلق البالية • شبه عينه لسيلان دمعها بالقربة الخلق فى سيلان مائها من بين خرزها لِبلاَ هَا وَقِدَمِهـا •

وقد جاء فى الخصائص من الجزء الثانى : " أى رؤبة وهو أول الارجوزة والشعيب : القربة الصغيرة • والعين : البالية • شبه عينه لبكائها بالقربة القديمة التى يسيل الماء من خرزها "(١) • وهو تعقيب متشابه •

وحين نلقى نظرة على أقوال سيبويه المتقدمة ، نوقن أنه تحدث عن التشبيه الذى هو لون من ألوان التصوير الفنى الذى يراد به عقد مماثلة بين شيئين أو أكثر ، أريد اشراكهما فى صفة أو أكثر لغرض يقصده المتكلم ونراه استخدم أداة التشبيه ملفوظة ، لِتَرْبط بين المشبه والمشبه به ، ولتدل على المماثلة •

فتارة يذكر فى هذه الأمثلة المشبه والمشبه به ووجه الشبه والأداة ، وهذا ما يسميه المتاخرون بالتشبيه المفصل ، وتارة يحذف الأداة ، وهـذا ما يسمى عندهم بالتشبيه المؤكد ، ومرة أخرى يذكر الأداة ، ويسمى تشبيهها مرسلا ، ونراه يحذف وجه الشبه فى أمثلته وهو مايسمى بالتشبيه المجمل وفى حديثه عن التشبيه يشرح ويوضح " بان العرب يشبهون الشىء بالشىء وهو يختلف عنه فى جميع أحواله ولكنه فى بعض أحواله قد يماثله " أيْ فى صفة من الصفات ، فتكون الصفة المشتركة بين المشبه والمشبه به • وهذا يدلنا على

---

(١) الخصائص لابن جنى جـ٢ ص ٤٨٥ انظر الهامش بأسفل الصفحة تحقيق محمد على النجار • ط دار الهدى للطبع والنشر — بيروت لبنان • ولا تحمل تاريخا لسنة بعينها •

أن سيبويه كان يعرف التشبيه ويسميه باسمه .

وتحدث سيبويه عن التشبيه التمثيلي ، الذي ينتزع فيه الوجه من متعدد في قوله : " هذا باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام ، والايجاز والاختصار " فقال : " ومثله في الاتساع قوله تعالى :- " وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً "(١) . فلم يشبهوا بما ينعق وانما شبهوا بالمنعوق به . وانما المعنى : مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق ، والمنعوق به الذي لا يسمع ، ولكنه جاء على سعة الكلام والايجاز لعلم المخاطب بالمعنى "(٢) .

وقد بين سيبويه أن الذين كفروا شبهوا بالمنعوق به ، والمنعوق به هنا البهائم والسوائم وكل ما لا يعقل كالأصنام فقد جرد هؤلاء من نعمة العقل واصبحوا من الصم والعمى والبكم ،وان حال الذي لا يعقل أشبه ، بالجمادات ، فقد وضح سيبويه في الآية الكريمة ، المشبه وهم الكفار ، والمشبه به ، وهو الذي ينعق ،من الصم والعمى والبكم لأنه لايعقل . فالأصم لا يسمع الدعاء ولا يعي النداء ، يضل من قد ميه الطريق فيتيه في مهمه ويسير في شعاب ومسارب تبعد به عن الهدف المرجو والغرض الأسمى وفاقد البصر الذي حرم من بصره الذي كان له بمنزلة القائد الملهم والموجه المستنير والمرشد الهادي الأمين ، تنكب الجادة وحاد عن السبيل . كذلك الكافر الذي نضا عنه ثوب الايمان والذي آثر الغواية والضلال ،فأصم أذنيه عن سماع

---

(١) الآية ١٧١ من سورة البقرة .

(٢) الكتاب جـ١ ص ١٠٨ — ١٠٩ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٢١١ — ٢١٢ ط ١٩٧٧م .

دعوة الله وابتعد بقلبه عن نور الله فلم يبصر الحق ، فمثله كمثل الأصم والاعمى وقد بين دور المقلدين الذين قاموا بتعطيل نعمة العقل الذى هو موهبة الادراك ، كما أن المقلدين الغوا مداركهم وأفهامهم ، فلم يتفكروا فى خلق السماوات والأرض ، ولم يتوصلوا ببحثهم واستقرائهم الى الاعتقاد الجازم والايمان المكين ، والذين صموا عن سماع دعوة الحق ، سماع تدبر وتفهم هؤلاء هم السلبيون سلوبوا المشيئة والتصرف ، الذين دعاهم داعى الله الى ما أنزل الله فكان قصاراهم أن قالوا : لنا فى ابائنا قدوة وأسوة ، فلن نحيد عن معتقداتهم ، ولن نخرج عن سننهم .

هؤلاء المقلدون مثلهم القرآن بالسوائم والبهائم ، تطيع صيحات راعيها من غير تفكير فى مدلولاتها الوضعية لا تفهم أوامره ولا تفقه نواهيه ، ولا تعقل صيحاته ونداءآته ، بل تسمع أصواتا منه اعتادت عليها ، تدعى بصوت فتأتى وتقبل ، وتصرف بآخر فتدبر وتعود . وقد شبههم الله بالناعق بما لا يسمع فهم كالاصنام ، لأن الأصنام لا تسمع شيئا ، " والنعيق " : التصويت والزجر (١) ويقال نعق الراعى بالضأن ، قال الأخطل يهجو جريرا :-

فانعق بِضَأْنِك ياجريرُ فإنما مَنَّتك نفسك فى الخَلاَء ضَلاَلاَ . (٢)

---

(١) المعجم الوسيط جـ٢ ص ٩٣٤ . مجمع اللغة العربية . قام باخراج هذه الطبعة ابراهيم أنيس وآخرون سنة ١٩٨٥م .

(٢) ديوان الأخطل التغلبى ص ٣٩٢ ، تحقيق وشرح وضبط ايليا سليم حاوى . طبعة دار الثقافة — بيروت سنة ١٩٦٨م والأخطل : هو غياث بن غوث بن الصلت ابن الطارقة . ولد فى عهد عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — وهو من بنى تغلب ولم يذكر من القدامى شيئا عن تاريخ مولده . انظر ايضا كتاب الأخطل شاعر بنى أمية " لسيد غازى ص ٣٣ الطبعة الثالثة ١٩٧٦م . دار المعارف بمصر ١ . وانظر : الأخطل فى سيرته وشعره ص ١٧ ايليا سليم حاوى ط . دار

ووجه الشبه فى الآية الكريمة ، انتزع من متعدد ، وأداة التشبيه " الكاف " .

ويقول القاضى البيضاوى (١) (ت ٦٨٥ هـ) فى قوله تعالى :- (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً) (٢) على حذف مضاف تقديره ومثل داعى الذين كفروا كمثل الذى ينعق أو مثل الذين كفروا كمثل بهائم الذى ينعق ، والمعنى أن الكفرة لإنهماكهم فى التقليد لا يلقون أذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما يقرر معهم ، فهم فى ذلك كالبهائم التى ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه ، وتحص بالنداء ولا تفهم معناه وقيل : هو تمثيلهم فى اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التى تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته أو تمثيلهم فى دعائهم الاصنام بالناعق فى تعقيبه وهو التصويت على البهائم) .

ويقول جار الله الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) فى شأن هؤلاء المقلدين :-

" معناه أيتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون — للصواب . لابد من مضاف محذوف تقديره : ومثل داعى الذين كفروا كمثل الذى ينعق أو مثل الذين كفروا كبهائم الذى ينعق ، والمعنى . ومثل داعيهم الى الايمان فى أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة ودوى الصوت من غير إلقاء أذهان ولا استبصار ، كمثل الناعق بالبهائم التى لا تسمع إلا دعاء الناعق ونداءه الذى هو تصويت بها وزجرلها ولا تفقه شيئا آخر ولا تعى كما

---

(١) هو عبد الله بن عمر بن محمد بن على أبو الخير قاضى القضاة ناصر الدين — البيضاوى . مات سنة خمس وثمانين وستمائة (٦٨٥هـ) بتبريز . شافعى المذهب له مصنفات كثيرة : بغية الوعاة ، فى طبقات اللغويين والنحاة ، لجلال الدين عبد

يفهم العقلاء ويعون . ويجوز أن يراد بما لايسمع الأصم الأصلخ الذى لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا من غير فهم للحروف ومثلهم فى اتباعهم آبائهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التى لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته ، فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولايفقهون أهم على حق أم على باطل ؟ "(١) .

وقال الزجاج (٢) (ت٣١١ هـ) قوله تعالى :ـ(وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ) أى مثل داعى الذين كفروا (كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِق) لا بد من هذا الاضمار ليكون الداعى بمنزلة الراعى . وقيل : (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا) مثل وعظ الذين كفروا فحذف المضاف . قال سيبويه : " وهذا أفصح الكلام ايجازا واختصارا ، ولأنّ الله تعالى : أراد تشبيه شيئين بشيئين : الداعى والكفار بالراعى والغنم . فاختصر . وذكر المشبه فى الغنم بالظرف الأول ، فدل ما أبقى على ما ألقى " وهذا معنى كلامه (٣) " .

وسيبويه يرى أن بلاغة هذا التشبيه ،الى جانب توضيح الفكرة فيه ـ تجسيد وتوضيح الصورة ، وكذلك أيضا يكون التجسيد والتوضيح فى فصاحة الكلام وايجازه واختصاره .

وما ساقه سيبويه يبرهن على أنه فهم مراد الحق عزوجل . وان كان سيبويه قد تحدث عن معظم أنواع التشبيه ماعدا التشبيه الضمنى ، ولعل له عذرا فى

---

(١) تفسير البيضاوى : أنوار التنزيل واسرار التأويل ص ٣٥

(٢) هو ابراهيم بن السرى بن سهل أبو اسحاق الزجاج . مات فى جمادى الآخرة سنة احدى عشرة وثلثمائة . بغية الوعاة ص ١٧٩ ـ ١٨٠ للعلامة الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى الشافعى المتوفى سنة (٩١١) الناشر دار المعرفة بيروت ـ لبنان ـ .

(٣) امالى القالى ج١ ص ٧٤ ، وفيه ولاقة أعناق بدل ولاقة أعناقها

ذلك لأنّه كان مشغولا بتقعيد القواعد العلمية النحوية ، التى كانت موضع اهتمامه وليست الأسس الفنية للبلاغة ، وهذا سبب يقف له مانعا عن التفصيل فى ذلك .

وعلى كل فإن سيبويه ، قد تحدث عن التشبيه بقدر وَضَّحَ فيه أركانه وأدواته والصفة المشتركة بين المشبه والمشبه به .

وفى حديثه عن (كأنّ) قال : " سألت الخليل عن كأنّ فزعم أنها إنّ لحقتها الكاف للتشبيه ، ولكنها صارت مع إنّ بمنزلة كلمة واحدة وهى نحو كأنّى "(١) وقال عن الكاف الزائدة :-

" وأن ناسا من العرب اذا اضطروا فى الشعر جعلوها بمنزلة مثل . قال حميد الارقط :

فَصُيِّرُوا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَأْكُولِ .(٢)

وقال خطام المجاشعى :

وَصَالِيَاتٍ ككما يُؤَثْفَيْنَ ".(٣)

وتحدث عن كأن والكاف ومثل وأنّ مِثْل تَدْخُل على الكاف لأنها بمعناها فكلاهما أداة تشبيه ، كما جاء فى بيت المجاشعى وقد جمع بين الكاف ومثل

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٤٧٤ ط بولاق ، عبد السلام هارون جـ٣ ص ١٥١ .

(٢) الكتاب جـ١ ص٢٠٣ ط بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٤٠٨ . وانظر : الخزانة جـ٤ ص ٢٧٠ والعينى جـ٢ وهمع الهوامع جـ١ ص ١٥٠ ونسب فى الخزانة وشرح شواهد المغنى للسيوطى ص ١٧١ نقلا عن العينى الى رؤبة وليس فى ديوانه بل فى ملحقاته ص ١٨١ . وقبله :-

ومنهم ماس أصحاب الفيل ولعبت طيرهم أبابيل

ضرميهم حجارة من سجيل

وصف قوما استؤصلت شأفتهم فصاروا كالعصف الذى أكل حبه . والعصف: التبن أو الزرع الذى أكل حبه .

(٣) هامش الكتاب جـ١ ص ١٢ ط بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٣٢ ، انظر :

بقصد المبالغة وكأنّ الراجز يقول : مِثْلَ مِثْلَ ، وجاز التكرار لاختلاف اللفظين وكذلك الكاف الثانية في بيت المجاشعي ،فهي بمعنى مِثْل فأدخل عليها الكاف لأنّها في معناها .

وفيما ذكرناه من أدوات التشبيه (الكاف وكأنّ ومثل) ورأي سيبويه يكفي في الردّ على من يزعم وينسب الفضل لغير أهله (بأنّ الجاحظ ـ ٢٥٥ هـ (١)) أول من تنبه الى أدوات التشبيه كالكاف وكأنّ ومثل)) (٢) .

وحين نتصفح قول سيبويه المتقدم " وقد يشبهون الشيء بالشيء وليس مثله في جميع الأحوال وسنرى ذلك في كلامهم كثيراً " . نجد أنه بين أن الطرفين لا يكونان متساويين أو متشابهين في كل الأمور وأن التشبيه ليس من كل وجه ، وهذا كلام يفهم منه أن وجه الشبه يكون في المشبه به غيره في المشبه وهذا ما قال به المتأخرون من أئمة البلاغة العربية ، ومن هنا كان لملاحظاته أثر في تأسيس البلاغة .

ويقول عبد القادر حسين عن سيبويه : " وعندما تناول التشبيه والتمثيل منه بصفة خاصة لم يتناوله منفرداً بحيث قصد أن ينبه الى هذا النوع من التعبير ..... " (٣) .

غير أننا نجد سيبويه قد تناول التشبيه في أماكن متفرقة من الكتاب منفردا وأراد منه توضيح الفكرة وتجسيد الصورة كما جاء في أول حديثنا

= النار اى وليتها وباشرتها ككما يوء تغين أى كمثل حالتها اذا كانت أثافي مستعملة .

(١) البلاغة عند السكاكي ص ٣١ .

(٢) انظر أثر النحاة في البحث البلاغي ص ١٢٧ لعبد القادر حسين . الطبعة الثانية ، الناشر . دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع ـ الدوحة ـ قطر .

(٣) أثر النحاة في البحث البلاغي ص ١٢٥ .

عن التشبيه من خلال نصوص سيبويه ، ومن أمثلته قوله : " مررتُ برجلٍ أَسَدٍ شدةً وجرأةً — أراد أن يوضح لنا أنه حذف الأداة — فقال : اما تريد مثل الأسد "(١) .

وقال يصف انساناً له صوت قبيح منكر ، فقال : (له صوتٌ مثل صوت الحمار)(٢) . وعضّد كلامه برأي استاذه فقال : وزعم الخليل أنه يجوز له صوت صوت الحمار ، لأنه تشبيه "(٣) .

أبعد هذا نقول : إنّه لم يتناول التشبيه منفردا ؟

---

(١) الكتاب جـ١ ص٢١٦ ط بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص٤٣٤

(٢) الكتاب جـ١ ص ٢٣١ ط بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٦١ ٣ .

(٣) الكتاب جـ١ ص ١٨١ ط بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٣٦١ .

الاستعارة فى الحرف :ـ

وقد أوضح سيبويه الحديث عن الاستعارة فى الحروف ، حروف الجر التى كثيراً ما تخرج عن المعنى التى وضعته العرب لها . فيقول فى " هذا باب عدة ما يكون عليه الكلم " .

" أما (على) فاستعلاء الشىء ، تقول : هذا على ظهر الجبل وعلى رأسه . ويكون أن تطوى أيضا مستعليا كقولك : مر الماء عليه وأمررت يدى عليه . وأما مررت على فلان فجرى هذا كالمثل . وعلينا أمير كذلك . وعليه قال (أيضا) ، وهذا لأنه شىء اعتلاه . ويكون : مررت عليه ، أن يريد مروره على مكانه ، ولكنه أتسع . وتقول : عليه مال وهذا كالمثل ، لما يثبت الشىء على المكان كذلك يثبت هذا عليه ، فقد يتسع هذا فى الكلام ويجىء كالمثل (١) " . فنلحظ هنا أن (على) استخدمت فى أصل معناها ثم خرجت عنه لتضيف معنا جديدا ، فحين تقول : مررت على فلان ليس معنى ذلك أنك ركبت عليه وأعتليته وكذلك (علينا أمير) فإن الأمير لا يعلو الرعية بأن يركب على ظهرها بل بسلطته وتصريف شئونها . وكذلك (عليه مال) أى دين والدَّينُ لا يركب المدين بل هَمٌّ باللّيل وذلّ بالنهار ، وواضح أن الاستعلاء ، هنا ليس حسيًّا وإنما هو معنوى . وهذا ما عناه سيبويه فى أن حروف على عن معناها ، يبرز الصورة فى المثال ، ويبين أثرها على المعنى ويوضحه ومن هنا يتضح أثر الاستعارة فى جمال الأسلوب وأنها كالتشبيه فى توضيح الفكرة لاعتمادها على التصوير والتجسيم المعنوى واظهاره فى صورة محسوسة وفى التشخيص وهي بطبيعة الحال ، أبلغ من التشبيه لأنها قائمة على تناسى التشبيه وادعاء أن المشبه من جنس المشبه به .

ويقول عن (الى : " وأما (الى) فمنتهَى لابتداء الغاية ، تقول: من كذا الى كذا . وكذلك حتّى ... ، ولها فى الفعل نحو ليس لإلى ويقول الرجل : إنما اليك أيْ إنّما أنت غايتى ، ولا تكون حتى هيهنا . فهذا أمر الى وأصله وان اتسعت ، وهى أعم فى الكلام من حتى ، تقول : قمت اليه ، فجعلته منتهاك من مكانك ، ولا تقول : حَتَّاهُ (١) " .

فيوضح بأن الى معناها الغاية وغاية الشىء منتهاه أى المكان الذى تقصده ، فحين أقول : خرجت من البيت الى الجامعة فان الى افادت منتهى سيرى . وقد تتسع فى الكلام فى نحو " انما أنا اليك ،أيْ إنما أنت غايتى " ونراه يقارن بين الى وحتى ويرجح استعمال (الى) لأنه أعم فى الكلام من حتى ويفسر ذلك . بقوله : تقول : قمت اليه فجعلته منتهاك من مكانك ،ولاتقول : (حَتَّاهُ) . ويقول عن (فى) :- وأما (فى) فهى للوعاء ،تقول: فى الجراب ، وفى الكيس ، وهو فى بطن أمه ، وكذلك: هو فى الغل (٢) ، لأنّه جعله اذ أدخله فيه كالوعاء له . وكذلك : هو فى القبة ، وفى الدار . وأن اتسعت فى الكلام فهى على هذا وانما تكون كالمثل يجاء به يقارب الشىء ، وليس مثله (٣) " .

فإذا عرفنا أن قوله : هو فى الغل . أن الغل هو طوق من حديد أو شدة العطش وحرارته ، يتضح لنا أن الاستعمال لم يكن حقيقيا وانما كان مجازا لأن الغل لا يكون وعاء حقيقيا . وكذلك : هو فى القبة، فإن (القبة) : بناء مستدير مقوس مجوف يُعْقَدُ بالآجُرِّ ونحوه . وخيمة صغيرة اعلاها مستدير " . فهما ايضا جاء استعمال الحرف (فى) على التوسع

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٣١٠ بولاق . عبد السلام هارون جـ٤ ص٢٣١ .
(٢) الغل : طوق من حديد او جلد يجعل فى عنق الاسير او المجرم او فى ايديهما

فى الكلام والمجاز ، فكانت الاستعارة فى الحرف . ويكون فيها نوع من التشبيه ، يقارن الشىء — أَيْ يشبهه — وليس مثله لأنّ الحقيقة لا تتأتى فى ذلك .

ومن حروف الجر التى استعملت بمعنى آخر غير المعنى الذى وضعت له (عَنْ) فيقول سيبويه : " وأما (عَنْ) فلما عاد الشىء ، وذلك قولك : أطعمه عن جوع ، فجعل الجوع منصرفا تاركا له قد جاوزه . وقال : قد سقاه عن العيمة ، والعيمة : شهوة اللبن . قال أبو عمرو : سمعت أبا زيد يقول : — رميت عن القوس . وناس يقولون : رميت عليها وانشد :—

أَرمى عليها وهي فَرْعٌ أَجْمَعُ وهي ثلاثُ أَذرعٍ وإصبعُ (١)

وكساه عن العُرْي ، جعلهما قد تراخيا عنه . ورميت عن القوس ، لأنه بها قذف سهمه وعدّاها . وتقول : جلس عن يمينه فجعله متراخيا عن بدنه وجعله فى المكان الذى يحيال يمينه . وتقول : أضربت عنه ، وأعرضت عنه وانصرف عنه إنما يريد أنه تراخى عنه وجاوزه الى غيره . وتقول : أخذت عنه حديثا ، أَيْ عدا منه إليّ حديث " (٢) .

ومن النص المتقدم يتضح لنا أن (عن) تخرج عن كونها للجر الى معنى آخر وهو المجاوزة على سبيل الاتّساع فحين نقول : أطعمه عن جوع فقد جعل الجوع منصرفا تاركا له قد جاوزه . وصاحب الكتاب يضرب الأمثلة ويفسرها ليدلل على

---

(١) انظرها من الكتاب جـ٤ — عبد السلام هارون ص ٢٢٦ تجد ان الرجز لحميد الأرقط . انظر الخصائص جـ٢ ص ٣٠٧ وشرح الجواليقى لأدب الكاتب ص ٣٥٣ والعينى جـ٤ ص ٥٠٤ .

(٢) الكتاب جـ٢ ص ٣٠٨ ط بولاق . جـ٤ ص ٢٢٦ — ٢٢٧ عبد السلام هارون . الناشر دار الرفاعى بالرياض — مكتبة الخانجى بالقاهرة الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م

مايريد ، ويبرهن على أن هذه الحروف قد تستعمل فى موضع بعضها البعض كما جاء فى بيت الشعر أن (على) استعملت فى موضع (عن) التى تفيد المجاوزة وغيرها كثير فى الكتاب ، ومادام الحرف قد استعمل فى غيرما وضع له كان هذا الاستعمال على التوسع والمجاز عندهم. وكذلك فقد تجاوز العَيْمَةَ بالسقيا ، وتجاوز اليمين بالتراخى ، وقذف سهمه عن القوس وعداها وتجاوزته واعترضت عنه إنما يريد ، أنه تراخى عنه وجاوزه الى غيره كل ذلك سوّغ الاستعارة فى الحرف لأن الحرف خرج عن كونه حرف جر الى معنى آخر ينقل اليه وفى إنابة الحروف عن بعضها البعض ، قال بهاء الدين السبكى :(١)

" ومجيء لو بمعنى التمنى مذهب سيبويه ، وانكره كثير من النحاة والاستدلال على جوازه بقوله تعالى :(٢) " فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ " بنصب نكون " . وقال : وعند سيبويه أن هل بمعنى قد إلا أنهم تركوا ، الألف قبلها لأنها لا تقع الا فى استفهام ، قال تعالى :(٣) " هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ " . وقال السبكى : " ثم ان هذه الكلمات كثيرا ما تستعمل فى غير الاستفهام بمعنى ان هذه الكلمات الموضوعة للاستفهام قد تستعمل فى غيره مجازا " . وقد استعملت (لعل) للتعليل نحو قوله تعالى :(٤) " فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى " أى كَيْ يتذكر .

---

(١) احمد بن على بن عبد الكافى بن تمام بهاء الدين أبو حامد الشافعى السبكى ولد سنة (٧١٩ هـ وتوفى سنة ٧٧٣ هـ) انظر بغية الوعاة ص ١٤٨ — دار المعرفة بيروت لبنان . ومداخل المؤلفين والاعلام العرب ص ٢٣٥ الصادر عن عمادة شئون المكتبات . جامعة الرياض — السعودية — الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م اعداد ناصر محمد السويدان ومحمد السيد العربنى .

(٢) الآية ١٠٢ من سورة الشعراء . انظر عروس الأفراح جـ٢ ص ٢٤١ — ٢٤٢ للسبكى

(٣) نفس المصدر السابق جـ٢ ص ٢٦١ . الآية ١ من سورة الانسان . وانظر : أثر النحاة فى البحث البلاغى ص ١٣٠ .

وهذا سيبويه يذكر فى " هذا باب الحروف التى ينبه بها المدعو " فيقول : " فأمّا الاسم غير المندوب فينبه بخمسة أشياء : بيا وأيا وهيا وأىْ والألف نحو قولك : أحار بن عمرو . إلا أن الأربعة غير الألف قد يستعملونها اذا أرادوا أن يمدوا أصواتهم للشىء المتراخى عنهم أو الانسان المعرض عنهم ، الذى يرون أنه لا يقبل عليهم إلا باجتهاد أو النائم المستثقل . وقد يستعملون ، هذه التى للحد فى موضع الألف ولا يستعملون الألف فى هذه المواضع التى يمدون فيها . وقد يجوز لك أن تستعمل هذه الخمسة ولا تقول : إذا كان صاحبك قريبا منك مقبلا عليك ، توكيدا " (١) .

وحديث سيبويه هنا عن حروف النداء ، التى تكون للبعيد يقرر أن العرب قد تستخدمها للقريب وبذلك تخرج عن المعنى التى وضعت له أصلا وهو نداء البعيد بشرط اذا أرادوا أن يمدوا أصواتهم للشىء المتراخى عنه أو للانسان الذى يعرض عنهم ، فينزل منزلة البعيد أو النائم المستثقل الذى لا يصحو ويقبل إلا إذا نبه ونزل منزلة البعيد ، فمد له الصوت ويستثنى من هذا الاستعمال (الألف) التى هى (الهمزة) . وهذا فيه تشبيه القريب بالبعيد ، وأن الحروف قد خرجت الى معان مجازية جديدة .

ويقول عبد القادر حسين : " ونقرأ فى كتب المحدثين أن (يا) التى تستعمل لنداء البعيد ، قد تخرج عن أصل وضعها فتستعمل لنداء القريب اذا كان ساهيا عنك أو منصرفا الى أمر آخر . فكأنه بعيد كل البعد عنك ولا يدرى من أمرك شيئا . فساغ لك أن تشبهه ، والقريب بالبعيد فاستعيرت (يا) من معناها الحقيقى وهو نداء البعيد لمعناها المجازى وهو نداء القريب على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية " (٢) .

---

(١) الكتاب جـ ١ ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ . وعبد السلام هارون جـ ٢ ص ٢٣٠ .

ورأى المُحْدَثين من علماء البلاغة فى حرف النداء (يا) وخروجها عن معناها الأصلى ، رأى مبنى على كلام سيبويه الذى سبق غيره الى هذا المضمار حين قال كما قدمنا ان هذا الاستعمال على سبيل التوسع فى الكلام .

المجاز بالحذف :—

قال سيبويه : وسمعنا من يوثق به من العرب يقول : اجتمعت أهل اليمامة لأنه يقول فى كلامه : اجتمعت اليمامة ، يعنى أهل اليمامة فأنث الفعل فى اللفظ اذا جعله فى اللفظ لليمامة ، فترك اللفظ يكون على مايكون عليه فى سعة الكلام "(١) . وهذا ما اطلق عليه علماء البلاغة فى عصر المسميات المجاز بالحذف ويقول عنه سيبويه من اتساع الكلام .

ويقول فى باب " هذا باب استعمال الفعل فى اللفظ لا فى المعنى لاتساعهم فى الكلام ، والايجاز والاختصار " : فمن ذلك أن تقول على قول ، السائل : كم صيد عليه ؟ وكم غير ظرف لما ذكرت لك من الاتساع والايجاز فتقول : صيد عليه يومان . وانما المعنى صيد عليه الوحش فى يومين ، ولكنه اتسع واختصر . ومما جاء على اتساع الكلام والاختصار قوله تعالى جده : — " وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِى كُنَّا فِيهَا والعِيرَ الَّتِى أَقْبَلْنَا فِيهَا "(٢) إنما يريد : أهل القرية فاختصر ، وعمل الفعل فى القرية كما كان عاملا فى الأهل لو كان هاهنا ومثله : " وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ "(٣) وانما هو : ولكن البِرّ بِرّ مَنْ آمن باللّه واليَوْم الآخر . ومثل ذلك من كلامهم : بنو فلان يطؤهم الطريق ، يريد : وانما يطؤهم أهل الطريق . وقالوا : صِدْنَا قَنَوَيْنِ ، وانما يريد صدنا بقنوين أو صدنا وحش قَنَوَيْن . ومثله فى السعة : أنت أكرم على من أن أضربك

---

(١) الكتاب جـ١ ص٢٦ . ط بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص٥٣ .
(٢) الآية ٨٢ من سورة يوسف .
(٣) الآية ١٧٧ من سورة البقرة .

وأنت أنكد من أن تتركه ، إنّما تريد أنت أكرم على من صاحب الضرب وأنت أنكد من صاحب تركه .. وليس يريد : أنت أكرم على من الضرب ولكن أكرم على من صاحب الضرب .. ومن ذلك قولهم : أكلت أرضى كذا وكذا وأكلت بلدة كذا ، وإنما أراد أصاب من خيرها وأكل من ذلك وشرب . ومنه قولهم : " هذه الظُّهْر أو العَصْرُ أو المغرب " انما يريد صلاة هذا الوقت . و " اجتمع القيظ " يريد اجتماع الناس في القيظ . وقال الحطيئة :

وَشَرُّ المَنَايَا مَيِّتٌ بَيْنَ أَهْلِهِ كَهُلْكِ الفَتَى قَدْ أَسْلَمَ الحَيَّ حاضِرُه (١)

يريد مَنِيَّةُ مَيِّتٍ (٢) .

ومن نص سيبويه المتقدم وضح لنا أنه استشهد على المجاز بالحذف بالآية الكريمة ، وكلام العرب وأشعارهم وقدر المحذوف في كل ، وهذا يشعرنا أن سيبويه كان يعرف هذا النوع من المجاز . وتناوله المتأخرون .

فهذا حامد عوني حين تحدث عن قوله تعالى : " وَسْئَلِ القَرْيَةَ " قال : إنّها مجاز مرسل علاقته المحلية وأنه مجاز بالحذف — ولكن سيبويه

---

(١) ديوان الحطيئة ص ٢٦١ من رواية ابن حبيب عن ابن الاعرابي وابن عمرو الشيباني شرح ابي سعيد السكري ، دار صادر بيروت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م . ووجدت البيت في الديوان برواية غير رواية سيبويه . وهي :

وشر المنايا ميت بين أهله كهلك الفتاة أيقظ الحي حاضره .

ويعقب الشارح في ذيل الصفحة فيقول : شر الموت موت من قضى حتفه أنفه لا يشهد حربا ، كما تموت الفتاة المقصورة في بيت أهلها والضمير في (حاضره) يعود (للهلك) أي الموت ، وحاضره : نازله . وانظر : الاعلام للزركلي جـ٢ ص ١٨ (ط ٥) دار العلم للملايين سنة ١٩٨٠م وداخل المؤلفين والاعلام العرب اعداد ناصر محمد السويدان ومحسن السيد العرينى . الصادر عن ادارة — شئون المكتبات — جامعة الرياض سنة ١٩٨٠م ط الأولى .

الذى سبق هؤلاء جميعا قال : حذف المضاف تخفيفا ،وحذف على — الاتساع والاختصار ، ولم يكن عصره عصر مسميات . ثم واصل حديثه قائلا: " لأن القرية بمعناها الأصلى محل لساكنيها ، والقرينة استحالة سؤال القرية بمعناها الحقيقى "(١) . ويقول الدكتور عبد الكريم مجاهد :—

" وأما قوله تعالى : " وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ " فلا تتحقق صحته الا بتقدير واسأل أهل القرية ، وهو الصواب لأن الذى يسأل أهلها وليست مبانيها وأراضيها. فكأن المقدر تستدعيه وتظهره وقت الحاجة اليه "(٢) .

---

(١) مذكرة البلاغة ص ٢٥ ، دار الكتاب العربى — طبعة ١٩٥٧ م . وانظر فهارس كتاب سيبويه لمحمد عبد الخالق عضيمه — دار الحديث — مطبعة السعادة القاهرة — الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م . وانظر الكتاب جـ١ ص ١٠٨ — ١١٠ .

(٢) الدلالة اللغوية عند العرب ص ٥٢ لعبد الكريم مجاهد . دار الضياء للنشر والتوزيع — عمان الأردن سنة ١٩٨٥ م .

الاستعارة :—

قال سيبويه :—

" ومن ذلك قول العرب : فَاهَا لِفيكَ ، وإنّما تريد : فَا الدّاهِيَةَ . وقال أبو سدرة الهجمي:(١)

فقلت له : فَاهَا لِفيكَ فإنّهَا قَلُوصُ امْرِىءٍ قَارِيكَ ما أنْتَ حاذِرُه

ويدلّل على أنه يريد به الدّاهِيَةَ قولُه ، وهو عامر بن الأحوص:(٢)

وداهية من دَوَاهِي المنُو نِ تَرْهَبُهَا النّاسُ لا فَالَبَا

فجعل للداهية فَمًا ، حدثنا بذلك من نثق به " .(٣)

فحديث سيبويه عن الداهية ، وهي من معانيها الأمر المنكر العظيم لا يريد الحقيقة وإنما يريد التجوز والاتساع ولو أردنا أن نسمي كلامه هذا عند البلاغيين لقلنا ، هذه استعارة مكنية حيث شبه الشاعر الدّاهية بحيوان مفترس شديد البطش ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الفم الذي هو قرينة الاستعارة المكنية .

---

(١) ذكرها صاحب خزانة الأدب (أربعة أجزاء — جـ١ ص ٢٨٠) ان اسم ابي سدرة سحيم بن الأعرف ، انظر شرح المفصل عشرة اجزاء — لابن يعيش جـ١ ص ١٢٢ ونوادر أبي زيد ص ١٩٠ وسمط اللآلي ٥٣٩ . فَاهَا لِفيك — أيْ فم الدّاهية لِفيك والقلوص : الناقة الفتية ، قاريك : من القرى وهو طعام الضيف ، أي لا قرى لك عندي الا السيف وما تكره .

(٢) انشده ابن يعيش في شرح المفصل جـ١ ص ١٢٢ ولم ينسبه لأحد بل قال يدل على ذلك قوله : وذكر عبد السلام هارون أن عامر بن الأحوص ساقط من الطبعة ونسبه الشنتمري الى الخنساء . المنون : الدّهر والمنية . ط واللسان : يَرْهَبُهَا النّاس " وفي شرح المفصل لابن يعيش " يَحْسَبُهَا النّاس " . لا فَالَبَا أيْ لَيْسَ لَهَا مدخل — تعالج منه .

(٣) الكتاب جـ١ ص ١٥٩ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٣١٦ .

ومعروف عند علماء البلاغة أن الاستعارة المكنية مثل التى جاءت فى كلام سيبويه من قول العرب والأحوص : أنها تتمثل فى حذف المشبه به وذكر شيء من لوازمه مع ذكر المشبه ،فالاستعارة فى لفظ المشبه به المحذوف يستعار أو لا ؟ ثم يحذف ويرمز اليه بشيء من لوازمه ، واثبات اللازم للمشبه هو ما يسمونه استعارة تخييلية — كذكر الفم استعارة تخييلية وذكر الدّاهية استعارة مكنية .

وقال ابن يعيش : فقد حكى ابو زيد فَاهَا لِفيكَ بمعنى الخيبة لك وانشد لرجل من بلهجيم وهو أبو سدرة الأسدى :

فقلت له فَاهَا لِفيكَ فَإِنّها قَلُوصُ امْرِىءٍ قَارِيكَ مَا أَنْتَ حَاذِرُهُ

وانما يعنون به فم الدّاهية فالضمير يعود الى الدّاهية يدل على ذلك قوله :—

وَدَاهِيَةٍ مِنْ دَوَاهِى المَنُو نِ يَحْسَبُهَا النَّاسُ لَا فَالَهَا (١) .

فابن يعيش قد نحا نحو سيبويه وان لم يذكر اسمه صراحة وانما قال إنما يعنون به " فم الدّاهية " وَأَتى بيت الأَحْوص . وهذا ابن سنان يقول انشد سيبويه :

وَدَاهِيَةٍ مِنْ دَوَاهِى المَنُو نِ يَرْهَبُهَا النَّاسُ لَا فَالَهَا (٢)

فجعل للدّاهية فمًا استعارة ".

وسيبويه يعلم علم اليقين أنها مجاز وقد استشهد بكلام من يثق به وهو معلمه واستاذه الخليل بن أحمد وكذلك كلام العرب ويكون سيبويه قد سبق غيره من علماء البلاغة فى تناول هذين النوعين من أنواع الاستعارة وأظن أن رواية سيبويه (تَرْهَبُهَا النَّاسُ) أنسب من رواية ابن يعيش (يَحْسَبُهَا النَّاسُ) لأَنّ ، الرَّهْبَةَ وهى الخوف تناسب لفظ الدّاهية التى ترعب السامع .

---

(١) شرح المفصل وهو عشرة أجزاء جـ١ ص ١٢٢ ، عالم الكتب بيروت ، مكتبة المتنبى القاهرة ، للشيخ موفق الدين يعيش بن على بن يعيش النحوى المتوفى سنة ٦٤٣ هـ

(٢) سر الفصاحة ص ٣٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م ، لمحمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد ، بن سنان الخفاجى الحلبى المتوفى سنة ٤٦٦ هـ .

الكنايـــة :ـ

قال صاحب الكتاب : " وأمّا قول العرب : يَا فُلُ أَقْبِلْ ، فإنّهم لم يجعلوه اسما حذفوا منه شيئا يثبت فيه النداء ، ولكنهم بنوا الاسم على حرفين وجعلوه بمنزلة دَمٍ . والدليل على ذلك أنه ليس أحد يقول : يَا فُلاَ فإن عنوا امرأةً قالوا : يَا فُلَةُ : وهذا الاسم اختصّ به النداء ، وإنما بنى على حرفين لأنّ النداء موضع تخفيف ولم يجز فى غير النداء لأنّه جعل اسما لا يكون إلا كناية لمنادى ، نحو يَاهَنَاهْ ومعناه يارجل . وأمّا فُلاَنٌ فإنما هو كناية عن اسم سمي به المحدث عنه خاصّ غالب . وقد اضْطُرَّ الشاعر فبناه على حرفين فى هذا المعنى . قال أبو النجم :

" فى لَجَّةٍ أَمْسِكْ فُلاَ نًا عَنْ فُلِ " (١) .

ومن نص سيبويه المتقدم ، يتضح لنا أنّه كان يعرف الكناية بنفس المسمى الذى يطلقه عليها البلاغيون الآن ، حين قال : وأما فُلاَنٌ فإنّما هو كِنَايَةٌ عن اسم سمى به المحدث عنه خاصّ غالب . وأنّ يَافُلُ ويا فلان معناهما واحد وأنّ (يا فُلُ) اسم بنى على حرفين بدليل أنّه ليس لأحد أنْ يقول (يا فلا) فإذا عنوا امرأةً قالوا : يَافُلَةُ : وجعل هذه من خصوصيات ، النداء وقد بنى على حرفين لأنّ النداء موضع تخفيف ، وهذا ما اختص به ، النداء من الأساليب دون غيره . وأمّا قول الشاعر (عَن فُلِ) وقد بناه على

---

(١) الكتاب جـ٢ ص ٣٣٣ بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ص ٢٤٨ ، وقد بحثت عن بيت أبى النجم العجلى فوجدته فى لسان العرب جـ١٣ ص ٢٣٥ فى مادة (فلن) دار بيروت للطباعة والنشر . وقد ذكر شطرين قبل هذا الشطر وهما من الرجز وهو يقول :ـ

إذ غَضِبَتْ بالعَطَنِ المُغَرَّبَلِ
تُدَافِعُ الشَّيْبَ ولم تُعَتَّـــلِ
فى لَجَّةٍ أَمْسِكْ فلاناً عَن فُلِ

كما وجدته فى خزانة الأدب (٤ أجزاء) جـ١ ص ٤٠١ والمقتضب جـ٤ ص ٢٣٨ وأمالى

حرفين دون نداء ، انما كان للضرورة والاضطرار ، ويجوز للشعراء مالا يجوز لغيرهم .

ويتابع سيبويه كلامه فيقول : هذا فلان بنُ فُلَانٍ ، لأنه كناية عن الاسماء التى هى علامات غالبة ، فأجريت مجراها . واذا كَنيتَ عن غير الآدميين قلت: الفلانُ والفلانَة ، والهَنُ والهَنَةُ ، جعلوه كناية عن الناقة التى تسمى بكذا والفرس الذى يسمى بكذا ،ليفرقوا بين الآدميين والبهائم(١).

ويبين سيبويه أن فلان " تقال للانسان وهى كناية عنه بدل اسمه وهذا فيه عدم تصريح بالاسم ، وعبر عنه (بفلان) حين أراد أن يخفيه ويستره عنا ، وهل الكناية فى اللغة لها معنى بغير الستر وعدم التصريح ؟

وكلمة (الفُلانُ) والفلانَة يكنى بها عن الحيوان فتقال للفرس والناقة ليفرقوا بين الانسان والحيوان . ومن كلام صاحب الكتاب فى نصه المتقدم يتضح لنا أن سيبويه إنما قصد الكناية اللغوية لأنّ الكناية بمفهومها الاصطلاحى لم تكن مفهومة لديهم وإنّما تحدث عنها علماء البلاغة بعد ذلك .

ويقول مجمع اللغة العربية : وهي كَنَى عن كذا ، كناية : تكلم بما يستدل به عليه ولم يصرح . وقد كنى كذا عن كذا . فهو كانٍ وتستّر والكناية (فى علم البيان) لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلى لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته . وهى أنواع :—

١ — كناية عن موصوف نحو أمة الدولار: أمريكا ،الناطقين بالضاد العرب او المتكلمين بالعربية .

٢— كناية عن صفة ، نحو نظافة اليد : العفّة والأمانة .

---

(١) الكتاب جـ٢ ص ١٤٨ بولاق ، عبد السلام هارون جـ٣ ص ٥٠٧ .

٣ - كناية عن نسبة صفة لموصوف نحو الذكاء ملء عين هذا الرجل فكل من الصفة (الذكاء) والموصوف (الرجل) مذكور والمراد أنّ الرجل يتصف بصفة الذكاء "(١)".

ويقال : كَنَى عن الشيء كِنايَةً وأكْنَنْتُهُ في نفسي أَضْمَرْتُهُ وَأَكَنَّ وَاستكنّ : استتر " . وهذا المفهوم للكناية بأنّها لفظ أُريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأَصْلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته وتلك التقسيمات ،كل ذلك جاء بعد عصر سيبويه .

وقال سيبويه في " هذا باب النصب فيما يكون مستثنًى مُبْدلاً " . إنّ لِفُلانٍ واللّهِ مالاً إلاّ أنّهُ شَقِيٌّ ، فإنه لايكون أبداً على إنّ لِفُلانٍ ،وهو في موضع نصب وجاء على معنى : ولكنّه شقيٌّ "(٢)". هذا وقد كَنَى عن شخص وحذف اسمه .

---

(١) المعجم الوسيط جـ٢ ص٨٠٢ ط١٩٨٥م مطابع قطر الوطنية ، اخراج ابراهيم أنيس وآخرون .

(٢) اساس البلاغة لجارالله ابى القاسم محمود بن عمرالزمخشري ص٥٥٢ ط ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، دار صادر بيروت .

(٣) الكتاب جـ١ ص٣٦٣ بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ص ٣١٩ .

التنويـــــع :ـ

قال سيبويه وان شئت جعلته انسانها ،قال الشاعر وهو أبو ذؤيب الهُذَلِيّ :(١)

فإنْ تُمْسِ فى قبرٍ برَهْوَةَ ثاوِياً أَنِيسُكَ أَصْدَاءُ القبورِ تَصِيحُ (٢)

فجعلهم أنيسه . ومثل ذلك قوله : مالى عتابٌ إلا السيفُ ،جعله عتابة كما أنّك تقول : ما أنت إلاّ سَيْراً ، إذا جعلتَه هو السيرَ وعلى هذا أنشدت بنو تميم قول النابغة الذُّبيانى :ـ

يَا دَارَمَيَّةَ بالعَلْيَاءِ فالسَّنَدِ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الأَبَدِ (٣)

وقفت فيها أُصَيْلاَ نَاً أُسَائِلُهَا عَيَّتْ جَواباً وما بالرَّبْعِ مِن أَحَـــدِ (٤)

إلاّ أَوَارِيَّ لأْيَاً مَا أُبَيِّنُهَـا والنُّؤْيُ كالحَوْضِ بالمَظْلومة الجَلَدِ (٥)

---

(١) ورد هذا البيت فى الكتاب جـ١ ص ٣٦٤ بولاق وجـ٢ عبد السلام هارون ص٣٢٠ وفى شرح اشعار الهذليين جـ١ ص ١٥٠ والعينى جـ٢ ص ٣ ولسان العرب جـ١٩ ص ٦٢ مادة (رها) . والخزانة جـ٢ ص ٣ ومعجم البلدان مادة (رهوة) ذكر بعد هذا البيت بيتا آخر فقال :ـ

وَلاَ لَكَ جِيرَانٌ وَلاَ لَكَ نَاصِرٌ وَلاَ لَطَفٌ يَبْكى عَلَيكَ نَصِيحُ .

معجم البلدان جـ٣ ص١٠٨ . بيروت للطباعة والنشر ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٩م .

(٢) قال الأعلم الشنتمرى : هذا يرثى رجلا يدعى (نشيبه) ثاويا : مقيما والأصداء : جمع صدى وهو طائر يقال له الهامة ، تزعم الاعراب أنه يخرج من رأس القتيل إذا لم يدرك بثأره فيصيح : اسقونى اسقونى حتى يثأربه (وهذا مثل وإنما يراد به تحريض ولى المقتول على طلب دمه ، فجعله جهلة الأعراب حقيقة ".

(٣) بالعلياء والسند : موضعان . أقوت : ضلت من اهلها . الأبد : الدهر

(٤) أُصَيْلاَ نَاً : مصغر أصيل شذوذا أو هو مصغر أصلان ،والأصيل : العشى . عَيَّتْ : عجزت ولم تستطع الجواب — على المجاز .

(٥) الأوارى : محابس الخيل ، واحدها اوى ،وهو من تأريت بالمكان : تحسبت به لأْيا : بطئا ، ومعناه أبينها بعد لأْى لتغيرها . والنؤى : حاجز حول الخباء يدفع عنه الماء من نأى بمعنى بعد . وشبهه فى استدارته بالحوض. والمظلومة: أرض حفرفيها الحوض لغير اقامة لأنّها فى فلاة فظلمت لذلك ، والظلم : وضع الشىء فى غير موضعه . والجلد : الصلبة أو الأرض الغليظة من غير حجارة .

مصادر الأبيات :ـ ديوان النابغة جـ٨ والخزانة جـ٢ ص١٢٥ والانصاف ص٢٦٩ والعينى جـ٤ ص٤٩٦ وجـ٨ ص١٢٩ والهمع جـ١ ص٢٢٣ ـ٢٢٥ وجـ٢ ص١٥٢ .

ومثل ذلك قوله :—

وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسُ إِلاَّ اليَعَافِير وإِلاَّ العِيسُ (١)

جعلها أنيسها . وان شئت كان على الوجه الذى فسّرتُه .

ومن ذلك من المصادر : ما له عليه سلطان إلا التكلّف لأنّ التكلف ليس من السلطان . وكذلك إلاّ أنه يتكلف ، هو بمنزلة التكلف . وإنما يجىء هذا على معنى ولكن . ومثل ذلك قوله عز وجل ذكره : " مَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ " (٢) ومثله : " وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا " (٣) . ومثل قول النابغة :— (٤)

حَلَفْتُ يَمِيناً غَيْرَ ذِى مَثْنَوِيَّةٍ ولا عِلْمَ إِلاَّ حُسْنَ ظَنٍّ بصاحبِ .

وبنو تميم يجعلون اتباع الظن علمهم ، وحسن الظن علمه ، والتكلف سلطانه وهم ينشدون بيت ابن الأيهم التغلبى :

لَيْسَ بَيْنِى وَبَيْنَ قَيْسٍ عِتَابُ غَيْرُ طَعْنِ الكُلَى وضرب الرِّقَابِ (٥)

جعلوا ذلك العتاب — أى الطعن والضرب .

وزعم الخليل أنّ قول الشاعر يناسب ذلك :—

وَخَيْلٍ قَدْ دَلِفْتُ لَهَا بِخَيْلٍ تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ (٦)

جعل الضرب تحيتهم كما جعلوا اتباع الظن علمهم (٧)

---

(١) البيت لجران العود . ديوانه ص٥٣ الانصاف ص ٢٧١ — ٣٧٧ وابن يعيش جـ٢ ص ٨٠ و ١١٧ وجـ٧ ص ٢١ وجـ٨ ص ٥٢ والهمع جـ١ ص ٢٢٥ وجـ٢ ص١٤٤ والأشمونى جـ٢ ص ١٤٧ والتصريح جـ١ ص ٣٥٣ . اليعافير : جمع يعفور وهو ولد الظبى . والعيس: جمع أعيس وعيساء وهى بقر الوحش لبياضها وأصله فى الأبل فاستعاره للبقر .

(٢) الآية ١٥٧ من سورة النساء (٣) الآية ٤٣ — ٤٤ من سورة يس .

(٤) ديوانه ص٣ والخصائص جـ٢ ص٢٢٨ والتصريح جـ٢ ص٢٢٧ . المثنوية : الاستثناء فى اليمين أى يمينا قاطعة لا يقول الحالف فيها : الا أن يشاء الله غيره او نحو ذلك يقول حسن ظنى بصاحبى وثقتى به يقوم مقام العلم .

(٥) ابن الأيهم هو عمرو ، معجم المرزبانى ص ٢٤٢ وابن يعيش جـ١ ص٨٠ وقبل هذا البيت:

قاتل الله قيس عيلان طرا مالهم دون غارة من حجاب

(٦) هذا البيت لعمرو بن معد يكرب : المصادر ابن يعيش جـ١ ص٨٠ والعمدة

ذكر سيبويه ما تقدم فى باب النصب فيما يكون مستثنى مبدلاً " ومعنى هذا النوع من التعبير بدلا مما قبله ، يقوم مقامه وينزل منزلته كما يقوم السيف مقام العتاب ، وأصداء القبور مقام الأنيس واتباع الظن علمهم وحسن الظن علمه والتكلف سلطانه ، كما جعل الضرب تحيتهم . وجاء قبل بيت أبى ذؤيب ، قول سيبويه فى أول هذا النص فقال : " وان شئت جعلته انسانها " فعلق عليه الأعلم الشنتمرى بقوله : أى نزلته منزلة العاقل إدّعاءً ومجازاً "(١)

وجاء البلاغيون بعد سيبويه وسموا هذا النوع من البيان (بالتنويع) ويجرى عندهم فى كثير من أنواع التعبير فى الاستعارة والتشبيه وقد يخرج عن الاثنين معاً(٢) وترك البلاغيون المحدثون الكلام عن هذا اللون من البيان فى كتبهم .

وهذا ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) قد سار على خطا سيبويه وأتى بنفس أمثلته حتى فى التوسع والمجاز ، فقال : " كما يقال عتابك السيف وتحيتك الضرب كما قال :

وَخَيْلٍ قَدْ دَلِفْتُ لَهَا بِخَيْلٍ ... تَحِيَّتُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ (٣)

وقال آخر :

لَيْسَ بَيْنِى وَبَيْنَ قَيْسٍ عِتَابٌ ... غَيْرَ طَعْنِ الكُلَى وَضَرْبِ الرِّقَابِ (٤)

أى هذا الذى أقامه مقام التحية والعتاب ومن الاستثناء المنقطع قوله تعالى :ـ " مَالَهُمْ بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ "(٥) وقوله : " وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ إِلَّا ابْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ "(٦) وبنو تميم يقرؤنها بالرفع يجعلون اتّباع

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٣٦٤ بولاق . عهد السلام هارون جـ٢ ص ٣٢٠ ، هامش الصفحة
(٢) انظر أثر النحاة فى البحث البلاغى ص ١٣٤ .
(٣) هذا البيت لابن الأيهم وقد سبق الحديث عنه .
(٤) هذا البيت لعمرو بن معد يكرب وقد سبق الحديث عنه .
(٥) الآية ١٥٧ من سورة النساء .
(٦) الآيات ١٩ و٢٠ من سورة الليل .

الظن علمهم وابتغاء وجهه سبحانه نعمة لهم عنده ، ومنه قول الشاعر :—

وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسُ إِلاّ اليَعَافِيرُ وإِلاّ العِيسُ

جعل اليعافير أنيس ذلك المكان ومثله قول النابغة :—

وَقَفْتُ فِيهَا أُصَيْلَانًا أُسَائِلُهَا عَيَّتْ جَوَابًا وَمَا بالرَّبْعِ من أَحَدِ
إِلاّ الأَوَارِيَّ لأْيًا ما أُبَيِّنُهَا والنُّؤْيِ كالحَوْضِ بالمظلومةِ الجَلَدِ

ويعقب ابن يعيش : برفع اليعافير والعيس بَدَلاً من الأَنِيس على الاتّساع والمجاز اذ جعلها أنيسا . وإنّه يجوز الرفع على البدل والتقدير وما بالربع أحد الا الأَوَارِيّ على ان تجعلها من جنس الأَحدين توسعا ومجازا ".(١)

والأعلم الشنتمرى (٤٦٥ هـ) شارح شواهد سيبويه يقول فى بيت أبى ذؤيب : إنّه جعل الأصداء هي أنيس المرثى اتّساعا ومجازا لأنّها تقوم فى استقرارها بالمكان وعمارتها له مقام الأناسي .

وفى بيت جران العود جعل اليعافير والعيس بدلا من الأنيس على ماتقدم من الاتساع والمجاز . وفى بيت ابن الايهم أن (غير) بدل من (عتاب) وجعل الطعن والضرب من العتاب اتّساعا ومجازا كما قالوا عتابك الضرب وتحيتك الشتم أى هذا يقوم لك مقام هذا كما قال عز وجل : " فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ "(٢) أَيْ ، الذى يقوم لهم مقام البشارة هو العذاب الأليم . ويقول عن بيت عمر بن معد يكرب " إنه جعل الضرب تحية على الاتّساع والمجاز ".(٣)

---

(١) شرح المفصل جـ٢ ص ٨٠ .
(٢) الآية ٣٤ من سورة التوبة —.
(٣) الكتاب جـ١ ص ٣٦٤ هامش الصفحة ،بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ، ص ٣٢٠ — ٣٢١ . وانظر : طراز المجالس ص٣٠ طبعة العامرة لشهاب الدين الخفاجى .

وإذا أردنا أن نجرى الاستعارة فى الآية الكريمة " فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ " نجد فيها استعارة تصريحية تبعية تهكمية عنادية . وقد سبق أنّ قلنا " إنّ التنويع " يأتى فى التشبيه والاستعارة ، ويخرج عنهما معا . ونقول: " نزل التضاد منزلة التناسب ، فشبه الانذار بالبشارة بجامع ادخال السرور فى كل ، وان كان تنزيليا بالنسبة للمشبه ، واستعير اسم البشارة للانذار بسبب ادخال الانذار فى جنس البشارة واشتق من البشارة "بَشّر" بمعنى انذر على طريق الاستعارة "(١) . وهنا يكون المبشر هو المنذر به والمبشر هو المنذر.

وهذا عبد القاهر الجرجانى (٤٧١ هـ) حين تحدث عن بيت حبيب بن أوس الطائى أبى تمام :-

لُعَابُ الأَفَاعِى القَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأَرْيُ الجَنَى اَشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ (٢)

قال : " واعلم أنه لايجوز أن يكون سبيل قوله ، لعاب الافاعى القاتلات لعابه . سبيل قولهم : عتابك السيف . وذلك أن المعنى فى بيت أبى تمام على أنّكَ تشبه شيئا بشىء لجامع بينهما فى وصف وليس المعنى فى : عتابك السيف : على أنّك تشبه عتابه بالسيف ولكن على أن تزعم أنه يجعل السيف بدلا من العتاب أفلا ترى أنه يصح أن تقول : مداد قلمه قاتل كسم الأفاعى : ولا يصح أن تقول: عتابك كالسيف : اللهم إلاّ أنْ تخرج الى باب آخر وشىء ليس هو غرضهم بهذا الكلام

---

(١) شروح التلخيص ، حاشية الدسوقى على شرح السعدى جـ٤ ص ٧٨ مطبعة عيسى البابى الحلبى وأولاده سنة ١٩٣٧ م.

(٢) شرح ديوان أبى تمام شرحه وضبطه ايليا الحاوى ص ٤٧١ ط.الأولى ١٩٨١م ودلائل الاعجاز ص ٢٨٣ . الأرْي :العسل . اشتارته : قطفته أي العسل : العواسل التى تقطف العسل . وهذا البيت من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات وقبل هذا البيت :

لك القلم الأَعْلَى الذى بِشَبَاتِهِ تصاب من الأَمْرِ الكُلَى والمفاصلُ

الشباة: ابرة الثوب وحد كل شىء . والكلى والمفاصل : هنا كناية عن المقاتل . يقول

فتريد أنه قد عاتب عتابا خشنا موءلما . ثم أنك ان قلت : السيف عتابك خرجت به الى معنى ثالث ، وهو أن تزعم أن عتابه قد بلغ فى ايلامه وشدة تأثيره مبلغا صار له السيف كأنه ليس بسيف "(١) .

وعبد القاهر — رحمه الله — قد عرف التنويع ، ووضح عدم صلاحية معنى قولهم ، عتابك السيف ، هذا إذا اعتبرناه من باب التشبيه سواء كان تشبيها مستقيما أو معكوسا لأن التشبيه يؤدى الى معنى لم يكن مقصودا عند القائل فيضيع قصده ، وهو أن يجعل السيف بدلا من العتاب ، وليس أن أحدهما شبيها بالآخر . واستطاع عبد القاهر أن يوضح الفرق بين قول أبى تمام لعاب الأفاعى القاتلات لعابه ، وقولهم : عتابك السيف . ونفذ لذلك من خلال المعنى فقال : " إنّ المعنى فى بيت أبى تمام ، على أنك تشبه شيئا بشىء لجامع بينهما فى وصف ، ولكن فى المثال ، عتابك السيف ليس المعنى على أن تشبه عتابه بالسيف . ولكن على أن تجعل السيف بدلا من العتاب ولا يصلح أن تقول : عتابك كالسيف . لأنّه بذلك يخرج عن الدائرة التى نتحدث فيها ، كما يجوز أن تقول : مداد قلمه قاتل كسم الأفاعى .

وتحص عمق الجرجانى فى أخذه ورده وتحليله . ولكنه لم يخرج عن الإطار الذى وضعه سيبويه فى أنّه يقوم مقام ما قبله وينزل منزلته . وبهذا التوضيح يكون عبد القاهر قد وافق سيبويه ولكنه كان أكثر منه توضيحا .

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٢٨٤ — ٢٨٥ . دار المعرفة للطباعة والنشر ، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م — لبنان — بيروت .

وقال الخطيب القزوينى (ت ٧٣٩ هـ) : " ومن البناء على هذا — التنويع قوله : تحية بينهم ضرب وجيع ، وقولهم : عتابك السيف ، وقوله تعالى : " يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ " (١) ومنه قوله:

وبلدةٍ لَيْسَ بِها أَنِيسُ إِلَّا اليعافيرُ والَّا العِيسُ " (١) .

فقد عدّ هذه الأمثلة من التنويع ولم يعلق على شيء منها غير أنّها من التنويع وأنها من باب الإدعاء ، ومعروف عند البلاغيين أن الإدعاء المجازى هو مضمون الجملة وهو لا يخرج اللفظ عن كونه مستعملا فى غير ما وضع له أولاً وأخيراً .

ويعلق السبكى (٣) (ولد ٧١٩ وتوفى ٧٧٣ هـ) بعد بيت جران العود (٥) بقوله :— " كذا قال السكاكى (٤) " يعنى أن هذه الأمثلة من التنويع ، والسكاكى شيخ البلاغيين وأنه سار على درب سيبويه .

ويقول السكاكى (٥٥٥ — ٦٢٦ هـ) : وهو يتحدث عن المستثنى منه أهو حقيقة أم مجاز ؟ فيقول : " وأما المصير الى فروع هذه الأصول عند البلغاء فمن باب الاخراج لا على مقتضى الظاهر بتنزيلها منزلة أصولها بوساطة جهة من جهات البلاغة ، قال تعالى : " وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ، فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ " (٦) وقال : " مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ " (٧) بناء على

---

(١) الآيتان ٨٨ — ٨٩ من سورة الشعراء .
(٢) شروح التلخيص ، كتاب الايضاح لمؤلف التلخيص ، على هامش الصفحة جـ ٤ ص ٦٨ — مطبعة عيسى البابى الحلبى بمصر .
(٣) هو احمد بن على بن عبد الكافى بن على بن تمام السبكى . انظر بغية الوعاة ص ١٤٨ — ١٤٩ ، (٤) شروح التلخيص جـ ٤ ص ٦٧ .
(٥) السكاكى : هو يوسف بن أبى بكر بن محمد بن على بن يعقوب السكاكى سراج الدين الخوارزمى ولد سنة (٥٥٥ هـ وتوفى سنة ٦٢٦ هـ) بغية الوعاة ص ٤١٥ الناشر دار المعرفة بيروت .

التغليب فيهما وقال تعالى :ـ " يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ " (١) . بتقدير حذف المضاف ، وهو إلّا سلامة من أتى الله مدلولاً عليه بقرائن الكلام ، منزلة السلامة المضافة منزلة المال والبنين . بطريق قولهم : عتاب فلان السيف وأنيسه الأصداء . ولك أن تحمل قوله : " يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ " . على معنى لَا يَنْفَعُ شَيْءٌ ما حمل قولك : لا ينفع زيد ولا عمرو على معنى لا ينفع انسان ما . ويكون من منصوب المحل ، وقال القائل :

وبلدة ليس بها أنيس ... إلّا اليَعافير والا العيس (٢)

على معنى أنيسها اليعافير والعيس ، أيّ أنيسها ليسوا إلّا إيّاها .

وقال :ـ

وقفتُ فيها أُصيلاً لا أُسائلها ... أعيت جَواباً وما بالربع من أحد (٣)
إلّا أَوَارِيَّ لَأْيًا ما أُبَيِّنُهَا ... والنُّؤْيُ كالحوض بالمظلومة الجلد

أراد : إن كان الأريّ يعد أحدا فلا أحد فيه بها الا هو " (٤) . واضح أن السكاكي يتحدث عن الاستثناء المنقطع لأنّ المستثنى من غير نوع الأول ، لذلك ، اعتبره اخراج لا على مقتضى الظاهر فدخل في باب التوسع والمجاز فإبليس ليس من جنس الملائكة ، كما أنهم قد جعلوا اتّباع الظن علمهم ، وحسن الظن علمه ويقوم السيف مقام الكتاب واصداء القبور مقام الأنيس ، وما ذكره السكاكي فقد سبقه اليه سيبويه حين تحدث عن هذه النصوص .

---

(١) الآيتان ٨٨ ـ ٨٩ من سورة الشعراء . (٢) انظر ص ٢١٠ من هذه الرسالة
(٣) ديوان النابغة ص ٨ والبيتان من معلقة النابغة الذبياني ، وهو زياد بن معاوية ابن ضباب (ت ١٨ قبل الهجرة سنة ٦٠٤ م) انظر تحقيق عبارات البيت في هذه الرسالة ص ٢٠٧ وشرح المعلقات العشر واخبار شعرائها في ص ١٤١ للشنقيطي
(٤) مفتاح العلوم ص ٥٠٨ ـ ٥٠٩ . دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان .

الفصل الثالث

آراء سيبويه في علم البديع

تأكيد المدح بما يشبه الذم :-

وتحدث سيبويه في " باب ما لا يكون إلاّ على معنى ولكن " عن لون من ألوان البديع ، عرف عند المتأخرين ، بتأكيد المدح بما يشبه الذم فقال : فمن ذلك قوله تعالى : " لاَ عَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إلاّ مَنْ رَحِمَ "(١) أي وَلَكِنَّ مَن رَحِمَ .

وقوله عز وجل : " فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَة آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إلاّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا "(٢) . اى ولكنّ قوم يونس لما آمنوا . وقوله عز وجل : " فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ القُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسَادِ فى الأَرْضِ إلاّ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ "(٣) أي وَلكِن قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا " منهم " . وقوله عز وجل : " الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إلاّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ "(٤) . أي ولكنهم يقولون : رَبُّنَا اللّه .

ومن ذلك من الكلام : لا تكونن من فلانٍ فى شىء إلاّ سلاماً بسلامٍ . ومثل ذلك من الشعر قول النابغة :

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلولٌ من قراع الكتائب(٥)

---

(١) الآية ٤٣ من سورة هود .
(٢) الآية ٩٨ من يورة يونس .
(٣) الآية ١١٦ من سورة هود .
(٤) الآية ٤٠ من سورة الحج .
(٥) الفلول : جمع فل . وهو الثلمة فى حد السيف . والقراع : المضاربة بالسيوف الكتائب : الجيوش . وفى البيت تأكيد المدح بما يشبه الذم . المصادر ديوان النابغة الذبيانى ص ١١ تحقيق وشرح كرم البستانى . دار صادر بيروت . النابغة الذبيانى . عمر الدسوقى ، ط السادسة ١٩٧٤م ١٩٧٥م الطبع والنشر دار الفكر العربى . الكتاب ص ٣٦٧ جـ ١ . شروح التلخيص جـ٤ ص ٣٨٧ والهمع جـ١ ص ١٣٢ .

أَيْ وَلَكِنّ سيوفهم بِهِنّ فُلُولٌ . وقال النابغة الجعدى :

فَتى كَمُلت خيراته غَيْرَ أَنّهُ جَوَادٌ فَلاَ يُبْقِى مِنَ المَالِ بَاقِيا (١)

كأنه قال : ولكنه مع ذلك جواد . ومثله قول الفرزدق :ـ

وما سَجَنُونى غيرَ أَنّى ابنُ غَالِبٍ وأَنّى مِنَ الأَشْرَيْنَ غَيْرِ الزَّعانِفِ (٢)

كأنه قال : ولكنّى ابن غالب " (٣) .

فبدأ سيبويه ، حديثه بالقرآن الكريم ثم بكلام العرب ثم بأشعارهم عن هذا النوع من أساليب الاستثناء الذى عرف عند البلاغيين ، بتأكيد المدح بما يشبه الذم ، بأن يبالغ فى المدح إلى أَنْ يَأْتى بعبارة يتوهم السامع فى بادىء الأمر أنه ذم ، ثم ينفى عن الممدوح صفة الذم ، ويستثنى من صفة الذم المنفية صفة مدح بتقدير دخولها فيها ، قال الزمخشرى (٤٦٧ ـ ٥٣٨ هـ) : فى قوله تعالى : " لاَ عَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاّ مَن رَحِم " إِلاّ مَن رَحم استثناء منقطع كأنّه قيل : ولكن من رحمة الله فهو المعصوم . وفى الآية الثانية " فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَة آمَنَت فَنَفَعَهَا إِيمَانها إِلاّ قَوْمَ يُونُس لَمّا آمَنُوا " ، قَرأَ أُبَيّ وعبد الله فهلاّ كانت (إِلاّ قَوْمَ يُونُس) استثناء من القُرَى لأَنّ المراد أَهَاليها وهو استثناء

---

(١) ديوانه ص ١٧٣ وخزانة الأدب جـ٢ ص ١٢ وشرح شواهد المغنى ص ٢٠٩ وشروح التلخيص ص ٣٩٣ جـ٤ . والمهمع جـ ١ ص ٢٣٤ .

(٢) ديوانه ص ٥٣٦ من قصيدة يمدح فيها هشاما ، ويذكر حبس خالد بن عبد الله العرى له ، ويستعدى عليه هشاما ، وانظر : الاغانى للاصفهانى ص ١٩ ـ ٢٣

(٣) الكتاب جـ١ ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧ بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ص ٣٢٥ ـ ٣٢٧

منقطع بمعنى ، ولكن قوم يونس لما آمنوا . وفى قوله تعالى :ـ " فَلَوْلَا كَانَ مِن القُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسَادِ فى الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا هم منهم " الا قليلا استثناء منقطع معناه ، ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون ، نهو عن الفَسَاد وسائرهم تاركون للنهى ، ويسترسل جار الله الزمخشرى ، ثم يطرح سوءالاً ويجيب عليه فيقول : هل لو قوع هذا الاستثناء متصلا ، وجه يحمل عليه ؟ ويتطوع بالإجابة على سوء اله . فيقول : إنْ جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسداً لأنّه يكون تحضيضا لأولى البقية على النهى عن الفساد ، الا للقليل من الناجين منهم (١) " . والتحضيض : هو الترغيب القوى فى فعل شئ أو تركه ، وتظهر القوة فى اختيار الكلمات الجزلة . و فى الآية الرابعة "الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللّه " يقول البيضاوى ابو الخير عبد الله بن عمر (ت ٦٨٥ هـ ، ٦٩١ هـ) : " إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللّه " على طريقة قول النابغة : ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم .. بهن فلول من قراع الكتائب وقيل منقطع (٢) " .

ونحن نلحظ أن الزمخشرى ،تقصى أثر سيبويه فى توضيح هذا الاستثناء البليغ وتقديراته ، وكذلك القاضى البيضاوى ، الذى فسّر أن ما جاء فى الآية بأنه استثناء منقطع وان صدر ذلك بأداة التضعيف والتمريض " قيل " ولكنه قال:

---

(١) الكشاف جـ٢ ص ٢٧١ ، ٢٥٤ ، ٢٩٨ .
(٢) أنوار التنزيل واسرار التأويل ص ٤٤٥ تفسير البيضاوى .

ان الذى جاء فى الآية على طريقة قول النابغة الذبيانى ، والذى تناولته جميع كتب البلاغة ولا ريب أنهم توسعوا فى ذلك ، ولكنهم ساروا على نمط سيبويه وبعد أن جاء سيبويه بأمثلة من القرآن الكريم ، لهذا النوع من البديع ، قال إنّ مثله كثير فى القرآن ومثل له من كلام العرب ، لأنّ هذا النوع من ألوان البديع ، إنّما يُوَشّي الكلام ويزينه . ويقول : " لا تكونن من فلانٍ فى شىء إلّا سلاماً بسلامٍ ، ومثل ذلك أيضا من الكلام فيما حدثنا ابن الخطاب : مازاد إلا ما نقص وما نفع إلّا ما ضرّ "(١) . فقد نهى أوّلاً أن لايكون من فلان فى أيّ صفة من الصفات لأنّها غير حميدة ومذمومة ، ثم استدرك واستثنى من صفة الذم المنفية عن الشيء صفة مدح كانت داخلة فى صفة الذم المنفية وهى إلّا سلاماً بسلامٍ " . وقال السيرافى فى قول ابن الخطاب : "كأنه قال : مازاد إلّا النقصان ولا نَفَع إلّا الضَّرَر ، أى مازاد النهر إلّا النقصان وما نفع زيد إلّا الضرر على معنى ولكنّه ، وتقديره : مازاد ولكن النقصان أمره ، وما نفع ولكن الضرر أمره "(٢) . ثم جاء بأقوال الشعراء التى منها قول النابغة الذبيانى: الذى كان يمدح ملوك الغساسنة فى بائيته المشهورة .

فقال :—

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

أى ولكن سيوفهم بهن فلول "(٣) .

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٣٦٧ بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ص ٣٢٦ .

(٢) الكتاب جـ١ نفس المرجع السابق : يراجع الهامش .

(٣) الكتاب جـ١ ص ٣٦٧ بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ص ٣٢٦ .

ويقول التفتازانى (ت ٧٩١ هـ) : " تَأْكِيدُ المَدْحِ بِمَا يَشْبَه الذم أَنْ ، يستثنى من صفة ذم بنفيه عن شيء صفة مدح ، لذلك الشيء ، بتقدير دخولها فيها أى دخول صفة المدح فى صفة الذم . كقوله :—

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول

جمع فل وهو الكسر فى حَدّ السيف (من قراع الكتائب) أَيْ من مضاربة الجيوش (أَيْ إِنْ كَانَ فُلُول السَّيْفِ عيبا فأثبت شيئا منه) ، أَيْ من العيب (على تقدير كونه منه) ، أَيْ كون فلول السيف من العيب (وهو) أَيْ هذا التقدير وهو كون الفلول من العيب (محال) لأَنَّه كناية عن كمال الشجاعة (فهو) أَيْ اثبات شيءٍ من العيب على هذا التقدير (فى المعنى تعليق بالمحال) كما يقال: " حَتَّى يَبِيضَ القَارّ وَحَتَّى يلج الجَمَل فى سمّ الخِيَاط "(١) .

ودرج البلاغيون من شراح التلخيص وغيرهم على تناول هذا البيت فى علم البديع مستشهدين به على تَأْكِيد المدح بما يشبه الذم ويبقى السبق لسيبويه حيث تناول ذلك قبل تسمية المتأخرين من البلاغيين له بذلك ، ولم يكن التخريج الذى وضعه له إِلاّ نبراساً اهتدى به من تناوله بعده ، من أنه استثناء صفة مدح من صفة ذم منفية ، مبالغة فى المدح .

ويعقب الأَعلم الشنتمرى (٤٧٦ هـ) على بيت النابغة الذبيانى ليبين ما يريده سيبويه فقال :— " وهو على معنى ولكنّ سيوفهم بهن فلول ، وتفلل سيوفهم ليس بعيب لأَنّه على الاقدام ومقارعة الأقران . مدح آل جفنة ملوك الشام من غسان فنفى عنهم كل عيب وأَوْجب لهم الاقدام فى الحرب واستثنى من ذلك من جملة العيوب

---

(١) شروح التلخيص جـ٤ ص ٣٨٦ — ٣٨٧ . التفتازانى هو الشيخ سعد الدين بن مسعود ابن عمر بن عبد الرحمن بن عمر صاحب تلخيص المفتاح . انظر بغية الوعاة ص ٤٢٨ .

(١)

مبالغة فى المدح وهو ضرب من البديع يعرف بالإستثناء " .

فإذا كان فى ذباب السيف ثَلْمًا وتفللا ، فهذا ليس عيبًا حتى ندعو لاخراجه من البيت ، لذلك قال سيبويه إن الاستثناء منقطع بمعنى لكن ، بمعنى إن المستثنى ليس من جنس المستثنى منه ، وأن الشاعر قد نفى العيب عن هؤلاء نفيا عاما ، ثم أثبت لهم ما يسوهم أنه عيب . وهو تكسير سيوفهم فى مقارعة ومضاربة الأعداء ، وهذا قمة المدح وليس بعيب ، وبذلك فقد أكد المدح بما يشبه الذم .

وتعقيب سيبويه على بيت النابغة الجعدى :—

فَتى كملتْ خيراته غير أنّه جواد فما يبقى من المال باقيا

وقوله : " كأنه قال : ولكنّه مع ذلك جواد " يبين أن سيبويه على علم بأن الشاعر يخلع على الممدوح صفة مدح ولا يسلبها عنه ، من أجل تأكيد المدح وان فهم من ظاهر الاستثناء أنه ذم وليس مدحًا لأنّ المستثنى ليس من جنس المستثنى منه فالإستثناء منقطع .

وعقب الأعلم على هذا البيت ، فقال : " لأنّه استثنى جودة واتلافه للمال من الخيرات التى كملت له مبالغة فى المدح فجعلهما فى اللفظ كأنهما من غير الخيرات كما جعل تفلل السيوف كأنّه من عيوب الممدوحين .

وفى بيت الفرزدق يعقب سيبويه بقوله : ولكنّ ابن غالب . ويعقب — الأعلم فيقول : " ويجعل سجنه غير معدود عنده سجنا لأنه لم ينقصه ولا حط من شرفه ولا أعدل عزه لأن من كان عنده منتسبا الى مثل أبيه غالب ومنتميا

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٣٦٧ . — الهامش ط. بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ .

الى مثل قومه الأشراف لا يبالى ماجرى عليه من حبس وغيره "[1] .

ويعلق الدكتور خفاجى على بيتى النابغة الجعدى والذبيانى فيقول :ـ

" فهو استثنى جوده واتلافه للمال من الخيرات التى كملت له ، مبالغة فى المدح ، فجعلها فى اللفظ كأنّها من غير الخيرات ، كما جعل تفلل السيوف كأنه من العيوب "[2] .

وقد ذكر عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) : البيتين الذين استشهد بهما سيبويه فى باب تأكيد المدح بما يشبه الذم فى كتاب البديع ولم يذكر[3] أن سيبويه قبل ذلك واستشهد بهذين البيتين ويكون من رد الفضل لأصحابه وقد تداول البلاغيون البيتين فى كتبهم عبر العصور .

الأثر النفسى الذى دفع البلاغيين لذلك :ـ

تحدث ابن السيد البطليوس (٥٢١ هـ) عن مدى حب العرب لهذا اللون البلاغى وجاء فى الأدب وعن الأثر النفسى الذى دفعهم لاستعماله . فقال :

" والوجه فى استعمال العرب هذا الاستثناء ، أن اللئيم الطبع من الناس لما كان مضادا للكريم الطبع ، صار يعتقد فى المحاسن أنها قبائح ، وفى القبائح أنها محاسن ، فيعتقد فى السخاء أنه تبذير ، وفى الشجاعة أنّها هوج وفى

---

(١) الكتاب جـ ١ ص ٣٦٧ هامش المصدر السابق .
(٢) البديع لابن المعتز ص ٥ ٦٩ ضمن كتاب ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان .
(٣) الاقتضاب ص ٢٩١ ابن السيد البطليوس ط بيروت . لبنان ١٩٠١م .

الحلم أنه ذل ، ويرى الصواب والسداد فى أضدادها "(١) .

ويعنى أن الأدباء يخلبون اللب بهذا اللون من الأساليب إنما يستحوزون على نفوس الناس على اختلاف نزعاتهم وما فيهم من الصفات الحميدة ولوءم النفوس فلو قيل : مافى حاتم عيب إلا الكرم ،ففيهم من ذلك أنه لا عيب فيه إلا أن يعتقد أحد أن الكرم من العيوب ، فيكون الكرم عيباً . فالكرم لا عيب فيه عند الكريم لأن قيمه ومثله ودينه يأمره بذلك . بينما الكرم عند البخيل عيب كبير لأنه يرى فيه الاسراف والتبذير الذى تكرهه النفس . وكذلك الشجاع يرى أنها صفة حسنة ونبيلة بل هي من صفات ،الفيئة التى اختارها الله واصطفاها من بنى البشر لحمل الرسالة ، صفة الانبياء — صلوات الله و سلامه عليهم . ويرى الحليم الحلم صفة كريمة يجب أن يتصف بها بينما اللئيم يرى أن الحلم ذل ومهانة وسحر هذا اللون فى الأسلوب — تأكيد المدح بما يشبه الذم — وجماله يرجع الى تنبيه السامع وتوقفه على كل شىء لم يكن يتوقعه لأن المتكلم قد مدح الممدوح غاية المدح أوذمه غاية الذم ، فالسامع إنما يتلقى حكما مجملا عاما ثم يصبح يتلقاه شيئا خاصا واضحا لديه بعد أداة الاستثناء وهذا الاستثناء ليس كالاستثناء الذى تحدثنا عنه فى القصر ومثلنا له بقول سيبويه : ما أتانى إلا زيد : فهذا ، استثناء عادى ولكن هذا النوع الذى يتحدث عنه له سحر يكمن فى تنبيه السامع " وإن صلة البلاغة بالنفس قديمة وتشمل التراث البلاغى متقدمه ومتاخره ، وتتمثل

---

(١) انظر أثر النحاة فى البحث البلاغى ص١٣٧ . دار قطرى بن الفجاءة ، ط. الثانية .

فى جوانب متعددة منها معنى البلاغة والبيئة والطبع والأسرار البلاغية والألفاظ والحروف والتذوق الأدبى وغيرها وقد شهد بقدم تلك العلاقة دعاة ذلك الاتجاه أنفسهم فالمرحوم (أمين الخولى) يذكر فى فن القول : " أن البلاغيّين القدامى حاولوا على قدر طاقتهم الربط بين البلاغة وعلم النفس "(١) . ومحمد خلف الله : "ذكر ما سبق من أن طريقة التذوق والتأمل الباطنى بلغت القمة لدى عبد القاهر فى أسرار البلاغة "(٢) . ولا شك أن عبد القاهر قطب من أقطاب البلاغة العربية وأن هذا الأثر النفسى لم يكن جديدا وأن سيبويه قد طرق هذا من قبل وتحدث فيه وما حرك أذواق البلاغيين المحدثين من بعده إلا آراء السابقين وسيبويه على قمة هذا الرعيل . وأن الصلة البلاغية بالنفس قديمة وتشمل التراث البلاغى والبيئة والطبع والأسرار النفسية وقد كان حظ النفس واضحا فيما أثر من تعريفات للبلاغة عند قدامى البلاغيين ومتأخريهم ، نلمس ذلك واضحاً فى تعريف أبى هلال العسكرى (ت ٣٩٥ هـ) حيث قال : " البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه فى نفسه لتمكنه فى نفسك ، مع صورة مقبولة ومعرض حسن "(٣) .

---

(١) فن القول ص٢٠ طبعة الحلبى — القاهرة — أمين الخولى .
(٢) من الوجة النفسية . محمد خلف الله ص ٩٢ — ٩٤ . وانظر بحوث ومقالات فى البلاغة . الطبعة الأولى . فتحى عبد القادر فريد — القاهرة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .
(٣) الصناعتين ص ٨ الطبعة الأولى ١٣٢٠هـ محمد أمين الخانجى وانظر بحوث ومقالات فى البلاغة ط الأولى ١٤٠٤ هـ مكتبة النهضة القاهرة .

التجـــــريـــد :ـ

قال سيبويه : (في باب ما يختار فيه الرفع ويكون فيه الوجه في جميع اللغات " : " ولو قال : أما أَبُوكَ فَلَكَ أَبٌ ، لكان على قوله : فَلَكَ بِهِ أَبٌ ، أَوْ فيه أَبٌ وإنما يريد بقوله : فيه أَبٌ ، مجرى الأب على سعة الكلام "(١) .

وقول سيبويه : " فَلَكَ بِهِ أَبٌ أَوْ لَكَ فِيهِ أَبٌ " فيه تجريد ، وهـــو مخاطبة الإنسان نفسه ، فيجرد منها انسانا يخاطبه على سبيل المبالغة في كمال الصفة فيه حتى أنه ليتجرد منه مثله على التوسع في الكلام . وسيبويه كان ، ذكره للتجريد في كتابه لم يتجاوز هذين السطرين ، ولكن كانت إشارته كافيـــة لكي يتناول علماء البديع فيما بعد ذلك بالشرح والتحليل .

قال ابن جني : (ت ٣٩٢ هـ) : " لئن لقيت زيداً لتلقينّ منه الأسد ولئن سألته لتسألنّ منه البحر . فظاهر هذا أن فيه من نفسه أسداً وبحراً وهو عينه هو الأسد والبحر ، لا ، أنّ هناك شيئا منفصلا عنه وممتازا منه وعلى هذا يخاطب الانسان منهم نفسه ، حتى كأنّها تقابله أو تخاطبه ومنه قول الأعشى :(٢)

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ ؟

---

(١) الكتاب جـ١ ص ١٩٥ . بولاق — عبد السلام هارون جـ١ ص ٣٩٠ .

(٢) ديوان الأعشى ص ١٤٤ . الناشر دار الصادر — بيروت — لبنان . والأعشى هو ميمون بن قيس وكنى بأبي بصير تفاؤلا له بشفاء بصره ، وسمي صناجة العـــرب لأنه كان يتغنى بشعره . توفي سنة (٧ هـ ٦٢٩ م) .

وهو الرجل نفسه لا غيره ، وعليه قراءة من قرأ: (قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(١) أي أعلم أيها الانسان وهو نفسه الانسان . وقال تعالى: " لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ "(٢) وهي نفسها (دَارُ الْخُلْدِ) وقد تستعمل الباء هنا فتقول : لقيت به الأسد وجاورت به البحر أَيْ لقيت بلقائي إِيَّاه الأسد . ومنه مسألة الكتاب(٣) : أَمَّا أَبُوكَ فَلَكَ أَبٌ ، أَيْ لَكَ مِنْهُ أَوْ بِهِ أَوْ بِمَكَانِهِ أَبٌ " . فالاستشهاد بمسألة الكتاب يدل على سبق سيبويه وحديثه عن التجريد وإنْ كان مُقِلاًّ في ذلك ، وأَتَى به (بالباء) التي تكون لتشبيه الشيء بغيره و (بفي) وهذا النوع من التجريد يكون الانتزاع فيه (بالباء وفي) وحدهما للمبالغة .

وقال ابراهيم بن السرّي بن سهل الزجاج (ت ٣١٣ هـ) في باب — التجريد : " وهو باب شريف لطيف يعز وجوده في كتبهم ، وقال : ومسألة — الكتاب ، جاء بالباب : أَمَّا أَبُوكَ فَلَكَ بِهِ أَبٌ ، أَيْ لَكَ منه أو به أَيْ : بمكانه أَبٌ "(٤) .

وقال أبو علي الفارسي شيخ ابن جني — (ت ٣٧٧ هـ) : " لك به أَبٌ ، أَيْ : بمكانه "(٥) . وقال ابن يعقوب المغربي في مواهب الفتاح : "ومنها أَيْ ومن أقسام التجريد ما يكون حاصلا بالباء التجريدية الداخلة على المنتزع

---

(١) الآية ٢٥٩ من سورة البقرة . وهذه القراءة بصيغة فعل الأمر قراءة حمزة والكسائي ويعقوب وخلف كما في الإتحاف ص ١٦٢ . انظرها مش الخصائص جـ٢ ص ٤٧٤ .

(٢) الآية ٢٨ من سورة فصلت .

(٣) الخصائص أربعة أجزاء لابي الفتح عثمان بن جني جـ٤ ص ٤٧٤ — ٤٧٥ .

(٤) اعراب القرآن المنسوب للزجاج جـ٢ ص ٦٦٤ — ٦٦٥ .

(٥) نفس المرجع السابق .

منه نحو قولهم : فى المبالغة فى وصف فلان بالكرم ،(لِإِنْ سَأَلْتَ فلا نًا لتسألنّ به البحر) فقائل هذا القول بالغ فى اتصاف فلانٍ بالسماحة حتى صار بحيث ، ينتزع منه كريم آخر ، يسمى بحراً مثله فى الكرم ، والباء هذه حيث قامت ، قرينة على أن المراد بالبحر ما يجرد من مدخولها ما يناسبها من معانيها الأصلية أن تكون للمصاحبة أى لتسألنّ مع فلان حين سوءالك له بحراً آخر معه يسأل لكونه مثله فى الكرم . ومنها أَيْ ومن أقسام التجريد ما يكون حاصلا بدخول (فى) على المنتزع منه وذلك نحو قوله تعالى : فى التهويل بأمر جهنم ووصفها بكونها محلا للخلود وكونها لا يعتريها ضعف ولا اضمحلال ولا انفكاك أهلها عن عذابها (لَهُمْ فِيهَا دَارُالخُلْدِ) أَيْ لهم فى جهنم دار الخلد وهى أَعْنى جهنم نفسها (دَارُ الخُلْدِ) ولكن بولغ فى اتصافها بكونها دارا ذات مخلد ، وفى ، هنا للظرفية فكأنّه قيل : إِنّ ثم داراً أُخْرى كانت فى هذه الدار التى هى دارهم الملازمة لهم التى لا ينفك عنهم عذابها ولا يضعف مع طول الخلود ولا يغنى يتصرم الأحقاب فكأنّه قيل ما أعظم تلك الدار فى لزومها وكونها لا تضعف بالخلود حتى أنها تفيض بدار أخرى مثلها فى اللزوم وقوة العذاب بلا ضعف مع التخليد .(١)

ونحن كلما ازددنا عن عصر سيبويه بعدا ، نجد التفصيل والتحليل أكثر عند علماء البلاغة ولكن يبقى شَيْءٌ ثابت وهو أن القاعدة التى خطها سيبويه نسج عليها العلماء ليطوروها لتناسب كل عصر ، وقد برهنت استشهادات

---

(١) شروح التلخيص جـ٤ ص ٣٥١ — ٣٥٢ .

العلماء المتقدمة على مدى معرفة سيبويه بالتجريد . والباحث المنقب فى الكتاب لن يختصر على ما تحدثنا عنه ، ولكنه لا ريب أنه سيجد أبوابا أخرى لم نتعرض اليها فى علوم البلاغة الثلاثة التى تحدثنا عنها — المعانى والبيان والبديع — ويجد علماً ثرّاً لأنّ الكتاب عميق عمق سيبويه ، وقد يضيف الباحثون الى ما تعرضنا له ما يشبع نهم محبى البلاغة العربية وفنونها المختلفة ، وقديما قيل : الليالى حبالى يلدن كل جديد . ونحن إذا قلنا إنّ الدّراسات الأدبية والنقدية ، سوف تميط اللثام وتنفض الغبار عن الكنوز ، الثمينة المدفونة ، التى ما زالت بعيدة عن متناول القراء ، لا أظن اننا نخطىء

الفصل الرابع

تأثير سيبويه فى علماء البلاغة والبلاغيين

تأثير سيبويه فى علم البلاغة :—

فقد ترك لنا سيبويه اشارات كثيرة فى كتابه ، ادخلت فيما بعد تحت اسم البلاغة ،يقول : " هذا باب استعمال الفعل فى اللفظ لا فى المعنى لاتساعهم فى الكلام وللايجاز والاختصار " . ويستشهد على ذلك بقوله تعالى :— " وَسْئَلِ القَرْيَةَ الَّتِى كُنَّا فِيهَا والعِيرَ الَّتِى أَقْبَلْنَا فِيهَا " . ثم يقول: إنما يريد أهل القرية فاختصر . ومثله فى قوله : " بَلْ مَكْرُ اللَّيلِ والنَّهَار " وإنما المعنى بل مكركم فى الليل والنهار ، وقال تعالى : " لَكِن البرّ مَن آمَنَ باللّه " ومثله فى الاتساع قوله عز وجل " وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً " فلم يشبهوا بما ينعق وانما شبهوا بالمنعوق به ، وإنما المعنى مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذى لا يسمع ولكنه جاء على سعة الكلام والايجاز ، لعلم المخاطب بالمعنى . ومثل ذلك من كلامهم : بنو فلان يطوء هم الطريق ، وانما يطوء هم أهل الطريق "[1] .

ومثل ذلك ما يقوله فى تعليل الاضمار والحذف[2] . وتعليل تقديمهم للفاعل وكل ما يتصل بالمسند والمسند إليه ، وما يعترضهما من حذف وذكر وتقديم وتاخير وتقديم بالمسند والمسند اليه ، وما يعترضهما من حذف وذكر وتقديم وتأخير وتعريف وتنكير[3] . وما يتصل بأساليب العرب فى التعجب والاستفهام وخروجه عن معناه[4] .

---

(١) الكتاب جا ص ١٠٨ — ١٠٩ وانظر جا ص ١٥٩ بولاق . عبد السلام جا ص ٢١١ ٢١٤ — وانظر جا ص ٣١٦ .

(٢) الكتاب جا ص ١٣٨ — ١٤١ بولاق . عبد السلام جا ص ٢٧٣ — ٢٨٠ .

(٣) الكتاب جا ص ١٥ بولاق . عبد السلام هارون جا ص ٣٤ .

(٤) الكتاب جا ص ٣١٨ — ٣١٩ . بولاق . عبد السلام جا ص ٢١٥ — ٢١٧ .

فسيبويه قد تحدث عن علوم البلاغة الثلاثة ، فتعرض فى المعانى : للحذف ، والذكر ، والاضمار ، والزيادة ، زيادة الحروف والكلمات ، والتقديم والتأخير ، والاستفهام ، والتعجب وخروجهما عن معناهما ، والفرق بين الهمزة وأدوات الاستفهام الأخرى ، والفصل والوصل وعطف الانشاء على الخبر بين الجواز والمنع والمجاز العقلى او الحكمى ، والتعريف والتنكير ، والنظم والقلب وخروج الكلام عن مقتضى الظاهر والقصر . كما تحدث عن البيان فى كل من التشبيه والتمثيل وادوات التشبيه والاستعارة والاستعارة فى الحروف والاستعارة بالكناية وقرينتها ، والكناية والمجاز بالحذف والتنويع ، ولم يقتصر سيبويه على الحديث عن هذين النوعين فحسب ، ولكن تحدث ايضا عن بعض ألوان البديع مثل : تأكيد المدح بما يشبه الذم والأسرار النفسية لهذا اللون من البديع وتكلم عن التجريد ، وإن كان مقلاً ، ولكنه فتح الباب أمام البلاغيين بذلك وقد تضمن الكتاب كثيرا من السور البلاغية ومثل لها أمثلة مختلفة من القرآن الكريم الذى هو قمة البلاغة العربية ومن كلام العرب المنثور واشعارهم ، وشرح كل ذلك شرحا بلاغيا ، وفى كثير من الأحيان يتناول المثال بالطريقة التى سار عليها علماء البلاغة فيما بعد إلا أنه لم يذكر لها اسماء اصطلاحية وذكر المصطلحات والمسميات فى عصر سيبويه لم يكن امرا ذا بال ، لان العلوم لم تكن تحددت فى القرن الثانى الهجرى وإنما كانت العلوم والفنون وقتئذ متداخلة يُثْرِى بعضها بعضاً ، فالنحو والصرف والأدب والبلاغة والنقد والعروض وفقه اللغة أو علم الأصوات كل ذلك كان يحويه كتاب سيبويه ، كما أن النحو لم يكن عند سيبويه مقصورا على الاعراب والبناء أو على الجزئيات الفرعية التى نعنى بها اليوم وإنما كان علماً يؤدى الى فهم كلام العرب وعدم اللحن فيه والتأليف

على نسقه ولذلك فنحن نجد فى الكتاب "باب ما يحتمل الشعر وباب (١) الاستقامة فى الكلام والإحالة ، وباب اللفظ للمعانى ، وباب مايجوز (٢) (٣) من (إيَّا) فى الشعر ولا يجوز فى الكلام ، ولما تجد فيه أبْواباً فى الإمالة (٤) (٥) وابواباً فى الوقف ، ولكن كلها كانت روافد تغنى شيئا واحداً ، وهو اللغة (٦) وتحافظ على سلامتها وجمالها وذوقها ، لذلك نجد سيبويه لم يتناول علما واحدا من تلك العلوم ، ولكن تحدث عنها جميعا فى كتابه ، ولم يفصل هذا العلم عن ذاك ، ووُقف الى ربط النحو بالمعانى ، وجاء من العلماء بعده من ابدع فى ذلك الى أنْ جاء ابو يعقوب السكاكى (ت٦٢٦ هـ) ففصل بعض هذه العلوم عن بعض نتيجة لتأثره بثقافته النحوية والمنطقية والكلامية فصبغ البلاغة بصبغة العلوم ، فجاءت الحدود والتعريفات والتعقيدات والتقسيمات على علوم البلاغة فأصبحت البلاغة جافة ، وسار كثير من العلماء الذين تأثروا به من بعده من خلال دراستهم لكتابه — مفتاح العلوم — والذى قسمه ثلاثة أقسام . القسم الأول منها للصرف ، والقسم الثانى للنحو والقسم الثالث للبلاغة وما تحتوى عليه من علوم المعانى ، والبيان ، والبديع ، وما يلحق بهذه العلوم من قافية وعروض . بيد أن البلاغة كانت تطبيقية تحيا فى النماذج والنصوص

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٨ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٢٥ .
(٢) الكتاب جـ١ ص ٨ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٢٦ .
(٣) الكتاب جـ١ ص ٨ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٢٤ .
(٤) الكتاب جـ١ ص ٣٨٢ بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ص ٢٦٢ .
(٥) الكتاب جـ٢ ص ٢٥٩ — ٢٧٠ بولاق . عبد السلام هارون جـ٤ ١١٧ — ١٤٠
(٦) الكتاب جـ٢ ص ٢٨١ — ٢٨٩ بولاق . عبد السلام هارون جـ٤ ص ١٦٨ — ١٨٥

البليغة . ويأخذ بيدك البليغ ليفتح قلبك وعينيك على الجمال ، ويثير فيك الرغبة في استشعاره وتذوقه تذوقا تطمئن اليه النفس ويرضى به العقل ، كما كان يفعل عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ) وغيره .

تأثيره في البلاغيين :-

قال علي النجدي : " ويبدو أن النسق الذي أخذ به سيبويه هو الذي ألهم علماء المعاني فكرة مباحثه في أبوابه الثمانية المعروفة وليس يسع المرء (١) وهو يقرأ كلامهم في ذلك الا أن يتبين اقتباسهم منه واقتداءهم بهداه " وكان لسيبويه أثر في البلاغيين من بعده ، فنجد أمثلته تدور في كتب البلاغيين من بعده وكثير منهم ينسبها اليه مثل ابن جني والزجاج وعبد القاهر وغيرهم فكانوا أمناء في النقل كأمانته هو نفسه مع شيوخه والأخذ منهم ، ومن البلاغيين من أخذ من سيبويه ولم يشر الى ذلك . فهذا أبو هلال العسكري (ت - ٣٩٥ هـ) في الفصل الثاني من الباب الثاني ، حين تحدث عن خطأ المعاني وصوابها فقال : " والمعاني بعد ذلك على وجوه ... منها ما هو مستقيم حسن نحو قولك : قد رأيت زيدا .. ومنها ما هو مستقيم قبيح ، نحو قولك قد زيدا رأيت ، وانما قبح لأنك أفسدت النظام بالتقديم والتأخير .. ومنها ما هو مستقيم النظم وهو كذب مثل قولك : حملت الجبل وشربت ماء البحر .. ومنها ما هو محال كقولك : آتيك أمس وأتيتك غدا " (٢) . قد نقل هذا التقسيم الذي ذكره سيبويه (١٨٠ هـ) عن تأليف العبارة وما فيها من حسن أو قبح واستقامة أو إحالة والمعنى وما فيه من صدق أو كذب في قوله " هذا باب الاستقامة من الكلام ، والإحالة " ولم ينسب الكلام الى صاحبه وقد وصفه محمد مندور بقوله " وأمثال (٣)

---

(١) سيبويه امام النحاة ص ١٨٥ وينظر شروح التلخيص جـ١ ص ١٦١ - ١٧٢ .

ذلك من الكلام الرقيع الذى طغى وهذا التمسك المنطقى السقيم " لان طريقة معالجته لم تكن سليمة ، بيد أن سيبويه ذكر ذلك فى كلمات مختصرة وموجزة ، أدت المعنى فى بساطة ويسر ولم تتجاوز عدة أسطر . وقد قبس عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١ هـ) فى كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز من سيبويه فقال سيبويه فى باب عنوانه : " هذا باب استعمال الفعل فى اللفظ لا فى المعنى " ومما جاء على اتساع الكلام والاختصار ، قوله تعالى : " وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِى كُنَّا فِيهَا والعِيرَ الَّتِى أَقْبَلْنَا فِيهَا " وإنما يريد أهل القرية فاختصر ، وعمل الفعل فى القرية كما كان عاملا فى الأهل لو كان هنا . ومثله : " بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ والنَّهَارِ " وانما المعنى : بل مكركم فى الليل والنهار ... ومثله فى الاتساع قوله عز وجل " وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً " فلم يشبهوا بما ينعق وانما شبهوا بالمنعوق به ، وانما المعنى : مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذى لا يسمع ولكنه جاء على سعة الكلام والايجاز لعلم المخاطب بالمعنى . ومثل ذلك من كلامهم بنوفلان يطؤهم الطريق وانما يطؤ هم أهل الطريق . ومن ذلك قولهم : أكلت بلدة كذا وكذا ، — وأكلت أرض كذا وكذا ، انما يريد أنه أكل من ذلك وشرب وأصاب من خيرها " (١) (٢)

وقال عبد القاهر : " واعلم أن الكلمة كما توصف بالمجاز لنقلك لها عن معناها كما مضى ، فقد توصف به لنقلها عن حكم كان لها الى حكم ليس هو بحقيقة فيها ، ومثال ذلك أنّ المضاف اليه يكتسب اعراب المضاف فى نحو وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ ، والأصل واسأل أهل القرية . فالحكم الذى يجب لأهل القرية

---

(١) النقد المنهجى عند العرب ص ٣٢٤ ، د . محمد مندور . دار النهضة مصر للطبع والنشر — الفجالة — القاهرة .

فى الأصل وعلى الحقيقة ، هو الجر والنصب فيها مجاز ، وهكذا قولهم : بنو فلان تطؤهم الطريق ، يريدون أهل الطريق (١) " ، ولا تزال أمثلة سيبويه الآنفة الذكر تتردد فى بابَيْ المجاز والتشبيه من كتب البلاغة الأخرى (٢) . وقال سيبويه من باب عنوانه : " هذا باب من النكرة يجرى مجرى مافيه الألف واللام من المصادر والأسماء " .. وان شئت رفعت هذا كله . فجعلت الآخر هو الأول مجاز على سعة الكلام ، من ذلك قول الخنساء (٣) :

ترتع ما رَتَعتْ حتى إذا ادّكرتْ فَإنّما هي إقبالٌ وإدبارُ

فجعلها الإقبال والإدبار ، فجاز على سعة الكلام كقولك : (نهارك صائم وليلك قائم) (٤)

وقال عبد القاهر : ومما طريق المجاز فيه الحكم قول الخنساء ، ترتع مارتعت — البيت — وذلك أنّها لم ترد بالإقبال والإدبار غير معناهما فتكون قد تجوزت فى نفس الكلمة وانما تجوزت فى أن جعلتها لكثرة ما تقبل وتدبر ولغلبة ذاك عليها . واتصاله بها وأنه لم يكن لها حال غيرهم كأنها قد تجسمت من الاقبال — والإدبار " (٥) . وقال سيبويه فى " باب ما يحسن عليه السكوت فى هـــذه

---

(١) أسرار البلاغة ص ٣٧٤ — ٣٧٥ . تعليق محمد عبد العزيز النجار ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧م . مكتبة ومطبعة محمد على صبيح — القاهرة .

(٢) انظر الطراز جـ١ ص ٧٣ — ٧٥ ، ٧٨ ، ٢١٣ .

(٣) الكتاب جـ١ ص ١٦٩ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٣٣٧ .

(٤) انظر ص

(٥) دلائل الاعجاز ص ٢٣٣ . دار المعرفة — بيروت لبنان ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م

الأحرف الخمسة لا ضمار ك ما يكون مستقرا لها وموضعا لو اظهرته ، وليس هذا المضمرُ بنفس المظْهَر " وذلك : إِنَّ مالاً وإِنَّ ولداً وإِنَّ عَدَداً ،أَيْ إِنَّ لهم مالاً . فالذى أضمرتَ " لهم " ويقول الرجل للرجل : هَلْ لَكُمْ أَحَدٌ إِنَّ النَّاسَ (أَلْبٌ) عليكم فيقول : إِنَّ زيداً وإِنَّ عمراً ، أَيْ إِنَّ لَنَا . وقال الأعشى :

إِنَّ مَحَلاً وإِنَّ مُرْتَحَلاً وإِنَّ فى السَّفْرِ ما مَضَى مَهَلاَ

وتقول : إِنَّ غيرها إِبلاً وشاءً ، كأنه قال : إِنَّ لنا غيرها إِبلاً وشاءً ، أو عندنا غيرها إِبلا وشاء . فالذى تُضْمِرُ هذا النحو وما اشبهه . وانتصب الابل والشاء كانتصاب فارسٍ ، اذا قلت : ما فى الناس مثله فارساً ، ومثل ذلك قول الشاعر :

يَالَيْتَ أَيَّامَ الصِّبَا رَوَاجِعَا

فهذا كقوله : أَلاَ ماءَ بارداً ، كأَنَّه قال : أَلاَ ماءَ لَنَا بَارداً وكأَنَّه قال : ياليت لنا أيام الصبا ، وكأنه قال : ياليت أيام الصِّبَا أَقْبلت رواجعَ "(١) . وقد نقل عبد القاهر هذا النص كله الى كتابه دلائل الاعجاز وعلق عليه(٢) ، ويقول سيبويه فى " هذا باب الفعل الذى يتعدى إسم الفاعل الى اسم المفعول واسم الفاعل والمفعول فيه لشىء واحد " : وقد عُرِفَ بعد ذلك بباب كان : فإذا قلت: كان زيد فقد ابتدأت بما هو معروف عنده مثله عندك فإنما ينتظر الخبر . فإذا قلت : حليما فقد علمته مثل ما علمت . فاذا قلت كان حليما ،فإنما ينتظر صاحب الصفة(٣) .

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٢٨٣ — ٢٨٤ بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ص ١٤٢ .

(٢) دلائل الاعجاز ص ٢٤٧ .

(٣) الكتاب جـ١ ص ٢١ — ٢٢ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٤٥ — ٤٨ .

وقال عبد القاهر (ت ٤٧١ هـ) : " ومثال ذلك أن صاحب الكتاب قال في باب كان " اذا قلت : كان زيد : فقد ابتدأت بما هو معروف عنده مثلـه عندك وانما ينتظر الخبر ، فاذا قلت : حليما : فقد اعلمته ما علمت ، واذا قلت : كان حليما : فإنما ينتظر أن تعرّفه صاحب الصفة "(١) . ثم علق عليه موئيدا ، وشارحا ، وقد كان عبد القاهر يستشهد بكلام سيبويه في دلائل الاعجاز في التقديم والتأخير والحذف(٢) والاضمار ، وغير ذلك . وكان عبد القاهر — رحمه الله — أمينا كسيبويه نفسه ، فلم يتحوز على آراء سيبويه البلاغية ، بل كان يعلق ويشرح ويناقش بالرأي والحجة ، وقد أكسب البلاغة العربية حيوية واشراقا بما حباه الله من موهبة وذوق وعقل . فقد اتجه بالبلاغة نحو تحديد المعالم فكانت له نظرة وفكر كامل في المعاني في كتابه " دلائل الاعجاز " كما كان له في كتابه " أسرار البلاغة " نظرات في علم البيان .

وهذا أبو يعقوب السكاكي (ت٦٢٦ هـ) الذي قعد القواعد البلاغية وصنف أبوابها ، يأخذ برأي سيبويه في التقديم فيقول : " والحالة المقتضية لذلك ، هي كون العناية بما يقدم أتم وايراده في الذكر أهم ، والعناية التامة بتقديم ما يقدم والاهتمام بشانه "(٣) . ويقول سيبويه في " باب الفاعل الذي يتعداه فعله الى مفعول " " فان قدمت المفعول وأخرت الفاعل ، كقولك زيدا عبد الله

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٢٧٠ .

(٢) دلائل الاعجاز ص ١١٢ — ١١٣ . وانظر الكتاب جـ١ ص ١٤٢ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٢٨١ .

(٣) مفتاح العلوم ص٢٣٦ . دار الكتب العلمية — بيروت لبنان . ط الاولى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م . تحقيق نعيم زرزور .

وكان حد اللفظ فيه ان يكون الفاعل مقدما ، وهو عربى جيد كثير ،كأنهم إنما يقدمون الذى بيانه أهم لهم ، وهو ببيانه أعنى وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم "[1] .

وتحدث سيبويه عن حذف المبتدأ وحذف الفعل[2] ، واعتبر السكاكى (ت ٦٢٦ هـ) حذف الفعل من أبواب البلاغة ونوه به فى إطناب[3] . ويقول سيبويه عن الاضمار مستشهدا بقول عمرو بن شأس:

بَنى أَسَدٍ هَلْ تَعْلَمُونَ بَلَاءَنَا إِذَا كَانَ يوماً ذَا كَوَاكِبَ أَشْنَعَا

اضمر لعلم المخاطب بما يعنى ، وهو اليوم . ويفهم من كلامه أن الفعل أضمر هنا بقصد الاختصار والاحتراز عن العبث "[4] . وهذا بعينه الذى قصد اليه وعناه السكاكى ، حيث تحدث عن دواعى ترك المسند[5] . ويقول سيبويه : " زيداً قَطَعَ اللَّهُ يَدَهُ ، وزيدا أَمرّ الله عليه العيش ، لأَنّ معناه زيداً لِيَقْطَعِ اللهُ يدَه "[6] . فاللفظ خبر والمعنى دعاء وهو من استعمال الخبر فى موضع الانشاء ، ويقول : كما أن قولك : رحمة الله عليه ، فيه معنى الدعاء ، كأنّه قال رحمة الله "[7] : وقال

---

(١) الكتاب جـ١ ص ١٤ ـ ١٥ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٣٣ ـ ٣٤ .
(٢) الكتاب جـ١ ص ١٤١ ـ ١٤٣ ، بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٢٨٠ ـ ٢٧٣ .
(٣) المفتاح ص ٢٣٠
(٤) الكتاب جـ١ ص ٢٢ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٤٨ .
(٥) المفتاح ص ٢٠٩
(٦) الكتاب جـ١ ص ٧١ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ١٤٢ .
(٧) الكتاب جـ١ ص ١٥٨ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٢١٤ .

السكاكى (ت ٦٢٦ هـ) ، فى اخراج الكلام على غير مقتضى الظاهر : " واعلم أن الطلب كثيرا ما يخرج لا على مقتضى الظاهر وكذلك الخبر ، فيذكر أحدهما فى موضع الآخر ، ولايصار الى ذلك إلّا لتوخى نكت فلما يتفطن فيها من لا يرجع فى نوعنا هذا ، ويقول : ولهذا النوع أعنى اخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر ، أساليب متفننة إذ ما من مقتضى كلام ظاهرى إلّا ولهذا النوع مدخل فيه بجهة من جهات البلاغة (١) . ولكل من تلك الأساليب عرق فى البلاغة يتشرب من أفانين سحرها .

وتحدث سيبويه عن شبه كمال الاتصال وعن الفصل والوصل (٢) ، قال السكاكى : إنّ الفصل والوصل بين الجمل هو الأصل من هذا الفن (٣) . وهذا جار الله الزمخشرى (ت ٤٦٧ هـ — ٥٣٨ هـ) : يستشهد ببيت الخنساء الذى ذكره سيبويه (٤) " ترتع ما رتعت "

بأن هذا البيت مجاز ، ويعلق عليه عند حديثه عن قوله تعالى : " وَلَكِنَّ البِرَّ مَنِ اتَّقَى " على أن الاسناد مجازى (٥) . وهذا ، وسيبويه — رحمه الله — قد وضع لنا معالم على الطريق وقد تناولها كثير من البلاغيين بالشرح والتعليق .

---

(١) المفتاح ص ٣٢٧ .
(٢) الكتاب جـ١ ص ٢٢٥ — ٢٢٦ بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ص ١٦ — ١٧ .
(٣) المفتاح ص ٢٤٩ .
(٤) الكتاب جـ١ ص ١٦٩ وص من هذه الرسالة .
(٥) الكشاف جـ٢ ص ٣٣٠ .

الخـــاتمـــة

الخاتمـــــــة :—

ولد سيبويه فى أوائل قيام دولة بنى العباس (١٣٢ هـ) ومات — رحمه الله — فى خلافة الرشيد (ت ١٨٠ هـ) ، وبذلك يكون قد عاصر خمسة من الخلفاء ، أبو العباس السفاح (١٣٢ هـ—١٣٦ هـ) الذى هزم مروان بن محمد فى الجزيرة والشام ، وقهر ابن هبيرة فى واسط ، وأبو جعفر المنصور (١٣٦ — ١٥٨ هـ) وكان حازما وأخمد كثيرا من الثورات . ومحمد المهدى (١٥٨—١٦٩ هـ) وقد ثبتت أركان الدولة فى زمنه واستقر الأمر فيها لآل العباس ، ووقعت فى عهده فتنة المقنع الخرسانى . والهادى (١٦٩—١٧٠ هـ) وقد حارب الزندقة وعاقب أهلها على سنن أبيه المهدى . وهارون الرشيد (١٧٠ هـ— ١٩٣ هـ) . وقد عاش سيبويه فترة من أخصب فترات التاريخ فى العالم الاسلامى ، وبلغ المسلمون شأوا عظيما فى مختلف مناحى الحياة ، فازدهر الاقتصاد واستقرت الحياة ، وجلبت الى بغداد خيرات مصر والشام والعراق وفارس وما وراءها ، فعم الرخاء وتهيأت أسباب للترف لم يعرفها العرب من قبل . واهتم الخلفاء بالعلم والأدب والترجمة رغبة فى الوصول الى الحق والامتاع ، وكانوا يشتركون بالرأى ، ويؤيدون رأى — البعض ويفندون رأى البعض بالحجج والبراهين .

وقد كانت حياة هذا القطب — سيبويه — الكبير يلفها كثير من الظلام الحالك ، فى بدئها وختامها ، فولد سيبويه ونشأ مغمورا منكرا ، لا يعلم الناس من أمره شيئا الا ما يعلمون من اندادهم من أبناء الموالى وغيرهم من سواد الناس فلم يكن من سلالة الملوك أو الاشراف ولم يعلم أحد منذ طفولته ، أنه سيصبح علما واماما من أئمة العربية والمسلمين قاطبة ، حتى يؤرخ له وهذا أمـــــر

متوقع ،اننا لانجد تاريخ مولده ونشأته واضحا كاملا ، كما أن للبيئة اعتبارهـا وللعصر حكمـه . وكما اختلف فى تاريخ مولده ومقدار الفترة التى عاشها أختلف فى وفاته ، لقد قيل عن مكانها انها كانت بساوة وقيل عن تاريخها انها كانت سنة (١٦١ هـ) وقيل سنة (١٧٧ هـ) وقيل سنة (١٨٠ هـ) وقيل سنة (١٨٨هـ) وقيل سنة (١٩٤ هـ) . فالحد الأدنى كما يصوره الرواة هوسنة ١٦١ هـ وحدهـا الأعلى هوسنة ١٩٤ هـ ، أي أن الفرق بين الحدين ليس عاما ولا عامين ولا بضعة أعوام ، ولكنه ثلاثة وثلاثون عاما ، وهو عدد يزيد على سنى حياته كلها فـى بعض الأقوال وقد قيل : إنه توفى وعمره ثنتان وثلاثون سنة . ولعل مرد ذلك كله الى أن سيبويه لم يشتهر فى حياته كما اشتهر بعد مماته فقد اختصر الموت حياته شابا ، ولم يمهله حتى يضع لكتابه مقدمـة وخاتمة ، او يقرأه على الناس أو يقراه الناس عليه ، وقد رثاه الزمخشرى بقوله :—

ألا صلى الاله صلاة صدق على عمرو بن عثمان بن قنبـر
فان كتابه لم يغن عنـه بنو قلم ولا ابناء منبـــــــــر (١)

وقد تلقى العلم — رحمه الله على خيرة العلماء وانجز لنا هذا السفـــر العظيم — الكتاب — الذى قال عنه على النجدى : " هذا السفر العظيم ، الذى اقامه العالم الجليل فى ساحة الخلود أثرا ،واسلمه مع الايام ذكرا وادخره للعربية كنزا ، وند به فى العالمين شاهدا على براعته فيها ، ونفاذه الى اسرارها وامامته فى الاشتراع لها ، وضبط أصولها على نحو يعز نظيره فى الأولين والآخرين

---

(١) بغية الوعاة ص ٣٣٦ . الناشر دار المعرفة — بيروت لبنان .

شمول إحاطة وبراعة استاذية ، وسلامة تحليل ، وصدق نظر وصحة حكم " (١) . وقد كتب الكثيرون عن الكتاب ، ووصفوه بقرآن النحو ، والكتاب ليس له مقدمة ولا خاتمة أوله : " هذا باب علم ما الكلم من العربية " وآخره ، ومثل قول بعضهم " عَلْمَاءِ بَنُوفُلَانٍ ، فحذف اللام ، يريدون على المَاءِ بَنُو فُلانٍ ، وهى عربية " .

وقد نهج فى كتابه منهج الفطرة والطبع ، يدرس أساليب الكلام فى الأمثلة والنصوص ليكشف عن الرأى فيها صحة وخطأ ، أو حسنا وقبحا ، وكثرة وقلة ولا يكاد يُعرِّف معرفاً أو يلتزم مصطلحاً ، أو يفرع فروعا أو يشترط شروطاً على نحو ما نرى فى الكتب التى صنف فيما بعد ، ولم يكن كتابه وَقْفاً على النحو فحسب وإنما كان يتحدث فيه عن البلاغة والنقد والأصوات والتجويد وعلم القراءات وغير ذلك ، وكان مفهوم النحو عند سيبويه ، يخالف ما سار عليه النحاة الذين جاءوا بعده ، حيث أنهم اهتموا بالاعراب ، أى الحركات التى ترد فى أخر الكلمة ، بينما هو كان يفهم من النحو ما يفهمه النحويون الآن ، من علم التراكيب الذى يدرس فى اطاره فن التعبير وعلاقات أجزاء الجملة ، بعضها ببعض وعلاقات الجمل فيما بينها ، لذلك نجده يعتمد فى دراسته على تقديم نماذج التعبير التى سمعها من العرب أو من شيوخه ، دون أن يلجأ الى الأمثلة المصنوعة لايضاح الفكرة أو تشخيص القاعدة ، وقد أخذ سيبويه بنظرية العامل التى سادت — الدراسات النحوية فى عصره ، كما نجد فى الكتاب مباحث كثيرة أدخلها البلاغيون فيما بعد ، ضمن علم البلاغة بفنونه الثلاثة ، المعانى ، والبيان ، والبديع والذى هو موضوع بحثنا . ولم تكن البلاغة فى تلك الفترة علما يدرس بمعزل عن

---

(١) سيبويه امام النحاة ص ١٢٨ : الخانجى والكتب القاهرة ، الطبعة

العلوم الأخرى ، بل كان سيبويه ، لايفرق بين النحو البلاغة لأن النحو عنده لم يكن مجرد النظر فى أواخر الكلمات ، من حيث الاعراب والبناء وما فيها من حركات وسكنات ، وإنما النحو عنده كما قدمنا ، يشتمل على هذا كله ويشمل تأليف الجملة ونظمها وسرّ تركيبها ، وبيان ما فيها من حسن أو قبح ، ولا شك أن هذا لا يشمل علم النحو وحده وإنما يشمل البلاغة أيضا كما تعرف اليوم .

وقد كانت العصور — منذ الجاهلى — تعبر عن بلاغة العرب وفصاحتهم وكثيرا ما يحرصون على الإيجاز فى المكان الذى لا يحتاج فيه المعنى الى سواه كما نجد فى أشعارهم الجاهلية ، اختيار المعانى والصور والألفاظ ، وهى تزخر بالتشبيهات والاستعارات والكنايات والمقابلة والطباق والجناس والتورية ، وغير ذلك من ألوان البلاغة وإذا جئنا الى العصر الاسلامى ، فلن نجد اختلافا كبيرا بين بلاغة هذا العصر وذاك لأن العرب فى صدر الاسلام ، كانت أساليبهم على السليقة قيودون اللفظ والمعنى حقها ، ويصلون الى الغرض فى ايجاز أو اطناب أو مساواة على حسب ما يقتضيه الحال . ونزول القرآن بلسان عربى مبين ، قد برهن على بلاغة العرب ، وقد كان الرسول — صلى الله عليه وسلم — أفصح العرب والصحابة يتعجبون من فصاحته ، ولا يرون من هو أبلغ منه . وكل قرن يعقب قرنا تكون البلاغة فيه قد قطعت شوطا ، فالقرن الثانى الهجرى كان أكثر انطلاقا من الأول والثالث أكثر توسعا من الثانى ، وهكذا حتى وضعت علوم البلاغة العربية وبلغت شأوا عظيما فى زمن عبد القاهر ثم السكاكى ، ولم يكن هذا التوسع الذى صحب كل عصر قد أتى من فراغ ، بل كان للطوائف المختلفة نصيب كبير فى نشأة البلاغة وتطورها ، كطائفة اللغويين والمتكلمين والنقاد والمفسرين والكتاب والفقهاء والمناطقة والاصوليين ، وسيبويه أحد هذه الطوائف ، ونجده قد حافظ اشد

المحافظة على المقاييس العربية الخالصة ، جاعلا نصب عينيه أن تكون شواهده من القرآن الكريم ، وشعر فحول الشعراء من العرب الأقدمين . ومن الألوان — البلاغية التى أشار اليها سيبويه فى كتابه ، المسند والمسند إليه وبذلك تفهم فى هذا الوقت المبكر الى شىء مهم ، ينطبق على كل اللغات ، وهو قانون الاسناد ، فلا بد من توافر ركنين أساسيين فى الجملة ، حتى يكون الكلام مفيدا وظل هذا المصطلح مصطلحا بلاغيا ، حيث ان المسند اليه له أحوال خاصة به ولم يهملها سيبويه ، وكذلك المسند ، كما تحدث سيبويه عن عبارات لغوية تدخل فى الدراسات البلاغية ، لخروجها على غير مقتضى الظاهر ، مثل القلب ووضع المفرد موضع المثنى أو الجمع ، ووضع المثنى موضع الجمع ، واستخدام اللفظ الموضوع لغير العاقل فى موضع العاقل . كما تحدث سيبويه عن النظم وان لم يسمه بهذا الاسم لأنه يحرص على سلامة الجمل وتركيبها ، وصوغ العبارات ووضوح المعنى والاعراب وهذا يدلنا على أنه تحدث عن النظم ، الذى تحدث عنه عبد القاهر (١)
(٤٧١ هـ) فيما بعد "بأنه عبارة عن توخى معانى النحو فى معانى الكلم " وتحدث سيبويه عن تناسق الجمل وما يطرأ لها من حسن أو قبح ففى " باب ما ينتصب فيه الصفة لأنه حال وقع فيه الالف واللام " . واذا أردت بالكلام أن تجريه على الاسم ، كما تجرى النعت لم يجز أن تدخل الفاء لانك لو قلت : مررت بزيد أخيك وصاحبك كان حسنا ، ولو قلت : مررت بزيد أخيك فصاحبك والصاحب زيد ، لم يجز . وكذلك لو قلت : زيد أخوك فصاحبك ذاهب ، لم

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٢٧٧

يجز ، ولو قلتها بالواو ، حسنت كما أنشد كثير من العرب ، وهذا البيت من الشعر لأمية بن أبى عائذ قال فيه :—

وَيأْوى الى نسوةٍ عطل وَشُعْث مراضيع مثل السعالى

ولو قلت : فشعث قبح (١) . وحسن هنا لأن الواو استخدمت فى مكانها الصحيح

وقال عن المجاز العقلى : " سرقت الليلة أهل الدار ، فتجر الليلة على الفعل فى سعة الكلام .. وكذلك لو قلت : هذا مخرج اليوم الدرهم وصائد ، اليوم الوحش ، ومثل ما أجرى مجرى هذا فى سعة الكلام والاستخفاف قوله عز وجل : (بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ والنَّهَارِ) (٢) فالليل والنهار لا يمكران ولكن المكر فيهما

وفى مواضع متناثرة من الكتاب تحدث عن الفصل والوصل وشبه كمال الاتصال وما من لون من الالوان البلاغية يذكره ، الا ويسوق له أمثلة من القرآن الكريم واشعار العرب وكلامهم وأمثالهم .

وقد نص على ضرورة الحذف بأنواعه لدواع جديرة بأن تدخل فى فن البلاغة ، مثل الايجاز والسعة والتخفيف ، ويقدم الدليل على أن العرب جرت عادتها على الحذف ، ولغتها تقدم كثيرا من هذه النماذج . ويقدم السر البلاغى الذى حفز المتكلم الى ذلك . وكما تحدث عن الحذف ، تحدث عن الذكر ومتى يجب ؟ وتحدث عن زيادة الحروف وأثرها فى الكلام ، وتعرض لحروف كثيرة تأتى زائدة فى الكلام مثل : الكاف والباء ومن وما ، ولا وان وغيرها من الحروف . وعن المعنى البلاغى الجديد التى تضيفه الكلمة ، ويذكر مما جاز فيه الاضمار ، وكان المخاطب على علم بما يعنى قول عمرو بن شأس :

بنى اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

---

(١) الكتاب جـ١ ص١٩ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٣٩٩ .

أضمر بعلم المخاطب بما يعنى وهو اليوم "(١) . ويذكر أن الفعل يضمر للاختصار والاحتراز ولعلم المخاطب به ، وقد يكون الداعى اليه الاستغناء ، بتفسيره ، وقد يكون السر البلاغى لذلك ،كثرة الاستعمال ، والداعى لذلك التخفيف ، والعرب درجت فى لغتها على ذلك ، وحين تناول التقديم والتأخير قال : " فى باب الفاعل الذى يتعداه فعله الى مفعول " فان قدمت المفعول وأخرت الفاعل ، كقولك : ضرب زيدا عبد الله . لأنك إنما أردت به مؤخرا ما أردت به مقدما ، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه وان كان مؤخرا فى اللفظ . فمن ثم كان حد اللفظ فيه أن يكون الفاعل مقدما ، وهو عربى جيد كثير ، كأنهم إنما يقدمون الذى بيانه أهم لهم ، وهم ببيانه أعنى وان كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم "(٢) . ويذكر السر البلاغى لذلك ، وهو العناية والاهتمام وقد ذكر التقديم والتأخير فى عدة أبواب ، ولم يقتصر على ذكره فى باب الفاعل الذى يتعداه الى مفعول بل ذكره فى باب إنّ وأخواتها وكان وأخواتها والظروف وظن وغير ذلك . والسر البلاغى يتغير بحكم الأسلوب والعبارة ، كما اشتهر بين البلاغيين أن التقديم يفيد الاختصاص . والاستفهام فى الجملة كما يستحسن أن يلى المسؤول عنه فيتقدم على الفعل ، واذا لم يلى الهمزة ، ليس معنى ذلك أن الكلام غير صحيح ، بل يجيز التقديم والتأخير له . وإن كان التقديم عنده أحسن ويضرب لذلك أمثلة يفاضل فيها بين المسؤول عنه إذا كان اسما أو فعلا ، ويرى عبد القاهر (ت ٤٧١ هـ) أن قضية التقديم والتأخير التى أثارها سيبويه فى الكتاب

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٢٢ . بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٤٧ .
(٢) الكتاب جـ١ ص ١٤ — ١٥ ، بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٣٣ — ٣٤ .

وهاجمها ابو على الفارسى وابن جنى ، لها أسباب لا تقتصر على المعنى فحسب بل تتعدى الى محاسن جمة ومواقعة لطيفة ، وعن أدوات الاستفهام تحدث سيبويه فى مواضع كثيرة ، وألم بها الماما يعد له مفخرة ما وصل اليها فى هذا المجال أحد ، وقد فرق أولاً بين أدوات الاستفهام أجمع وبين الهمزة ، وعنده أدوات الاستفهام يقبح دخولها على الاسم ، اذا كان بعده فعل ، ويعلل ذلك بالحجة والمنطق ، ويبين السر البلاغى من ذلك (١) . وقد وضح خروج الاستفهام عن معناه الأصلى لمعان بلاغية ، وعن النداء ومعناه البلاغى تحدث فى وضوح وبين سيبويه فى وضوح اخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر وأنواعه وأساليبه المختلفة ، فقد تعرض الى الكثير منها ، وبعد تحديد أبواب علم المعانى عُدّت تلك الأساليب من أهم موضوعات المعانى ، لما فيها من الجمال والخلابة ، وكان سيبويه صاحب الفضل الأكبر فى الكشف عن هذه الجواهر التى تبين جمال لغة العرب .

وعن قصر القلب وقصر التعيين ، قال من خلال حديثه عن النعت : " ومنه مررت برجل راكع لا ساجد ، لاخراج الشك أو لتأكيد للعلم فيهما " . فهو يرى أن المخاطب متردد فى وصف الرجل بأحد الوصفين ، الركوع أو السجود ، فأراد المتكلم إزالة هذا الشك ، وهو ما سمى فى عرف البلاغيين بقصر التعيين ، واذا أراد أن يوكد للمخاطب أن الرجل متصف بأحد الوصفين ، الركوع وليس بالسجود وهذا ما سمى فى عصر المسميات بقصر القلب ، والأداة إحدى حروف العطف وهى (لا) وحين تحدث عن القصر (بالا) كان حديثه واضحا ، وان لم يذكر اسم القصر بهذا اللفظ . وقد تناول من طرق القصر النفى والاستثناء والعطف وشمل حديث سيبويه فى الكتاب أساليب تدخل فى علوم البلاغة لخروجها على

غير مقتضى الظاهر ،مثل وضع المفرد موضع الجمع ووضع المثنى موضع الجمع واستعمال اللفظ الموضوع لغير العاقل فى موضع العاقل ، والقلب ووضع المظهر موضع المضمر ، ومثل له بقول سواد بن عدى :—

لا أرى الموت يسبق الموت شيء نغّص الموت ذا الغنى والفقيرا

وسيبويه يستقبح هذا لأن فيه تكرار الاسم الظاهر (الموت) ومثل له من القرآن فى مجال التفخيم بقوله تعالى :— " الحَاقَّةُ مَا الحَاقَّة " و " القَارِعَة مَا القَارِعَة " . وجاز إعادة اللفظ بعينه لأنه فى موضع كنايته ، أيْ فى موضع التفخيم ووصف القلب بأنه ردىء وغير جيد ، فقال : " أدخل فوه الحجر فهذا جرى على سعة الكلام ، (والجيد أدخل فاه الحجر) (١) . ووصف القلب بالرداءة لأن الرداءة تؤدى الى التعقيد واللبس . ومن البلاغيين من منع القلب أقتفاء لأثر سيبويه لأنه لم يجد فيه قوة تأثير فى لب السامع ، ومنهم من قبل القلب .

وتحدث سيبويه عن التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية والتنويح والمجاز بالحذف . وذكر من أدوات التشبيه ، الكاف ومثل ، وكأن ، وقد جمع بين الكاف ومثل بقصد المبالغة ، ويقول عن العرب " وقد يشبهون الشيء بالشيء وليس مثله فى جميع الاحوال وسنرى ذلك فى كلامهم كثيرا (٢) " . وبذلك قد وضح أنّ الطرفين لا يكونان متساويان فى كل الأمور وأن التشبيه ليس من كل وجه . وهذا كلام عن أن وجه الشبه يكون فى المشبه به أقوى من المشبه ، وهو مادرج عليه ، علماء البلاغة المتاخرون ، وقد كان لملاحظات سيبويه أثر فى أُسس هذا الفن وتحدث عن الاستعارة فى الحروف ، بعد ان لاحظ توسع اللغة العربية فى استخدام

---

(١) الكتاب جا ص ٩٢ بولاق . عبد السلام هارون جا ص ١٨١ .
(٢) الكتاب جا ص ٩٣ بولاق . عبد السلام هارون جا ص ١٨٢ .

الحروف ، فى مواضع كثيرة ، غير المعانى التى وضعت لها ، وبين أثرها على المعنى ، سواء أكانت حروف جر أو نداء ، كما كان على علم بالمجاز بالحذف واعتبره من اتساع الكلام ورغبة الايجاز فهو يقول : " وسمعنا من يوثق به من العرب يقول : اجتمعت أهل اليمامة لأنه يقول فى كلامه اجتمعت اليمامة يعنى أهل اليمامة ، فأنث الفعل فى اللفظ لليمامة فترك اللفظ يكون على ما يكون عليه فى سعة الكلام "(١) . ويقول فى باب " هذا باب استعمال الفعل فى اللفظ لا فى المعنى " ومما جاء على اتساع الكلام والاختصار قوله تعالى جده : " وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِى كُنَّا فِيهَا والعِيرَ الَّتِى أَقْبَلْنَا فيها "(٢) انما يريد أهل القرية "(٣) . وذكر لأمثلة المجاز بالحذف غير الآية الكريمة أمثلة كثيرة من كلام العرب وهو ماسمى بالمجاز المرسل كما تحدث عن الاستعارة المكنية والتخييلية ومثل لذلك بقول الشاعر:

وَدَاهِيَةٍ من دَوَاهِى المنون ... تَرْهَبَهَا الناس لا فالها

فجعل للداهية فما ، حدثنا من نثق به "(٤) . وذكر الكناية بمعناها اللغوى ، وهو ترك التصريح به وليس المعنى فى الاصطلاح الذى هو لفظ أريد به لازم معناه . مع جوازه ارادته . قال " واما قول العرب : يافل اقبل فانهم لم يجعلوه اسما ، حذفوا منه شيئا يثبت فيه ، فى غير النداء ولكنهم بنوا الاسم على حرفين . يقول أبو النجم :-

فى لجة أمسك فلانا عن فل(٥)

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٢٦ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٥٣ .
(٢) الآية ٨٢ من سورة يوسف .
(٣) الكتاب جـ١ ص ٢٥ بولاق . عبد السلام هارون جـ٣ ص ٢٤٦ .
(٤) الكتاب جـ١ ص ١٥٩ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٣١٦ .
(٥) الكتاب جـ١ ص ٣٣٣ بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ص ٢٤٨ .

فكلمتا فلان وفل ، بمعنى واحد ، وهما كناية عن شخص ، قد يكون — موجودا ومعلوما لدى المخاطب ، وقد يكون مجهولا غير أن فل استعملت على حرفين . وتناول نوعا من أنواع البيان اطلق عليه المتأخرون اسم التنويع ومثل لذلك بقول الشاعر :—

وبلدة ليس بها أنيس الا اليعافير والا العيس

جعلها أنيسها — قد جعل اليعافير والعيس هما الانيس — ومثل ذلك قوله عز وجل : " مَالَهُم بِهِ مِن عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ "(١) . أى اتباع الظن هو علمهم وبنو تميم يجعلون اتباع الظن علمهم ، وحسن الظن علمه "(٢) . فقد جعل — اليعافير والعيس بدلا من الانيس على سبيل الاتساع والمجاز ، أيّ أن هذا يقوم مقام هذا . والتنويع عند البلاغيين يجرى فى مواطن شتى يجرى فى الاستعارة والتشبيه وكثيرا ما يأتى وهو ليس استعارة ولا تشبيها . وفى " باب مالا يكون الاعلى معنى ولكن " . تحدث عن لون من ألوان البديع ، عرف فيما بعد بتأكيد المدح بما يشبه الذم ،قال تعالى : " لَا عَاصِمَ اليَوْمَ من أَمرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَحِمَ "(٣) أى ولكن من رحم . وقوله عز وجل : " الَّذِينَ أُخْرِجُوا من دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ "(٤) أي ولكنهم يقولون : رَبُّنا اللَّهُ "(٥) وهذا نوع من أساليب الاستثناء الذى عرف عند البلاغيين بتأكيد المدح بما يشبه الذم بأن يبالغ فى المدح الى أن يأتى بعبارة يتوهم السامع فى بادىء الأمر أنه ذم ،ثم ينفى عن الممدوح صفة الذم

---

(١) الكتاب جـ١ ص ٣٦٥ بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ص ٣٢٢ .
(٢) الكتاب جـ١ ص ٣٦٤ — ٣٦٥ بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ص ٣٢٣ .
(٣) الآية ٤٣ من سورة هود .
(٤) الآية ٤٠ من سورة الحج .
(٥) الكتاب جـ١ ص ٣٦٦ بولاق . عبد السلام هارون جـ٢ ص ٣٢٥ .

ويستثنى من صفة الذم المنفية ، صفة مدح بقدر دخولها فيها . وقال عن التجريد " ولو قال : أما أبوك فلك أبٌ ، وانما يريد بقوله : وفيه أبٌ . مجرى الاب على سعة الكلام "(١) . والتجريد هو مخاطبة الانسان نفسه فيجرد منها انسانا يخاطبه على سبيل المبالغة فى كمال الصفة فيه حتى أنه ليجرد منه مثله ، على التوسع فى الكلام . وقد ترك لنا سيبويه اشارات كثيرة فى كتابه ، أدخلت فيما بعد تحت اسم البلاغة فى علم المعانى والبيان والبديع ، فاشار الى النظم والحذف ، والذكر والاضمار والزيادة فى الحروف والكلمات والتقديم والتأخير والاستفهام والفرق بين الهمزة وأدوات الاستفهام الاخرى . والفصل والوصل ، وعطف الانشاء على الخبر بين الجواز والمنع والمجاز العقلى والتعريف والتنكير والقلب وخروج الكلام عن مقتضى الظاهر والقصر ، وعن التشبيه والتمثيل وأدوات التشبيه والاستعارة فى الحروف ، والاستعارة بالكناية وقرينتها والكناية والتنويع والمجاز بالحذف ، كما أشار الى تأكيد المدح بما يشبه الذم ، وعن الاسرار النفسية لهذا اللون من البديع كما كان له أثر واضح فى البلاغيين من بعده ، فكان البعض منهم يستشهد بأمثلته وينسبها اليه ، والبعض الآخر يذكرها دون ذكر اسمه .

---

(١) الكتاب جـ١ ص ١٩٥ بولاق . عبد السلام هارون جـ١ ص ٣٩٠ .

مراجع البحث

ابراهيم أنيس (دكتور) — من اسرار اللغة • مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٥م الطبعة الخامسة •

— المعجم الوسيط (١—٢) مجمع اللغة العربية • طبعة الثانية • اخراج ابراهيم انيس وآخرون • مطابع دار المعارف بمصر ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م •

ابراهيم بن السرى بن سهل ابو اسحاق (الزجاج) — اعراب القرآن المنسوب للزجاج (١—٣) تحقيق ابراهيم الأبيارى • الناشر دار الكتاب اللبنانى • بيروت لبنان • ط. الثالثة (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)

أحمد بن على بن ثابت ابوبكر الخطيب البغدادى — تاريخ بغداد او مدينة السلام (١—١٢) تحقيق محمد حامد الفقى ١٩٣١م مكتبة الخانجى — القاهرة •

أحمد بن الحسين ابو الطيب المتنبى — ديوان أبى الطيب • شرح ابى البقاء العكبرى المسمى بالتبيان فى شرح الديوان (١—٤) بيروت — لبنان •

أحمد شعراوى — تاريخ البلاغة العربية حتى نهاية القرن الرابع — الهجرى • دار الصادر بيروت •

أحمد عبد الرحمن محمد سعد حويث بن مضاء — الرد على النحاة • تحقيق • شوقى ضيف• دار الفكر العربى • بيروت لبنان •

احمد على عبد الكافى تمام السبكى بهاء الدين — عروس الافراح (ضمن شروح التلخيص) عيسى البابى الحلبى وشركاؤه • بمصر (١—٤) •

أحمد بن على القلقشندى ابو العباس — صبح الأعشى فى صناعة الانشاء (١ ــ ٤) دار الكتب المصرية ١٩١٠ . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمه والنشر ١٩٦٣م صور عن طبعة دار الكتب .

احمد محمد احمد ابراهيم النيسابورى (الميدانى) — مجمع الأمثال (١ ــ ٢) تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد . الطاشر مطبعة السنة المحمدية القاهرة ١٩٥٥ ــ ١٣٧٤هـ

أحمد بن محمد شهاب الدين — طراز المجالس . دار الفكر العربى . بيروت لبنان .

احمد مصطفى المراغى — علوم البلاغة . دار الكتب العلمية . بيروت لبنان ط. الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

أحمد مطلوب (دكتور) — البلاغة عند السكاكى . بغداد . مكتبة النهضه ــ ١٩٦٤م) .

— أساليب بلاغية . وكالة المطبوعات شارع فهد السالم . الكويت ١٩٧٩ الطبعة الأولى .

أحمد بن يحيى (ثعلب) — مجالس ثعلب . تحقيق . عبدالسلام هارون تحقيق الطبعة الثانية القاهرة دار المعارف ١٩٦٠م .

بدر الدين محمد عبدالله الزركشى — البرهان فى علوم القرآن (١ ــ ٤) دارالمعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان ط. الثانية (١٣٩١هـ ١٩٧٢م) .

جرول بن أوس بن جوية بن مخزوم بن مالك الحطيئة — ديوان الحطيئة • شروح أبى سعيد السكرى دار صادر بيروت ١٣٨٧هـ — ١٩٦٧م) •

جلال الدين عبد الرحمن أبى بكر السيوطى) — همع الهوامع مع شرح الجوامع فى علم العربية (١ — ٢) بيروت دار المعرفة للطباعة والنشر

— شرح شواهد المغنى (١ — ٢) بيروت لبنان •

— بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة الناشر دار المعرفة بيروت لبنان •

— المزهر • الطبقة الأميرية ١٢٨٢هـ طبقة الحلبى والسعادة وطبعة صبيح القاهرة •
تحقيق محمد احمد جاد المولى ، على محمد المجاوى ومحمد ابو الفضل ابراهيم •

— الإتقان فى علوم القرآن (١ — ٢) دار الفكر العربى بيروت لبنان •

جمال الدين محمد مكرم الانصارى (ابن منظور) — لسان العرب • طبعة مصورة عن طبعة بولاق بالمؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر والترجمه •

جمال يوسف الظاهرى ابن تغرى بردى — النجوم الظاهرة فى ملوك مصر والقاهرة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر •

حازم محمد الأنصارى (القرطاجنى) — منهاج البلغاء وسراج الأدباء •
تحقيق • محمد الحبيب بن الخوجه •
دار الكتب الشرقية تونس ١٩٦٦م •

حامد عونى — مذكرة البلاغة • دار الكتاب العربى طبعة ١٩٥٧ •

— المنهاج الواضح للبلاغة • مطابع دار الكتاب

حبيب بن اوس الطائى (ابوتمام) — ديوان ابى تمام . شرح وضبط ايليا الحاوى الطبعة الأولى ١٩٨١ بيروت لبنان .

حسن ابراهيم حسن (دكتور) — تاريخ الاسلام (١ ــ ٤) دار إحياء التراث العربى بيروت لبنان ط. السابعة ١٩٦٥م

الحسن بشر بن يحيى ابو القاسم (الآمدى) — الموازنة بين الطائيين . المكتبه العلميــة بيروت لبنان . تحقيق محمد محي الديــن عبد الحميد .

الحسن بن رشيق القيروانى (ابن رشيق) — العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقــده تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ط. الثانيه القاهرة المكتبة التجارية الكبرى ١٩٥٥ .

العسكرى الحسن عبدالله بن سهل (ابوهلال العسكرى) — كتاب الصناعتين . الطبعه الأولى الخانجى — ١٣٢٠هـ القاهرة .

الحسن عبدالله المرزبانى (ابوسعيد السيرافى) — اخبار النحويين البصريين . مكتبة ومطبعــة مصطفى البابى الحلبى بالقاهرة ١٩٥٥م . تحقيق طه الزينى . محمد عبدالمنعم خفاجى

— شرح كتاب سيبويه طبعة بولاق سنه ١٣١٦هـ القاهرة .

خالد عبدالكريم جمعه (دكتور) — شواهد الشعر فى كتاب ســـــيبويــه رسالة دكتوراة . مكتبة دار العروبه بالكويــت الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م) .

خديجه الحديثى (دكتورة) — سيبويه حياته وكتابه . العراق ١٩٧٥ .

— أبنية الصرف فى كتاب سيبويه .

— وكالة المطبوعات شارع فهد السالم ــ الكويــت

رضى الدين محمد الحسن الاستراباذى النحوى (الرضى) — شرح الكافيه (١ ــ ٢) على الرضى دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٣٩٥هـ ــ ١٩٧٥م

زكى الدين عبد العظيم — تحرير التحبير فى صناعة الشعر والنثر وبيان

عبد الواحد (ابن ابى الاصبع المصرى) — اعجاز القرآن . تحقيق وحفنى محمد شرف القاهرة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٣٨٣هـ

زياد بن معاوية (النابغة الذبيانى) — ديوان النابغة الذبيانى ، تحقيق وشرح كرم البستانى . دار صادر بيروت . لبنان

زكى مبارك (دكتور) — النثر الفنى فى القرن الرابع . القاهرة ١٣٨٣هـ .

سعيد بن مسعده (الأخفش) — معانى القرآن للاخفش (١ ــ ٢) دار الكتب الثقافية ١٩٧٩ تحقيق فايز فارس .

شمس الدين احمد بن محمد بن أبى بكر (ابن خلكان) — وفيات الأعيان (١ ــ ٨) دار الثقافة بيروت لبنان .

شوقى محمد ابوخليل — هارون الرشيد أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا دار الفكر . الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ دمشق .

ضياء الدين ابو الفتح نصر الله ابن عبد الواحد الشيبانى (ابن الاثير) — المثل السائر . تحقيق احمد الحوفى . وبدوى طبانه القاهرة مطبعة نهضة مصر ١٩٥٩/٢ ١٩٦ .

الطاهر احمد الزاوى — ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة . دار المعرفة بيروت لبنان .

عبد الرحمن بن اسحق (الزجاجى) — مجالس العلماء الكويت ١٩٦٢

عبد الصبور شاهين (دكتور) — المنهج اللغوى فى كتاب سيبويه . دار صادر بيروت .

عبد العزيز مطر (دكتور) — منهج ابن هشام اللخمى فى الاستدلال

عبدالقادر حسين (دكتور) ـ أثر النحاة في البحث البلاغي . دار قطري ابن الفجاءة للنشر والتوزيع . قطر ط . الثانيه ١٩٨٦) .

عبدالقادر بن عمـــر (البغدادى) ـ شرح شواهد الشافعية . دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .

ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب علـى شرح شواهد الكافية (١ ـ ٤) . دار صادر بيروت الطبعة الأولى .

عبدالقاهر الجرجانـى ـ دلائل الاعجاز . دار المعرفة . بيروت لبنان (١٤٠٢ ـ ١٩٨٢) .

ـ اسرار البلاغة . مكتبة ومطبعة محمد صبيـح وأولاده ميدان الأزهر القاهرة ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م

عبدالكريم مجاهد (دكتور) ـ الدلالة اللغوية عند العرب . دار الضياء للنشر والتوزيع . عمان الأردن ١٩٨٥ .

عبدالله محمد بن على ابوالخير (البيضاوى) ـ أنوار التنزيل وأسرار التاويل ، تفسير البيضاوى المطبعة العثمانية ١٣٠٥هـ .

عبدالله محمد سعيد بن سنان الخفاجى الحلبى ـ سر الفصاحة . دار الكتب العلمية ط . الأولى بيروت لبنان .

عبدالله بن محمد بن السيد البطليوس ـ الإقتضاب فى شرح ادب الكتابة طبعة بـيروت لبنان دار الجيل للطباعة والنشر ١٩٧٣ .

عبدالله محمد المعتز بن المتوكل (ابن المعتز) ـ البديع لابن المعتز (ضمن كتاب ابن المعتـز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان تحقيق اغناطيوس لندن .

عبد المتعال الصعيدى — البلاغة العالية . المطبعة السلفية ١٣٥٥هـ القاهرة .

عبد الواحد بن على الحلبى (ابوالطيب اللغوى) — مراتب النحويين — نهضة مصر القاهرة — ١٩٥٥م

عثمان بن جنى (ابوالفتح) — الخصائص (١ — ٣) . دار الهدى للطباعة والنشر بيروت لبنان الطبعة الثانية . تحقيق . محمد على النجار .

— الخاطريات . دار إحياء التراث العربى

— المحتسب (١ — ٢) فى تبيين وجود القراءات والايضاح عنها . تحقيق على النجدى ناصف عبد الحليم النجار ، عبد الفتاح اسماعيل شلبى . لجنة احياء التراث الاسلامى القاهرة ١٣٨٦هـ . المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

— سر صناعة الاعراب . تحقيق السقا وآخرين . دار الفكر العربى — بيروت — لبنان .

على ابراهيم حسن (دكتور) — التاريخ الاسلامى العام . دار صادر بيروت لبنان

على بن الحسين محمد القرشى (ابوالفرج الأصفهانى) — كتاب الأغانى (١ — ٢٩) دار الشعب بالقاهرة ١٩٦٩ — ١٩٧٩ . تحقيق ابراهيم الابيارى

على النجدى ناصف — سيبويه امام النحاة . عالم الكتب المطبعة العثمانية بالدراسة ١٣٩٩هـ .

على بن يوسف ابراهيم ابو الحسن (القفطى) — انباه الرواة على انباء النحاة (١ — ٤) دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٥٠ تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم

عمرو بن بحر بن محبوب (الجاحظ ابو عثمان) — البيان والتبيين (١ ــ ٤) . تحقيق عبدالسلام محمد هارون دار الفكر بيروت لبنان . الطبعة الرابعة . وعيسى البابى الحلبى ١٩٧١ بالقاهرة .

— كتاب الحيوان (١ ــ ٧) دار الكتاب اللبنانى الطبعة الثالثة . بيروت لبنان (٣٨٨ اهـ ــ ١٩٦٩ م) .

— الردّ على النصارى . رسالة فى ثلاثة رسائل . نشر فنكل .

عمروبن عثمان بن قنبرأبوبشر (سيبويه) — الكتاب . كتاب سيبويه . تحقيق عبدالسلام محمد هارون (١ ــ ٥) .
الناشر مكتبة الخانجى بمصر ١٩٧٧) .

— الكتاب . مطبعة بولاق ١٣١٦ اهـ (١ ــ ٢) على شرح أبى سعيد السيرافى . وباسفل الصفحه تعليق الأعلم الشنتمرى .

غياث بن غوث بن الصلت بن الطارقه (الأخطل التغلبى) — ديوان الاخطل التغلبى . دار الثقافة طبعه بيروت ١٩٦٨ تحقيق ايليا سليم حاوى

فتحى عبدالقادر فريد — بحوث ومقالات فى البلاغة . الطبعه الأولى مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٤٠٤ اهـ ١٩٨٤ م

قدامه بن جعفر (أبوالفرج) — مقدمة نقد النثر . تحقيق الدكتوران طه حسين وعبدالحميد العبادى . الخانجى ١٩٣٢ م .

— نقد الشعر . مكتبة الكليات الازهرية القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٩ اهـ .

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلـــوم
جامعة الدول العربية .

كمال الدين عبدالرحمن محمد عبدالله الأنباري (أبو البركات) — الانصاف فى مسائل الخلاف . المكتبه التجارية الكبرى . القاهرة . تحقيق . محمد محيي الدين عبدالحميد .

كمال محمد بشر (دكتور) — دراسات فى علم اللغة . دار المعارف مصر الطبعة ١٩٦٩م .

— علم اللغة العام . الأصوات . دار المعارف الطبعة الخامسة ١٩٧٩ القاهرة .

كوركيس عـــواد (دكتور) — سيبويه امام النحاة فى آثار الدارسين خـــلال اثنى عشر قرناً مطبعة المجمع العلمى العراقى (١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م) .

محمد احمد أبو منصور (الأزهـــرى) — تهذيب اللغة . الدار القومية للطباعة ١٩٦٤ .

محمد بن اسحق بن ابى يعقوب النعمانى (ابن النديم) — كتاب الفهرست للنديم . تحقيق رضا تجدّد ١٣٩١هـ ١٩٧١م .

محمد جمال الدين عبدالله يوسف الانصارى (ابن هشام) — مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب (١ — ٢) دار الفكر العربى . بيروت ط. الثانية ١٩٦٩م . تحقيق . مازن المبارك ومحمد على حمد الله .

محمد بن الحسن الاشبيلـــى — طبقات النحويين واللغويين . تحقيق محمد ابو

محمد خلف الله — من الوجة النفسية فى دراسة الأدب ونقده لجنةالتاليف والترجمة والنشر ١٩٤٧م .

محمد سعد الدين عبد الرحمن (الخطيب القزوينى) — الايضاح فى علوم البلاغة . تعليق محمد عبدالمنعم خفاجى . الطبعة الثالثة بيروت لبنان دار الكتاب اللبنانى .

— الايضاح (ضمن شروح التلخيص) عيسى البابى الحلبى القاهرة .

محمد السيد العرينى — مداخل المؤلفين والاعلام العرب الصادر عن عمادة شئون المكتبات جامعة الرياض ١٩٨٠ م الجزء الأول السعودية .

محمد عبدالخالق عضيمة — فهارس كتاب سيبويه . دار الحديث القاهرة الطبعة الاولى ١٣٩٥هـ — ١٩٧٥م .

— مقدمة المقتضب . المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

محمد عمران المرزبانى أبى عبدالله — نور القبس المختصر من المقتبس . تحقيق رودلف زلهايم . يطلب من دار النشر فرانتس شتاير بفيسبادن ١٩٦٤ — ١٣٨٤هـ .

محمد على الصابونى (الشيخ) — تجريد البيان لتفسير القرآن من صفوة التفاسير جرده خادم العلم . الشيخ عبدالله ابراهيم الأنصارى .

الطبعة الأولى مطابع الدوحة الحديثه ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

محمد بن على بن محمد الجرجانى — الإشارات والتنبيهات فى علم البلاغة . تحقيق

محمد كـرد على — أمراء البيـان ٠
دار الفكر العربى بيروت لبنان ٠

محمد بن محمد بن محمد بن عبدالرازق مرتضى الزَّبيدى — تاج العروس (١ ــ ١٠) دار مكتبة الحيـاة بيروت لبنان ١٣٠٦ هـ

محمد مندور (دكتور) — النقد المنهجى عند العرب ٠ دار نهضـة مصر للطبع والنشر الفجالة القاهرة ٠

محمد مهدى الخوانسارى — روضات الجنات فى احوال العلماء والسادات
دار الفكر العربى بيروت لبنان ٠

محمد بن يزيد المبـرد (ابو العباس) — المقتضب ٠ المجلس الأعلى للشئون الاسلاميـة لجنة احياء التراث العربى القاهرة ١٣٩٩هـ ٠

محمد بن يوسف بن على بن يوسف (ابو حيان الأندلسى) — البحر المحيط تفسير أبى حيان الاندلـس (١ ــ ٨) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ٠ ط ٠ الثانيه (١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م

محمود عمر محمد أحمد عمر جار الله الزمخشرى (الزمخشرى) — الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل (١ ــ ٤) دار المعرفة للطباعة والنشر ٠ بدون تاريخ ٠

— النظم القرآنى فى كشـاف الزمخشـرى ٠ تابـع لتفسيره ٠

مسعود بن عمر بن عبدالله سعد الدين (التفتازانى) — مختصر التفتازانى لتلخيص الخطيب (ضمـن شروح التلخيص) عيسى البابى الحلبى وشركـاه بمصر ٠

— المطول ٠ مكتبة الخانجى ١٣٣٠هـ القاهـرة

معمر بن المثنى مولى بنى تيم — مجاز القرآن ٠ القاهرة مكتبة الخانجى ١٩٥٤م

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم — تطوير مناهج تعليم القواعد في مراحل التعليم العام في الوطن العربي .

ميمون بن قيس أبي بصير صناجة العرب (الأعشى) — ديوان الأعشى . الناشر دار الصادر بيروت لبنان .

ناصر محمد السويدان — مداخل المؤلفين والأقلام العرب الصادر عن عمادة شئون المكتبات بجامعة الرياض ١٩٨٠ بالسعودية الجزء الأول .

ياقوت بن عبدالله الرومي (ياقوت الحموي) — معجم البلدان (١ — ٥) صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧م .

— معجم الأدباء (١ — ٢٠) دار إحياء التراث العربي . بيروت لبنان

يحيى بن همزه بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني — الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (١ — ٣) دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

يحيى بن زياد بن عبدالله (الفراء أبو زكريا) — معاني القرآن . بيروت . عالم الكتب ١٩٨٣ . ط . الثالثة

يحيى بن محمد النحوي ابو معمر (ابن طبا طبا) — عيار الشعر . المطبعة التجارية القاهرة ١٩٥٧ .

يعقوب بن عبدالله المغربي (ابن يعقوب المغربي) — مواهب الفتاح (ضمن شروح التلخيص)

يعيش بن على بن يعيش محمد أبو البقاء النحوى (ابن يعيش)

— شرح المفصل (١ — ١٠) عالم الكتب بيروت لبنان • مكتبة المتنبى القاهرة بدون تاريخ •

يوسف بن أبى بكر بن محمد بن على (السكاكى)

— مفتاح العلوم • دار الكتب العلمية بيروت لبنان • ضبطه وشرحه نعيم زرزور

يوسف بن سليمان بن عيسى (الاعلم الشنتمرى)

— شرح شواهد سيبويه • الاميرية ١٩١٦

— تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب فى علم مجازات العرب (ضمن كتاب سيبويه ، باسفل الصفحة طبعة بولاق • ١٣١٦ هـ

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــة	السـورة	رقم الآيـة
" رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ "	آل عمران	٨
" فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا "	النســاء	١٢٨
" وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ "	القـلم	٩
" خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ "	الرحمن	١٤ ر ١٢
" لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ "	المائدة	٨٢
" وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ "	يســن	٢٠
" بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ "	ســبأ	٣٣
" وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ "	البقرة	١٧٧
" خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ "	الإنبياء	٣٧
" وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ "	الشـورى	٥٢ ر ٥٣
" وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ "	الأنعام	١٢١
" هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ "	الحديد	٣
" هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ "	الحشد	٢٣
" والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين اللَّهَ كثيراً والذاكرات "	الأحزاب	
" إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ "	محمـد	٧
فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ "	طـــه	٩٦
"وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا "	البقرة	٨٩
"لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ "	الـروم	٤

" وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً "	النساء	٨٩ و ١٦٦
	الفتح	٢٨
" قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ "	الاعراف	١٦
" اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ "	الفاتحة	٥
" وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ "	الشورى	٥٢
" وَيَهْدِيَهُمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً "	النساء	١٧٥
" وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا "	يوسف	٨٢
" حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا "	الزمر	٧٣
" وَجَاءَ رَبُّكَ "	الفجر	٢٢
" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ "	الشورى	١١
" وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ "	النساء	١٥٩
" وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ "	البقرة	٤
" فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً "	البقرة	٦٠
كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ "	الاحقاف	٣٥
" وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى "	البقرة	١٨٩
فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ "	طـه	٩٦
" أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "	البقرة	٥
" مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ "	يس	٧٩
" وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً "	الاسراء	١٠٥
" وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى "	طـه	١٧ و ١٨
" فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ "	النساء	١٥٥
"	المائدة	١٣
" لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ "	الحديد	٢٩

" مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قلوب فريق منهم	التوبة	١١٧
" انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ "	النساء	١٧١
" أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ "	التوبة	١٠٤
" وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ "	القصص	٢٠
" وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ "	يس	٢٠
" لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا "	المؤمنون	٨٣
" لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا "	النمل	٦٨
" بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ "	الزمر	٦٦
" وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ "	فصلت	١٧
" أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ "	التكاثر	١
" وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ "	الاخلاص	٤
" أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ "	فصلت	٤٠
" أَمْ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ "	هود	٣٥
" أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ "	الاعراف	٢٨
" هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ "	الشعراء	٧٦
" هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ "	الفجر	٥
" أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ "	الزخرف	١٦
" فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ "	الشعراء	١٠٢
" وَكَفَى بِاللَّهِ "	النساء	٦
" فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا	النساء	٤
" ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا "	الحج	٥
" وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ "	التحريم	٤
" فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ "	الشعراء	٧٧
" هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ "	الحجر	٦٨
" وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا "	النساء	٦٩
" إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا "	التحريم	٤
" وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا "	المائدة	٣٨

" قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ "	الشعراء	١٥
" فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ "	الحجرات	١٠
" قَالُوا لَن نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ "	الانعام	١٢٤
" وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "	البقرة	٢٨٢
" وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا "	الاسراء	٧٨
" أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "	المجادله	٢٢
" وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ "	الاسراء	١٠٥
" قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ "	الاخلاص	١ و ٢
" فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ، أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ "	مريم	٣٧ ر ٣٨
" لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ، وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ ، وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ "	المائدة	١٣٦
" يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا "	النبأ	٤٠
" فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ، فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا "	البقرة	٥٩
" مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ "	القصص	٧٦
" وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ "	العاديات	٨
" وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً "	البقرة	١٧١

" وَسْئَلِ القَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا "	يوسف	٨٢
" وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ "	البقرة	١٧٧
" مَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ "	النساء	١٥٧
" وإن نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَاهُمْ يُنْقَذُونَ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا "	يس	١٩ر٢٠/ ٢١
" وَمَالِ أَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى "	الليل	١٩ر٢٠ر٢١
" فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ "	التوبة	٣٤
" يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ "	الشعراء	٨٨ر ٨٩
" وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ "	البقرة	٣٤
" لَاعَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ "	هود	٤٣
" فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمنت فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لما آمنوا "	يونس	٩٨
" فَلَوْلَا كَانَ مِنَ القُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ "	هود	١١٦
" الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ "	الحج	٤٠
" قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "	البقرة	٢٥٩
" لَهُمْ فِيهَا دَارُ الخُلْدِ "	فصلت	٢٨
" وَسْئَلِ القَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا "	يوسف	٨٢

فهرست الموضوعات

	رقم الصفحة
المقدمة	١ — ٣
التمهيد	٤ — ٦٢
عصر سيبويه	٤ — ٧
حياة سيبويه	٨ — ١٤
سيبويه والبلاغة العربية	١٥ — ٢٠
شيوخ سيبويه	٢١ — ٢٤
تلاميذه	٢٥ — ٢٧
مناظراته	٢٨ — ٣٣
منزلة سيبويه بين العلماء فى القرن الثانى الهجرى	٣٤ — ٣٨
الحياة العلمية فى عصره	٣٩ — ٤٢
الحياة الثقافية فى عصره	٤٣ — ٤٦
الحياة النحوية فى عصره	٤٧ — ٥٠
كتاب سيبويه وآراء العلماء فيه	٥١ — ٥٥
منهج الكتاب	٥٦ — ٦٢
الفصل الأول :— آراء سيبويه فى علم المعانى	(٦٣ — ١٨١)
المسند والمسند اليه	٦٣ — ٦٧
النظم عند سيبويه	٦٨ — ٧١
المجاز العقلى	٧٢ — ٧٧
الفصل والوصل	٧٨ — ٨٦
الحذف	٨٧ — ١١٣
الذكر	١١٤ — ١١٧
الزيادة فى الحروف	١١٨ — ١٢١
الاضمار	١٢٢ — ١٢٨
التقديم والتأخير	١٢٩ — ١٣٨

أدوات الاستفهام ١٤٣ ـ ١٤٥
الفرق بين الهمزة وهَلْ ١٤٦ ـ ١٥٠
خروج الاستفهام عن اصل معناه ١٥١ ـ ١٥٣
خروج النداء عن أصله الى غرض بلاغى ١٥٤ ـ ١٥٦
اخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ١٥٧ ـ ١٥٨
القصر وأدواته ١٥٩ ـ ١٦١
من خروج الكلام على غير مقتضى الظاهر ١٦٢ ـ ١٦٤
وضع المفرد موضع الجمع ١٦٥ ـ ١٦٩
وضع المظهر موضع المضمر ١٧٠ ـ ١٧٣
القلب عند سيبويه وآراء العلماء فيه ١٧٤ ـ ١٨١

الفصل الثانى آراء سيبويه فى علم البيان: (١٨٢ ـ ٢١٢)
١ التشبيه ١٨٢ ـ ١٩٠
الاستعارة فى الحرف ١٩١ ـ ١٩٦
المجاز بالحذف ١٩٧ ـ ١٩٩
الاستعارة ٢٠٠ ـ ٢٠١
الكناية ٢٠٢ ـ ٢٠٤
التنويع ٢٠٥ ـ ٢١٢

الفصل الثالث : آراء سيبويه فى علم البديع (٢١٣ ـ ٢٢٥)
تأكيد المدح بما يشبه الذم ٢١٣ ـ ٢١٩
الأثر النفسى الذى دفع البلاغيين لذلك ٢١٩ ـ ٢٢١
التجريد ٢٢٢ ـ ٢٢٥

الفصل الرابع : تأثير سيبويه فى علم البلاغة والبلاغيين (٢٢٦ ـ ٢٣٥)
تأثير سيبويه فى علم البلاغة ٢٢٦ ـ ٢٢٩
تأثير سيبويه فى البلاغيين ٢٢٩ ـ ٢٣٥